الإســلام

شــريعة وطــريقــة وحقـيـقـة

الجزء الثانى

قواعد

الإيمان

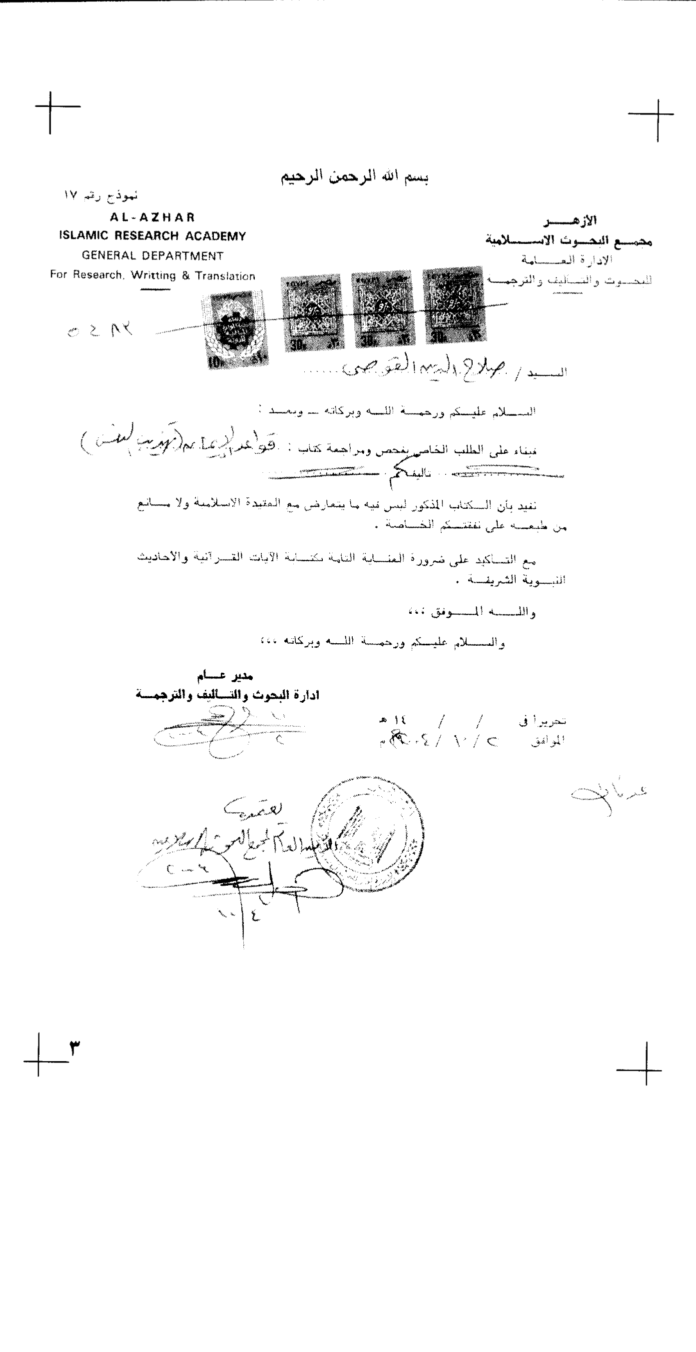
(تهذيب النفس)

إعداد

صلاح الدين القوصى

الطبعة الثالثة

رمضان ١٤٢٥ / نوفمبر ٢٠٠٤



بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم ١٧

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

الأزهـــر
مجمـع البحـوث الإسـلامية
الادارة العـامة
للبحـوث والتـأليف والترجمـة

٥٤٨٢

السـيد / صلاح الدين القوصي ......

السـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاته ـ وبعـد :

فبناء على الطلب الخاص بفحص ومراجعة كتاب : قواعد الإسلام (تهذيب النفس) .... تأليفكم ....

نفيد بأن الكتاب المذكور ليس فيه ما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ولا مـانع من طبعـه على نفقتكم الخـاصة .

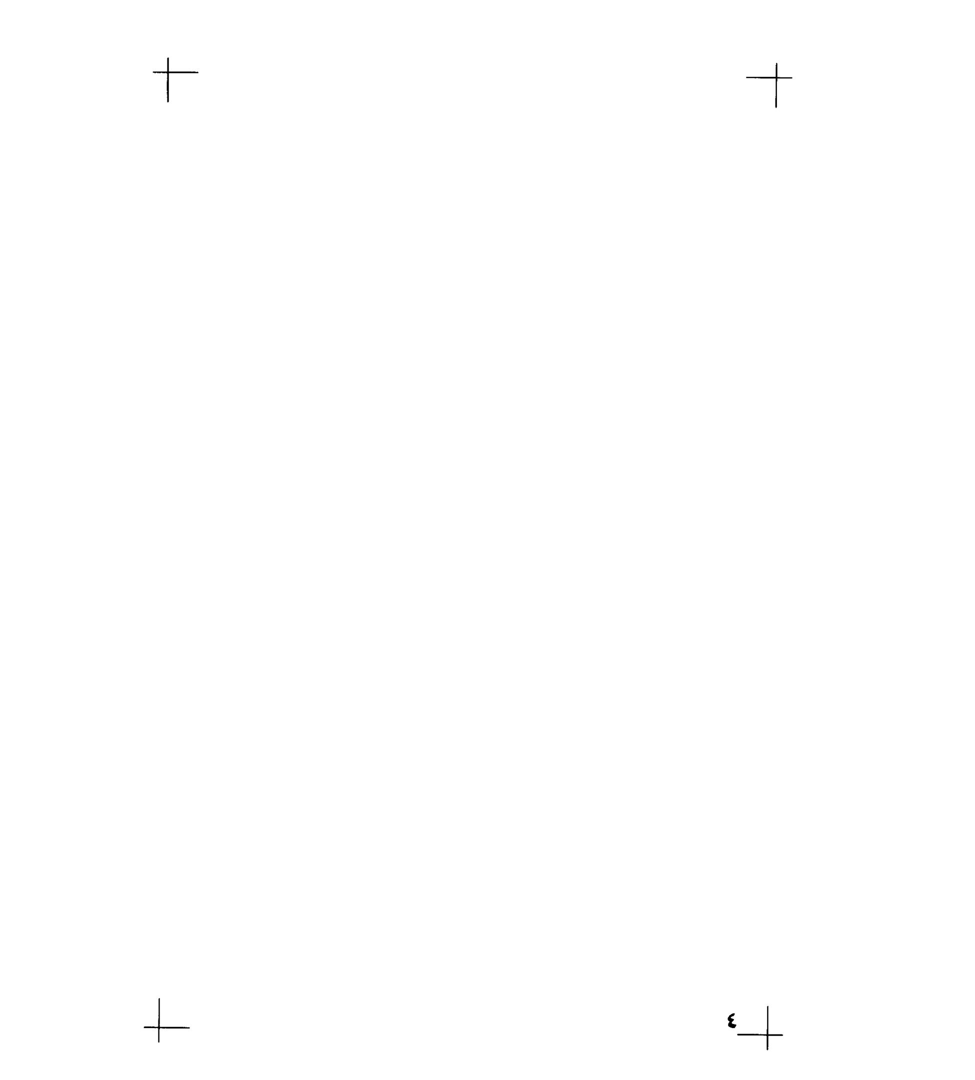
مع التـأكيد على ضرورة العنـاية التامة بكتـابة الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية الشريفـة .

واللـه المـوفق ...

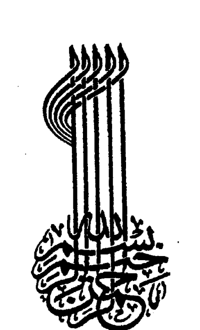
والسـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاته ...

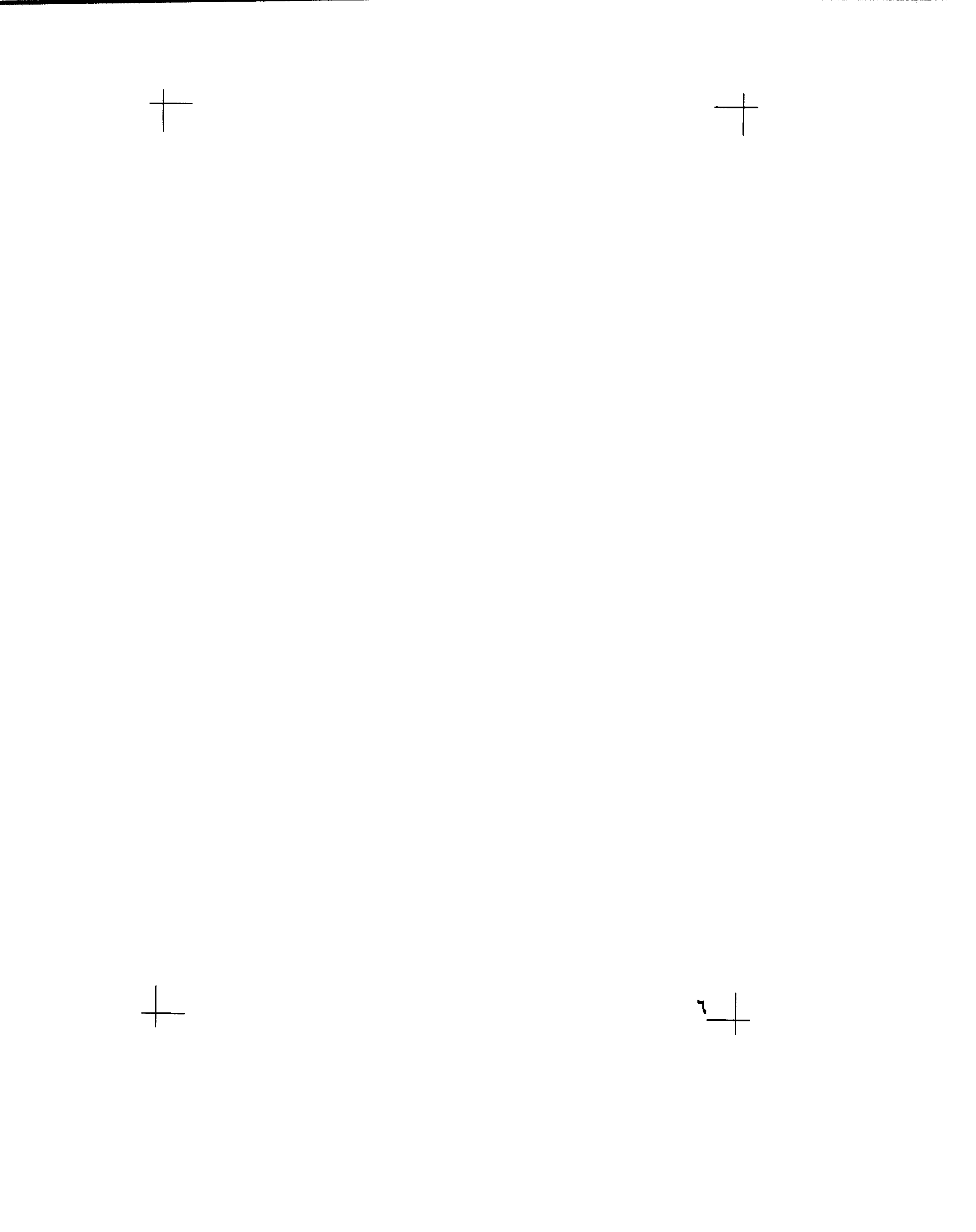
مدير عـام
ادارة البحوث والتـأليف والترجمـة

تحريراً في / / ١٤ هـ
الموافق ٢ / ١٠ / ٢٠٠٤ م






بسم الله الرحمن الرحيم



اللّهم

إنك تعلم أني ما كتبت كتابي

هذا إلا لضعف قوتي وقلة حيلتي في اللحاق

بركب عبادك الصالحين وعسى أن يكون لقارئه خيراً مما هو

لكاتبه . اللّهم فزكّه وطهّره و اقبله منك إليك و اجعله خالصاً لوجهك

الكريم و انفع به كل من قصدك مخلصاً ، وصل وسلم وبارك

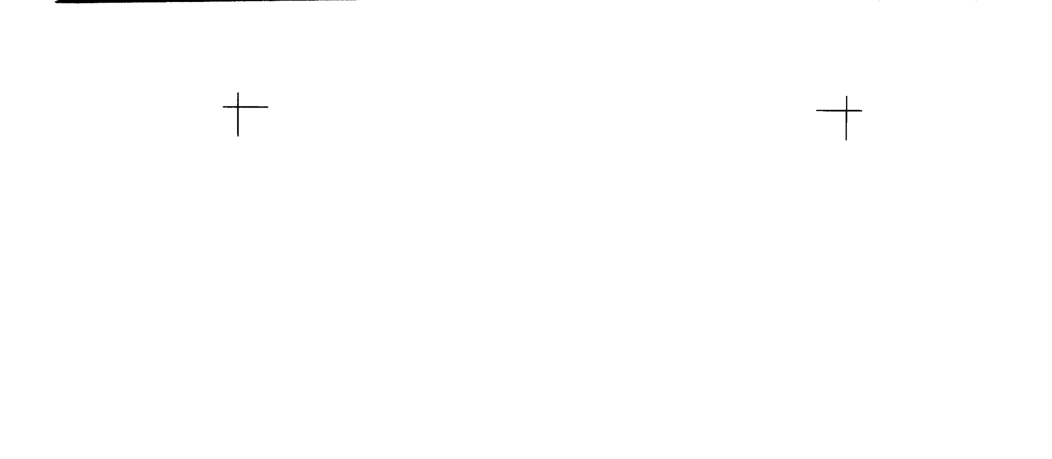
على سيدنا محمد عبدك وحبيبك ونبيك وعلى

آله وصحبه و التابعين وعلينا وعلى

عباد الله الصالحين

أجـمعين

المؤلف



قال رسول اللّه ﷺ عندما سأله سيدنا جبريل

عن الإيمان :

" الإيمان أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره "

متفق عليه

وقال عليه الصلاة والسلام :

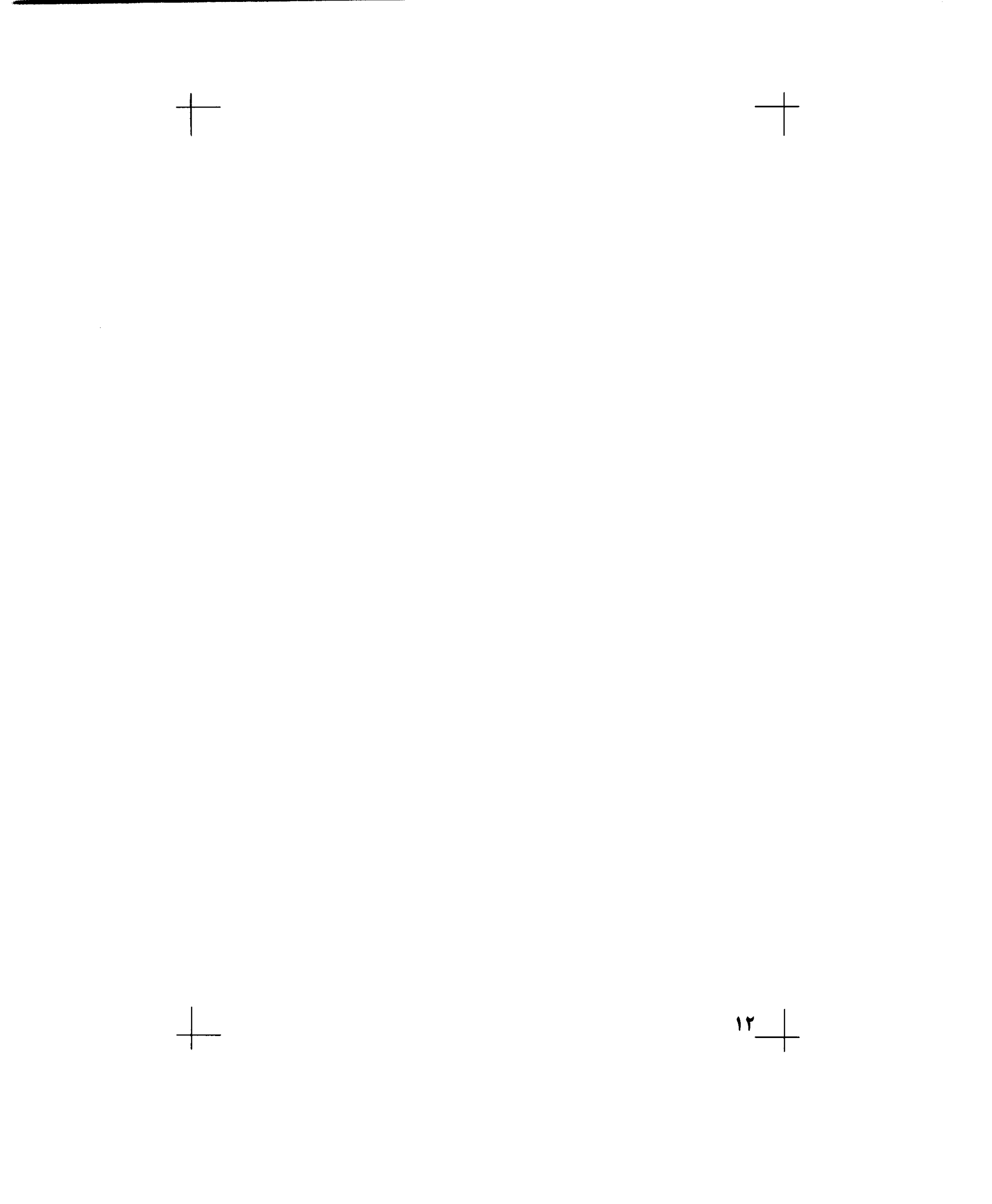
"ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل"

رواه الديلمى

صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم



محتويات الكتاب



تقديم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾،حمدا يفوق حمد الحامدين .. حمدا يكون رضاءً ومرضياً عند رب العالمين .. ، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾.. الذى دحا الأرض والأقاليم ... و أحيا العظام وهى رميم .. ، ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾.. الذى ليس له منازع فى الملك ولا شريك ولا قرين ولا مشير ولا وزير ولا معين.. ، بلْ كان قبل العوالم كلّها أجمعين وهو المحيط بجميع السلاطين والشياطين والملائكة والخلق أجمعين وهو العون على الأبعدين والأقربين .. والوجهة للأجناس المختلفة أجمعين.. و ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ بالإقرار ، ونعترف بالتقصير ، ونستغفرك من الذنوب ونتوب إليك ..، ونشهد أن لا اله إلا أنت وحدك لا شريك لك .. ،﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾على كل حاجة من حاجات الدنيا والدين ..، يا هادى الضالين لا هادى غيرك..، ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾..آمين

أشهد أن لا إله ألا اللّه وحده لا شريك له .. له سُبُحات الفردانية ومُلْك الربوبية .. وعظمة الألوهية والصفات القدسية .. والأسماء العلية ..، هو الحىُّ القيوم الذى لا تدركه العقول ولا الأفهام .. ولا الكشوف والأسرار ولا الأنوار.. ، ولا تأخذه سنة ولا نوم، توحيده هو له التوحيد السالم من الغير والحجاب والفرق والسوى.. ، الذى وسع كرسيه

السموات والأرض.. وأمره بالكاف والنون .. وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ... ، ولا يؤده حفظهما.. دبَّرَ الوجود.. وغمر بالجود .. ولا تحيط به الحدود.. ، وهو سبحانه العلى العظيم.. ، كرَّم النشأة البشرية .. وأبطن الأسرار المخفية في باطن غيب الأحدية .. ، وأظهر الأنوار الجلية في ظاهر المُحَمَّدِيَّة ..، صلى اللَّه تعالى على هذا النبى المتوَّج بمقام الأكملية على سائر البرية ، وسلَّم عليه سلام الخصوصية في حضرة الربوبية .. صلاة .. وسلاماً يدوم نورهما أبدا .. ولا ينقطع ثوابهما سرمدا...

وأشهد أن محمدا رسول اللَّه .. ، النبى المصطفى الحبيب الشفيع الرسول، صاحب لواء الحمد والحوض والكوثر ... ، من سبَّح الحصى في يديه والحجر ... ، وكلمه الجمل والضبُّ والشجر .. ، ونبع الماء من بين إصبعيه وتفجَّر .. ، وانشق له القمر ... ، شرح اللَّه له صدره .. ، ووضع عنه وزره .. ، ورفع له ذكره .. ، فهو الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والناصر الحق بالحق .. ، علَّمه ربُّه وأدَّبَهُ .. وأراه من آياته الكبرى .. ، فكان شاهداً .. ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللَّه بإذنه وسراجا منيرا .. ، فلا يهتدى حائر إلا بأنواره .. ولا يؤمن إلا بإيمانه .. أُذُنُ خيرٍ لكم يؤمن باللَّه ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا .. ، ورحمة للعالمين .. ، سيد ولد آدم .. وإمام النبيين وخاتم المرسلين ... ، صلى اللَّه عليه وعلى آله وأصحابه وأصهاره وأنصاره وحزبه وأزواجه وذريته وأحبابه ، صلاة يكشف لنا بها عن علمى الفناء والبقاء .. ، ونرتقى بها إلى مقام الشهود الأرقى ، ما تزاحمت أرواح أهل الفوز والفلاح على مشاهدات أنوار تجليات جمال جلال حضرة الكريم الفتاح ..

ورضى اللَّه تبارك وتعالى عن ساداتنا ذوى القدر الجلى ، أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعن سائر أصحاب رسول اللَّه أجمعين ، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين من أهل السموات وأهل الأراضين ...

وعن كل وارثٍ لنور رسول الله ﷺ وكل من دلَّ على الله وأرشد إليهِ...

وبعـــــد

فهذا الكتاب هو حديث طويل بينى وبين نفسى ظل حبيسا فيها قرابة العشرين عاما .. فلما أراد الله تعالى أن ينقل هذا الحديث إليك صاحبت بداية كتابته وحتى نهايتها أمور وشئون تناسب ما جاء فيه عن الإيمان والنفس والروح وأسرارها ..

وقد أحسست بثقل الأمر ماديا ومعنويا منذ البداية .. وازداد هذا الإحساس كلما حاولت التوفيق بين ما جاء فيه وبين بعض المراجع التى تَعَرَّضَتْ لقضية من قضاياه المعروضة .. ، ذلك أن غالب من كتبوا فيها تناولوها من زوايا مختلفة ... فمنهم من أغرق فى المنطق والفلسفة.. ومنهم من استند إلى غيبيات وروحانيات عالية المفهوم صعبة الإدراك ..، ومنهم من اكتفى بجمع آراء غيره ممن سبقوه وعرضها كما هى ..، ومنهم من عرض تجربته الخاصة وتشدَّدَ فى الدفاع عن وجهه نظره ... ، وكُلُّهُم على صواب .. فإن الأمر ليس بالهيِّن ..

وصعوبة الأمر تتركز فى أنَّ الإيمان غيبى .. ومحله القلب .. والمقصود بالقلب الروح أو النفس .. وكلاهما من عالم الغيب .. ومجال عالم الغيب وقوانينه تختلف تماما عن مجال وقوانين عالم الحس والإدراك المعروفة لنا ..

فنحن إذا تكلمنا عن قوة البصر فى الإنسان مثلا .. فإن حدوده وقوته معروفه ومسببة بالأسباب .. فالعين لا ترى فى الظلام .. ولا ترى ما خلف حائط ولا ما بعُدَ عنها بأميال .. ، ولكننا إذا تكلمنا عن قوة الإبصار فى النفس، تبادرت إلى ذهننا أسباب البصر المادية وتصورنا أن حدود الرؤية للنفس هى مثل حدود رؤية البصر ... وهذا قياس فاسد تماما ..،

لأن قوانين عالم الغيب وأسبابه تختلف تماما عن قوانين عالمنا المدرك بالحواس ، فالنفس لا يمنعها جدار ولا مسافة عن الرؤية ... ، فهذا عالم بقوانينه وذاك عالم آخر بقوانينه أيضا المختلفة تمام الاختلاف .. ، ألا ترى إلى السمك في المياه وكيف يموت إذا خرج إلى الهواء .. وأنت لا تستطيع العيش تحت الماء .. فهذا عالم له قوانينه وأجهزته اللازمة للعيش فيه .. وذاك عالم آخر له قوانينه وأجهزة المعيشة الخاصة به..

والخلط بين العالمين لا يفيد لتباينهما تباينا كبيرا ...

والغرض من هذا الكتاب هو إيضاح الأسلوب الإسلامي لتربية النفس وتبديل أخلاقها إلى الأخلاق الإسلامية المحمودة مع ما يستلزمه ذلك من الإيمان الصادق بالله تعالى .. وهذا هو بيت القصيد.. فالإسلام بلا إيمان هو جسد بلا روح .. بلْ إن حقيقة الإسلام هي الإيمان ...

لذلك جاء هذا الكتاب في تسعة أبواب :

الباب الأول : منها شَارِحٌ معنى عالم الملك والشهادة .. وعالم الغيب والملكوت .. ، لأن الإيمان كله بالغيب فكان لابد من إلقاء الضوء على هذين العالمين .

والباب الثاني : هو المدخل إلى تركيب الإنسان وقواه الداخلية الغيبية..، وقد تعرَّض للعلاقة بين الجسد والروح ومحل الإدراك في الإنسان .. ومحل التكليف والمجاهدة والإدراك الحقيقي ..، وكيفية التعامل مع عوالم قوى الإدراك والغيبيات .

والباب الثالث : جاء بعرض مبسط للمفهوم العام للإيمان .. ودور الروح فيه وأثره على الجسد وأهميته للإنسان .

والباب الرابع : هو شرح مبسط لمعنى توحيد الله تعالى ... والفرق بين معنى أسماء الله الحسنى وبين صفاته .. وتجلياته وأنواره .

والباب الخامس: جاء مكملا لشطرى الإيمان .. اعنى التعرض لمعنى الرسالة المحمدية .. وأهمية أنوار النبوة للمؤمنين .. ولماذا كان حب اللّه ورسوله فرضاً لا يستهان به .

والباب السادس : شَرَحَ الأسلوب الإسلامى فى تربية النفس وتغيير صفاتها، وتَعَرَّضَ لمكارم الأخلاق المحمودة .. ولصفات النفس البشرية الحيوانية ووجوب التخلص من صفاتها الذميمة .

والباب السابع : هو استكمال لأخلاق الإيمان فى النفس بالآداب الشرعية بين الإنسان ونفسه .. أو بينه وبين اللّه تعالى ومخلوقات اللّه جَلَّ شأنه ...

والباب الثامن : أوجز معنى ذكر اللّه تعالى وفنونه وألوانه ، وكيف أنّه يكادُ يكون الطريق الوحيد للإيمان وصدق التوجُّهِ إلى اللّه تعالى .

والباب التاسعُ : هو تتِمَّةٌ لأمور وصفاتٍ أخرى جُمِعَتْ مِنْ وصايا وأحاديث رسول اللّه ﷺ لتتم بها الفائدة بإذن اللّه ...

فأنت ترى أن كُلَّ بابٍ من أبواب الكتاب هو المفتاح لما يليه .. وأَوَّلُهُ مُرْتَبِطٌ بآخره .. ولا أَظُنُّ أَنَّ قِرَاءةَ بَابٍ منفصل عمَّا قبله يؤدى الغرض المطلوب ...

وأسلوب الكتاب كله يميل إلى المنطق المعتدل وأسلوب التفكير العادى، فلم يَخُضْ فى روحانيات غير مفهومة .. ولم يلجأ إلى الفلسفة والمنطق ..، ولكنه حديث بينى وبين القارئ على قدر الهدف المطلوب..، لذلك قد تتكرر فى أبوابه بعض الأحاديث النبوية أو بعض العبارات بذاتها أو بمعناها، وذلك عن قصد حتى لا يضيع منا تسلسل الحديث أو للتأكيد على معنى بعينه .

ولم يسمح الوقت بتخريج بعض الأحاديث التى وردت فى الكتاب

كما أن بعض الأحاديث قد ذكرت بمعناها دون التقيد بألفاظها فى مجال الاستشهاد على معنى خاص ولكن من أراد تخريجها فعليه الاطلاع على كتب الأحاديث الصحاح فهى كلها منها ...

والكتاب فى إجماله مختصر كل الاختصار ، وبه بعض عبارات هى اقرب إلى الإشارات ...، فمن أدركها فهو الخير، ومن لم يدركها فلن تنقص من استفادته شيئا ...

وبعد.. فإنى أسأل الله تعالى ألا أكون قد تعرضت فى هذا الكتاب إلى ما لا يجب أن أتعرض له ، أو أكون قد خلطت بين الإفراط والتفريط .. وأسأله تعالى المغفرة للخطأ والزلل والنسيان .

ورضى الله تبارك وتعالى عن شيخى وأستاذى صاحب الفضيلة العارف بالله تعالى

الشيخ محمد إبراهيم أبو العيون

الذى كان يُلَقَّبُ بمعلم الأولياء والذى أحاطنى بعنايته ورعايته من قبل وخلال وبعد كتابة هذا الكتاب ... وعن سائر أشياخنا الذين تعرضوا لقضاياه بالكلام أو الكتابة .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

صلاح الدين القوصى

المحرم سنة ١٤١١ - أغسطس سنة ١٩٩٠

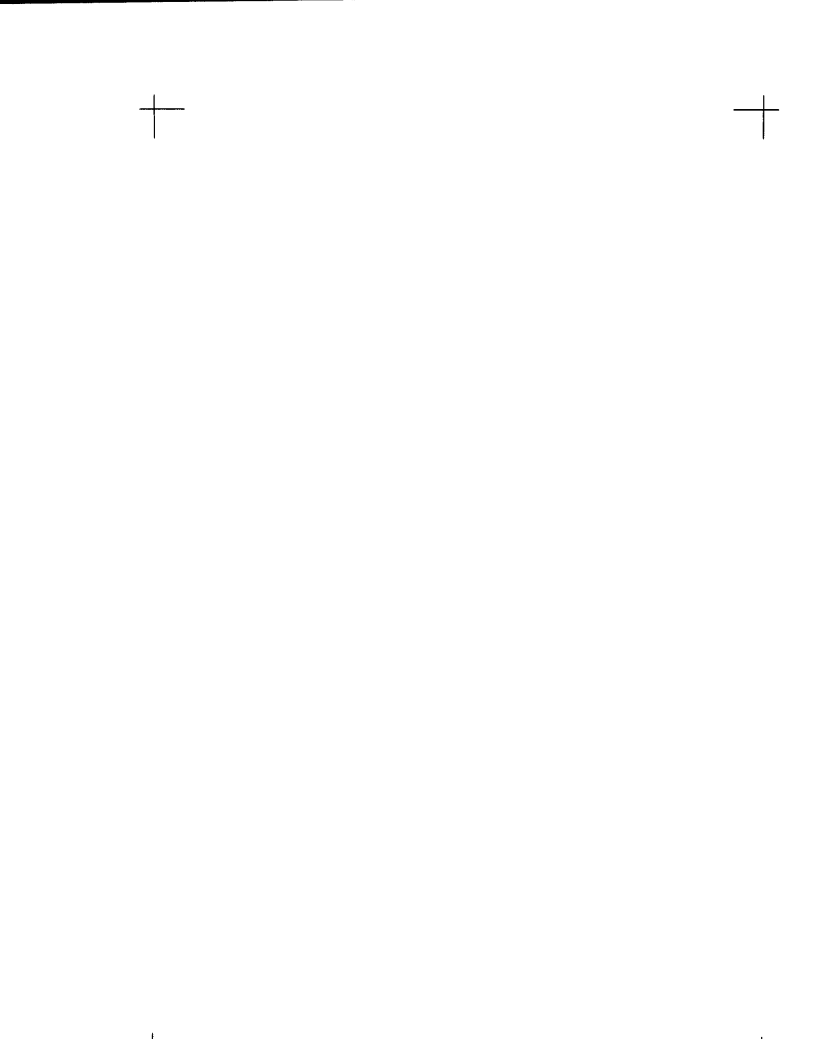
بسم اللّـه الرحـمن الرحيم

أستسمح القارئ الكريم في أن أصدّر هذا الكتاب بكلمات مباركة
مقتطفة من أقوال صاحب الفضيلة الشيخ العارف باللّه تعالى

السيد

محمد إبراهيم أبو العيون

الوكيل الأسبق لكلية أصول الدين
عليه رضوان اللّه



تَعَرَّفْ إلى ربك ، واستَهْدِه يَهْدِكْ ، ولا تَـعذِرنّ نفسك إن نسيتَ ، فنسيانك نسيان الحقّ بغفلة الباطل .. ، تَخَلَّ عن الأغيار ، وعن نفسك ، يَجْلِ اللّهُ بصرك ، وينوّر بصيرتك ، ويهد قلبك ، ويـجعلك نوراً مهتديا هاديا .

تُبْ إلى ربك ، واستغفره مما تقول ومما يعجبك من نفسك ، فما إعجابك بفالحة وإن كان هو الهادي لها إلا غرور منك بها .

اسجد لربك ، واستغفره من أحسن أعمالك ، وتب إليه من خير ما تَـعُدُّه خيرا ، وسر إليه به ، وعليه فتوكل وإياه فارجُ واطرح كل عمل .

اعمل عمل المتزودين ، واجعل زادك تقواه ، وعليه فاجعل اعتمادك ، واعلم أنه كما قال رسول اللّه ﷺ لنا " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا ولا أنت يا رسول اللّه !! قال ولا أنا إلا أن يتغمدني اللّه برحمته " .

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير ، ورحمتك رجونا يا أرحم الراحمين .

نستغفرك ، ونستغفرك من استغفارنا ، ونتوب إليك من توبة الناكسين ، ونسألك تحقيقا بالتوبة التي أنت التائب فيها على عبادك ، فقد قلت "ثم تاب عليهم ليتوبوا" ، كما قلت أن اللّه "يحب التوابين ويحب المتطهرين" .

ذكّرنا بك ، وزكّنا في خير من تشاء ، وقربنا إليك درجات، وارفعنا إليك بالقربات ، ووفقنا لعزائم الأمور ، واجعلنا للمتقين إماما.

اللّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدينا لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا السوء سيئها إلا أنت .

اللّهم أرنا إياك في كل شئونك ، و اهدنا إليك بأصناف هدايتك حتى لا نشغل عنك بشيء غيرك ، وحتى لا يضيع من وقتنا ولا عملنا ولا شأن من شئوننا أنت أعلم به منا ، حتى لا يضيع من ذلك مثقال ذرة ولا أقل لغيرك ، وحتى لا يكون شأننا إلا ابتغاء وجهك الكريم في كل شأن .

تغمّدنا برحمتك ، و اهدنا بتوفيقك ، وأعذنا بك منك سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

اغفر لنا وسامحنا وتُبْ علينا ، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنَّكَ رءوفٌ رحيم.

اللّهم اجعلنا في كتاب نبيك المصطفى ﷺ صلاة وسلاما وبركات ورحمات ورضوانا أكبر ، منك عليه وعلينا به ، حتى تجعلنا في حضرتــــه ، أنت القيوم ، فاجعل حضرته نور أكواننا، ولا تحجبنا عن مكان كرَّمْتَهُ فيه ، ولا تحرمنا صلة أنعمت بها عليه ، بجاهه العظيم يا رب العالمين .

يا من رفعت درجات المهتدين ، وزدت العلماء العاملين ، وسقيت من معين معارفك عبادك العارفين المخلصين ،

زدنا بك علما ، وإليك اهتداء ، وفيك فناء ، وبك بقاء ، وكن لنا ، أدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين المقربين الذين تسقيهم من أجَلِّ شَرَابٍ ، الذي قلت فيه : ومزاجه من تسنيم ، عينا يشرب بها المقربون .

اللّهم جعلت نبيك ﷺ هو الداعي إليك ، والشفيع لديك ، اللّهم فاجعلنا من خيار محبيه ، حتى تجعلنا من السابقين السائرين

على قدم الاستقامة على صراطك المستقيم ، الموصل إلى أعلى درجاتك يا على يا عظيم ، بجاهه العظيم .

وزده صلاة وتسليما ورحمات وبركات وإيانا في جاهه وفي معيته، ولا تقطعنا عنك ولا عنه ولا عن مدد من أمد إدك ولا من أمد إده طرفة عين ولا أقلّ من ذلك ، يا حيٌّ يا قيوم لا إله إلا أنت سبحانك إنّي كنت من الظالمين .. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

رب أنّي مَسّني الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين ، رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والدَيَّ وأنْ أعْمَلَ صَالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إنّي تبت إليك و إنّي من المسلمين .

يارب .. اجتمعنا عليك في بيت من بيوتك .. يا من لا تُخلي أكوانك من ذكر لك حق .. و آية لك بينة .. وشهادة ناطقة بك لك ، اقبلنا جميعا ولا تقطعنا عنك بقاطع ، ولا تحرم منا أحدا ..

هب مسيئنا لـمحسننا .. وهبنا جميعا لوجهك الكريم وإحسانك القديم وشفيعك المشفع .. نبيك العظيم سيدنا محمد ..

وصلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

نحن ومن أحبَّنا ومن أَحْبَبْنَاهُ وأصحاب الحقوق علينا ومشايخنا وذوي أرحامنا وإخواننا وأخواتنا وأزواجنا وذرياتنا ومن يرضيك أن ندعو لهم ومن كتبت لهم السعادة السابقة يا رب العالمين .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة عين واجعلنا للمتقين إماما، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

سبحانك .. من سَكَتَ وأَنْصَتَ وَتَلَـقّى وتبصَّر .. مَلَأت قلبه إيمانا وعبرا ويقينا ، ومن نطق فبك نطق ، وإياك سَبَّحَ وإياك ذَكَـرَ .. وقد قلت فاذكروني أذكركم، و اشكروا لي ولا تكفرون .

اللّهم قنا الكفر .. وأطلق ألسنتنا وجوارحنا وقلوبنا وعو المنا بحق الذكر .. ولذكر اللّه أكبر ، واذكرنا في حضرتك .

اللّهم طهر ما نصنع، اللّهم ابعثنا إليك بعث الإجابة والاستجابة للإسلام والإيمان والإحسان على مراتع القبول، وإلى جنات عدن الفردوس الأعلى وإلى حضرتك العلية وإلى مقعد صدقٍ عندك يا مليك يا مقتدر .

سبحانك لو نطق العالمون منذ خلقتهم إلى الأبد ما سبحوك حق تسبيحك ولا ذكروك حق ذكرك .

سبحانك لو اعتبر المعتبرون ، واتعظ المتعظون ، وخشعت القلوب ، وتلقت الأفئدة ، وثبّتْ فيها ما تُلقَى .. ما عرفك عارف حق معرفتك .. وما قدروا اللّه حق قدره ..

ولكنك بتنزلك .. بتفضلك قبلت اعتراف المعترفين وتفضلت فأجبت دعوة الداعين .. وزكَّيْتَ عمل العاملين ، وضاعفت أجور المتقربين .

اللّهم فزدنا من فضلك ، وأغرقنا فيه ، أفننا فيك ، وأبقنا بك واجعل كل منا لك عبداً شكوراً ، واجمعنا في حضرتك التي لا أول لها ولا آخر.. يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن .. ولا تحرمنا من أنوارها شيئا إنك أنت الوهاب الكريم .

وزد اللّهم نبيك صلاة وتسليما وبركات ، وإيانا ببركاته وعبادك الصالحين .

والصلاة والسلام عليه ورحمة اللّه وبركاته ، الصلاة والسلام عليك أيها النبي ورحمة اللّه وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ونبيه ورسوله .

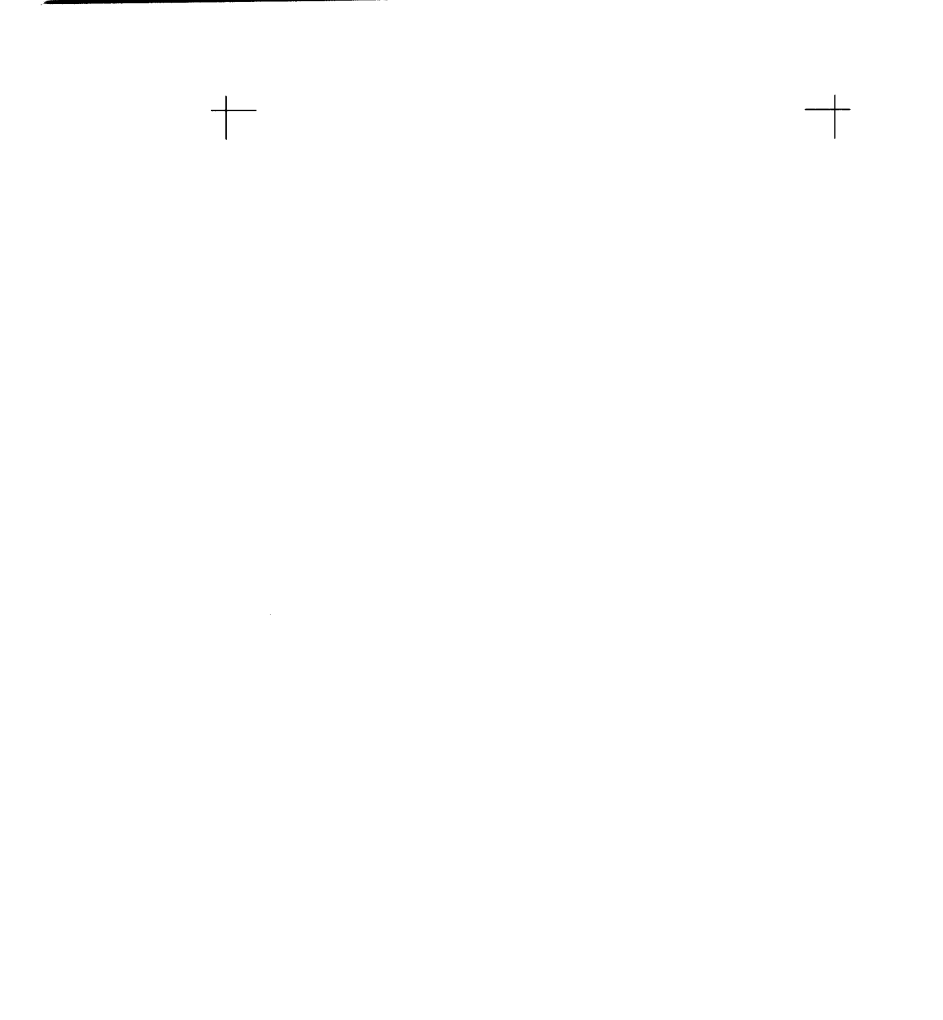
اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

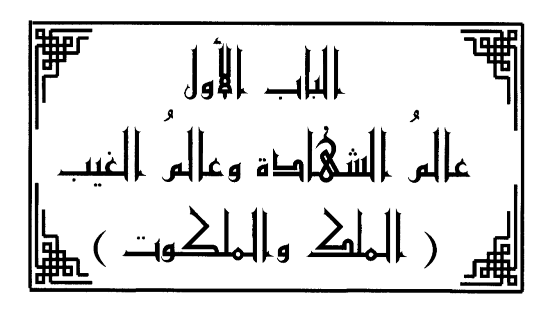
يا أصدق القائلين .. أطلق ألسنتنا بأحب ما تحب إليك في كل شأن ، ويا من نهيتنا عن اللغو ، طهر قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا وكل أكوائنا من كل ما لا تحب ولا ترضى ، وانظر إلينا نظرة محبتك ورضوانك الأكبر ، واجعلنا من أحبابك يا رب العالمين .

والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ، اللّهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أن اتقوا اللّه .

والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته .




الباب الأول
عالمُ الشهادة وعالمُ الغيب
(الملك والملكوت)



يقول الله تعالى في كتابه الكريم في سورة الرعد :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴾ ، ويقول في سورة الملك : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ ، ويقول جَلَّ شأنه في سورة يس :﴿ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾

فمن الواضح أن هناك عالمين مختلفين: الأول هو عالم الشهادة، والثاني هو عالم الغيب ..، والله جَلَّ شأنه بيده الملك والملكوت وعالِم الغيب والشهادة.

فعالم المُلْكِ هو عالم الشهادة..، وعالم الملكوت هو عالم الغيب..، وسوف نتعرَّض بإيجازٍ لِكُلٍّ منهما .

• عالم الملك أو عالم الشهادة

يُعرَفُ عالمُ الشهادة بأنَّه جميع الموجودات في الكون التي يمكن أن تدركها بحواسك المادية، وهي كما هو معلوم : السمع، والبصر، واللمس، والذوق، والشم ..، فكل ما تراه ببصرك مجردا أو مستعينا بآلة مكبرة كالميكروسكوب أو التلسكوب .. وكل ما تسمعه بأذنك مجردة أو بجهاز كالراديو مثلا يعتبر من الموجودات المادية التي هي جزء من عالم الشهادة أو عالم الملك كما يطلق عليه أحيانًا.

وقد اتسعت المعرفة بعالم الشهادة في عصرنا الحديث، وذلك بعد اختراع الأجهزة والمعدات التي ساعدت هذه الحواس على إدراك ما لم يكن من الممكن إدراكه بها مجردة من قبل..، فالجراثيم تلك

الكائنات المتناهية فى الصغر لا ترى بالعين المجردة، ولكن يمكن رؤيتها باستخدام الأجهزة الحديثة المخصصة لهذا الغرض ...

والأكثر من هذا أنَّ هُنَاكَ نُجوما تراها الآن تلمع فى السماء ولكنها فى الحقيقة قد فنيت منذ زمن بعيد وهى غير موجودة حاليا، ولكن شعاعها الذى أرسلته إلينا منذ كانت موجودة ما زال يصل إلى الأرض قاطعا المسافة بين هذه النجوم والأرض فى مئات أو آلاف السنين ولم يصل إلى الأرض أو أعيننا إلا اليوم، بينما أصله ومصدره قد باد وفنى ..

وعلى العكس من ذلك فإن هناك نجوما قد ولدت وتكونت منذ زمن وهى الآن موجودة فعلا ولكنها لا ترى من على الأرض لأن أشعتها التى ترسلها ما زالت فى الطريق إلينا بسرعة ثلاثمائة ألف كيلو متر فى الثانية .. ولم تصل بعد إلينا !!! ولكن العلماء بأجهزتهم الخاصة قد أثبتوا فناء الأولى ونحن نراها ووجود الثانية ونحن لا نراها.

ومقصود كلامنا أنَّه ليس من الضروري أن تدرك عيناك كل الموجودات..، بلْ هناك موجودات تحتاج إلى أجهزة خاصة لرؤيتها .. وكذلك ليس كل ما تراه هو موجود فعلا وقت رؤيته .

ومرة أخرى يتكرر الأمر فى السمع . فالخفاش مثلا يرسل ذبذبات عالية التردد من موجات فوق صوتية وبها يستعين على الطيران حيث يرسل هذه الذبذبات ويستقبلها بعد اصطدامها وانعكاسها إليهِ بالحوائط والحواجز التى حوله فيعرف بعدها عنه فلا يصطدم بها.

والدلفين . هو حيوان بحرى ضخم كالحوت - يستخدم لغة خاصة قوامها إرسال ذبذبات عالية التردد فى الماء والهواء وبها يتفاهم مع بنى جنسه .

وهاتان الظاهرتان لم تدركهما أسماع البشر العادية .. ولكن الأجهزة التى صممت لهذا الغرض تستقبلهما وتسجلهما أيضا ...

ويقول اللّه تعالىفى سورة الأنعام : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

وهـذه الأمـم .. لابـد أنهـا عاقلـة ومنظمـة ويلـزم لهـا بالـضرورة لغـة مشتركة لكى تتفاهم بها وتدبر أمورها ..، ألم ترَ كيف كلمت النملة قومها تحــذِّرُهُمْ مــن قــوم ســيدنا ســليمان بجيــشه، وخوفهــا مــن أن يقتلهم الجيش حيث قالت (النمل – ٨) : ﴿...يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾

كذلك أنت ترى النحل فى حركة دائبة وكل من فى الخلية يؤدى دوره فى دقة متناهية امتثالا لأمر اللّه تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

وأنت لا تسمع النمل يتكلم ولا تعرف كيف ينظم النحل خلاياه وأعماله وواجباته .. وكذلك أنت لا تفهم لغة الطير ...

ولكنَّ نبى اللّه سليمان عليه السلام قد علمه اللّه تعالى هذه اللغات فسمع النملة وفهم كلامها وقال (النمل – ١٩) : ﴿...رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ

﴿ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ... ﴾

ويقول القرآن الكريم على لسان سيدنا سليمان(النمل – ١٦):

﴿ ... وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ... ﴾.. وقد كلمه الهدهد وأنبأه بخبر ملكة سبأ كما روت قصتها سورة النمل فى القرآن الكريم ...

ويقول سيدنا عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه فى شرح الآية الكريمة التى تشير إلى أمم الحيوان والطير .." وإن فيهم لابن عباس مثلى" .. يقصد أن فيهم علماء أيضا وأن أفراد كل أمّة منهم يتفاوتون فى الجهل والعلم .

ومن المتواتر عن رسول اللّه ﷺ أنّه قد كلم الجمل، وكلمه الذئب وكلمه الضب . وحن إليهِ جذع النخلة الذى يستند إليهِ فى مسجده الشريف فى خطبة يوم الجمعة، وسمع له أنين ونحيب كما ذكر فى الصحيحين (البخارى ومسلم) وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية باب دلائل النبوة، وكل هذا كان بخاصيَّةٍ خاصة وإكرام مخصوص من رب العالمين لمن يصطفى من أنبيائه ورسله ومن يشاء من عباده .. فلا حرج على فضل اللّه .

وليس الأمر قاصرا على الحيوان والنبات ..، فاللّه جَـلَّ شأنه يقول (الرعد-١٣): ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ... ﴾

إذاً الرعد مخلوق .. يسبح اللّه تعالى .وتعريف الرعد أنّه مجرد صوت ... ينتج من التقاء السحاب المحمل بالشحنات الكهربية السالبة والموجبة، فينتج البرق اللامع نتيجة للتفريغ الكهربى بين السحب، يحدث الرعد نتيجة لهذا التفريغ الهائل الكم والحجم.، فالرعد لا يزيد عن الصوت العادى .، مثله مثل أى طرقة على الباب أو أى صوت آخر

ناتج عن أى مسبب ..

وقياسا عليه يكون كذلك نبض القلب فى الجسد، فإنك تسمعه بأذنك المجردة أو بالجهاز الطبى الخاص .، فهل يجوز لنا أن نقول إن نبضات القلوب تسبح اللّه تعالى مثل الرعد وكلاهما صوت !!

أقول نعم . فأى صوت كان هو مخلوق يسبح اللّه تعالى، شأنه شأن أى مخلوق آخر، وسبحان سامع كل صوت، وسابق الفوت، ومن لا يشغله شأن عن شأن .

فمن الواضح أن هناك مخلوقات تراها .، ومخلوقات تراها وتسمعها .، ومخلوقات تسمعها دون أن تراها .، وكل هذا إذا اضفنا إليهِ الجمادات يسمى بعالم المُلْك أو عالم الشهادة .

فالجماد ساكن لا ينمو، ولكن قد يتحرك بنفسه كالشمس والقمر .، وقد يتحرك بغيره كباقى الجمادات ....، والنبات له نمو وحركة فى اتجاه وأحد وله حياه وموت، والحيوان له نمو وحركة فى كل اتجاه وكذلك له حياه ونمو وموت...

• الإدراك في كائنات عالم الشهادة

يقول جَلَّ شأنه فى سورة الإسراء : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ ويقول فى سورة التغابن :﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾.. فاللّه سبحانه وتعالى يبين لنا

أنَّ كل من وما فى الأرض والسماوات يسبحه جَلَّ شأنه .. ويقول فى سورة البقرة :﴿ ... وَإِن مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ ويقول (سورة الأعراف -١٤٣) : ﴿ .... فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ ... ﴾ ، وذلك عندما طلب سيدنا موسى رؤية ربِّهِ جَلَّ وعلا، فلمَّا تجلَّى اللَّه تعالى بالكيفية التى تليق بجلاله على الجبل الصخر الشديد البأس فجعله دكاً.. ولم يحتمل هذا الجبل التجلى الإلاهى .

ويقول ﷺ عن جبل أحد" إنَّه يحبنا ونحبه" كما رواه البخارى، عندما صعد عليه رسول اللَّه ﷺ ومعه أبوبكر وعمر وعثمان فاهتز بهم الجبل خاطبه الرسول ﷺ بقوله" اسكن أحد إنما عليك نبى وصديق وشهيدان" .

فالرسول ﷺ يكلِّمُهُ الجبل، والجبل يُحِبُّهُ، والحجارة تهبط من خشية اللَّه، والجبل يندك من التجلى الإلاهى عليه .

بلْ وأكثر من هذا نرى فى القرآن الكريم إشارات ومعان دقيقة يهبها اللَّه تعالى لمن يشاء من عباده فهما وذوقا وعلما وادراكا وذلك لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

ويقول اللَّه تعالى فى الحديث عن آل فرعون بعد غرقهم فى سورة الدخان :﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ أى أن السماء والأرض تحزن وتبكى !!

والذى يبكى فى موقف معين يكون قادراً على الرضا فى موقف مغاير .. فإذا لم تبك السماء والأرض على آل فرعون نظرا لكفرهم

وإلحادهم، فلعلها تبكى وتحزن على موت الصالحين المؤمنين، ويؤكد هذا المعنى قول رسول اللّه ﷺ وهو يحدث أصحابه عن ضمة القبر للميت عقيب الدفن، فيروى الإمام أحمد فى مسنده أنّ رسول اللّه ﷺ قال "إن للقبر ضمة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا سعد بن معاذ" .

ولقد قال شارحو هذا الحديث - واصفا - إن ضمة القبر للمؤمن بأنها كحنان الأم على ولدها بعد طول غيابه حبا وشوقا إليهِ، وضمة القبر للكافر تختلف فيها أضلاعه من شدة الضم ومن كراهية الأرض له.

فالأرض تحنو .. وتغضب .. وتبكى .. وهى فوق ذلك شاهدة يوم القيامة على أعمال العباد الصالحة وغير الصالحة .

ويخاطب اللّه سبحانه وتعالى الأرض والسماء حيث يقول فى سورة فصلت ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ ويقول (فى سورة هود-٤٤) : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى ... ﴾ والجبال تسبح مع سيدنا داود عليه السلام(سبأ-١٠): ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ ويقول (فى سورة يس -٣٨): ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ... ﴾ فالواضح أن الجمادات تسبح اللّه تعالى .. وتحس وتدرك .. وتبكى .. وتخشى اللّه تعالى .

ويقول تعالى (فى سورة الرحمن-٩) : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ والنجم هو النبات الذى ليس له ساق، فالنبات يسبح ويسجد للّه تعالى وقد اثبت العلماء مؤخرا ان له شعورا كذلك . وهو كائن حى بلا شك .

والحيوان قد خلقه اللّه تعالى على درجة ثابتة من العلم والتسبيح له جَلَّ شأنه .. وهو بالطبع يُحسُّ وَيَعِى .. انظر إلى قصة الفيل فى جيش أبرهة عندما أراد ان يهدم الكعبة .. لقد برك الفيل فى وادى يسمى بوادى محسر .. حسر الفيل وبرك وأبى أن يتقدم لبيت اللّه الحرام فإذا وجهوه وِجهة أُخْرَى قام يهرول .. فإذا وجهوه إلى الكعبة أبى المسير وبرك . إنَّهُ يعقل ويعرف ما هو مقبل عليه، ويعرف حرمة بيت اللّه تعالى، فإن قلت لى إنَّه لا يعقل ولا يفهم ولكنه أمر اللّه أقعده فى مكانه، قلت لك فما بالك فى ناقة رسول اللّه ﷺ عندما وصل مهاجرا إلى المدينة المنورة وأهل المدينة يتسابقون إليها ويمسكون بخطامها، يريدون إناختها عندهم، واستضافة رسول اللّه ﷺ، ماذا قال لهم الرسول ؟؟ قال "دعوها فإنّها مأمورة" أى مأمورة بالمكان الذى سيحل فيه رسول اللّه، فكانت تمشى وتتلفت يمينا و يسارا، وكأنها تتأكد من المكان، ثم بركت فى المكان الذى أراده اللّه تعالى، أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، وذلك كما رواه البيهقى وابن إسحاق وغيرهما، أليس هذا إدراكا منها .

واللّه جَلَّ شأنه يُجْمِلُ كُلَّ هذا فى الآية الكريمة فى سورة الحج:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾

فأنت ترى أنك محاط بموجودات لا نهاية لها ولا حصر لأنواعها ولا حد لتنوعها ما بين أفلاك وجماد وحيوان ونبات وأصوات ومخلوقات تناهت فى الكبر والضخامة ومخلوقات تناهت فى الصغر والدقة، وكلها تشعر وتحس وتسبح اللّه تعالى وتسجد لنور وجهه الكريم وكُلٌّ قد علم اللّه

صلاته وتسبيحه .. وكيف لا وهو جَلَّ شأنه الذى خلقها وعلمها وهداها لصلاتها وتسبيحها . وسبحان الذى أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى .

ويبقى من خلق اللّه تعالى ابن آدم، تارة يذكر اللّه تعالى، وتارة ينساه ويغفل عنه، إنَّه كان ظلوما جهولا، ظالم لنفسه، ساهٍ عن ربه، جهولا بعظمة اللّه وجلاله، إلا من رحم ربى وهداه إلى ذكره وشكره وحسن عبادته، ولا حول ولا قوة الا باللّه العلى العظيم ..

فعالم الشهادة أو عالم الملك هو كل هذا الكون العظيم والموجودات التى تشاهدها بعينك المجردة أو بصنعة تعينها على الرؤية.. والتى تسمعها بأذنك المجردة أو بآلة تزيد قدرتها على السمع .. أو تدركه بأية حاسة من الحواس كأن تتذوق الملح فى ماء البحر أو تشم الطيب فى الهواء .

يقول تعالىفى سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾ ويقول فى سورة الأنعام : ﴿: .... وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩ ﴾ ويقول فى سورة يونس: ﴿ ... وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ۝٦١ ﴾ ويقول فى سورة هود: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ ﴾ ، وكيف لا .. واللّه تعالى هو قيوم السموات والأرض .. والقائم على كل نفس .. والمدبر لهذا الكون العظيم، فسبحان من لا يشغله شأن عن شأن، ولا

تأخذه سنة ولا نوم جَلّ جلال الله ..

والعجيب أن كل هذه الموجودات على تنوعها وعظمتها وقوتها .. كلها مسخرة بأمر الله لك أنت أيها الإنسان .

يقول الله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ ، ويقول فى سورة النحل (الآيات ١٢-١٦) :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

ذلك أنك أنت الخليفة فى الأرض، والخليفة له السيطرة وله الانتفاع بما استخلف فيه، وذلك إذا أحسن القيام بواجبات خلافته وحافظ على حدودها وآدابها ...

يقول تعالى (البقرة -٣٠): ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ...﴾ ، فأنت الخليفة فى الأرض .. فإن شئت قمت

بالخلافة كما يجب .. وان شئت ضيعتها.

ويقول ربُّ العزة والجلال في سورة التين :﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝ ﴾

فالإنسان إذا ليس على درجة واحدة، بلْ هو يتراوح ما بين أحسن تقويم .. وأسفل سافلين، وكم بين هاتين الدرجتين من درجات . وكم فيها من صفات يرتفع الإنسان بها إلى أحسن تقويم أو ينزل إلى أسفل سافلين .

وحيث إننا نرى الصورة البشرية واحدة لا تتغير، فكل إنسان له نفس الجسد المشابه للآخر بوجهه .. وعجزه .. ويديه .. ورجليه إلى آخر الصورة الآدمية، فيكون من البدهي أنَّ المقصود بأحسن تقويم وأسفل سافلين أنهما درجتان ليستا من الصورة البشرية المادية .. ولكنهما صورتان معنويتان لنفس الصورة البشرية الموحدة، أي إن هناك صفات معنوية غير مرئية تضاف إلى الصورة المادية أو تنزع منها فترفعها إلىأحسن تقويم أو تنزل بها إلى أسفل سافلين .

ويؤكد هذا المفهوم الاستثناء المذكور في الآية الكريمة "إلا الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ" فهؤلاء مستثنون من الارتداد إلى أسفل سافلين .. والسبب أنَّهُم آمَنُوا .. وعملوا الصالحات ..

وعلى هذا يكون الارتداد إلى أسفل سافلين إنَّمَا هو على قدر درجة كفر الإنسان أو مستوى أفعاله من المعاصي الكبائر أو الصغائر ...

اللَّهم يا عظيم الشأن يا ساطع البرهان .. إني وجهت وجهي إليك.. وسلمت أمري إليك وألجأت ظهري إليك .. رهبة ورغبة إليك ..

آمنت برسولك الذى أرسلت .. وكتابك الذى أنزلت .. لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ..

• خلافة الإنسان فى الأرض

الخلافة للإنسان على الأرض لا شك فيها .. ولكن الإنسان بطبيعته البشرية الطينية ضعيف ..، فهو لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولا.، ولن يطير فى الهواء كالطير السابح بها، ولن يقوى على الحديد الذى فيه بأس شديد .. هو محدود الطاقة، فكيف تتسنى له الخلافة فى الأرض ...

من المنطقى البدَهِىّ أن يكون الخالق العظيم رب كل هذه الموجودات قد أمده بسر من عنده تعالى وهيأه لهذه الخلافة، ولابد أن يكون هذا السر مميزاً لابن آدم عن بقية الموجودات، يقول تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ ﴾، وواضح أن هذا التفضيل ليس مطلقا .، وبالتالى فإن الخلافة عن اللّه تعالى ليست مطلقة ..، ذلك أن طاقات الإنسان محدودة مهما اتسعت، وللّه سبحانه وتعالى عوالم لا تعد ولا تحصى، ولا يستطيع البشر مهما علا قدرهم أن يدركوها كلها فلابد أن يكون هناك فرق بين العبودية والألوهية .. عبودية الإنسان الخليفة .. وألوهية الخالق جَلَّ شأنه .. فليس كل إنسان بشرى هو الخليفة الكامل للّه تعالى فى الأرض، بلْ إنَّ حظه من هذه الخلافة إنَّما يكون على قدر إيمانه وعمله الصالح..

ومـن البـدهى علـى هـذا الأسـاس ألا يكـون الكفـار والملحـدون الذين يصفهم اللَّه تعالى بأنهم كالأنعام بلْ هم أضل .. هم خلفاء اللَّهِ فى الأرض ..

ورغم ذلك فإننا لا ننكر أن من هؤلاء الكفار الذين هم فى أسفل سافلين قد يكون لبعضهم أثر فى هذه الخلافة التى ذكرت فى القرآن الكريم .. فإن الإنسان مكرم مهما كانت درجته .، فقد نفخ اللَّه تعالى فيه من روحه جَلَّ شأنه وكرم صورته .. ولقد كان رسول اللَّه ﷺ إذا رأى جنازة مؤمن أو كافر تمر عليه يقوم واقفا، كما رواه البخارى ومسلم" إذا رأيتم الجنازة فقوموا لها حتى تخلفكم أو توضع"، كما كان ينهى ﷺ عن التمثيل بجثث القتلى من الكفار .. وذلك احتراما للصورة البشرية وما فيها من نفخة الروح الربانية .

ولكن مقصود كلامنا هو أن الخلافة فى الأرض لها درجات لا نهاية لها . وهى ما بين أحسن تقويم وأسفل سافلين.، وأن هذه الخلافة تستلزم وجود صفات معنوية فى الإنسان تقل وتزيد حسب درجة خلافته أو العكس بمعنى أن تكون خلافته على قدر ما فيه من هذه الصفات، وإن هذه الصفات المعنوية إنما هى درجة إيمانه باللَّه تعالى ومستوى طاعته لأوامره جَلَّ شأنه، أو هى بإختصار درجة معرفته باللَّه تعالى .

فالخليفة الكامل فى الأرض يمده اللَّه بلا شك بقوى وصفات من عنده تعالى تجعله قادرا على الانسجام والتآلف مع الموجودات الأخرى، وأول هذه الصفات هى قدرة الإنسان على رؤية هذه الكائنات وسمعها والتفاهم معها وفهم أسرارها واستجلاء معالمها وعوالمها الظاهرة والباطنة، وأعلى هذه الصفات هى تسخيرها والتآلف مع باطنها وحكمة وجودها وإدراك صلاتها وتسبيحها .

فإن قلت إن العلماء الكفار قد يستجْلُون بعض أسرار هذه الكائنات

الموجودة، نقول لك شتان ما بين علم الكفار بهذه الأمور، وبين ما نقصده من علم المؤمنين بتجليات الله تعالى فى هذه الكائنات ...

ولقد قال عفريت من الجن لسيدنا سليمان عليه السلام (النمل-٣٩) عندما طلب إحضار عرش بلقيس ملكة سبأ: ﴿ ... أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ...﴾ وذلك بخاصية قد خلقها اللّه تعالى فى الجن .. ولكن الذى عنده علم من الكتاب وهو من البشر ويقال إنه وزير سليمان قال له (النمل -٤٠): ﴿ ... أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ... ﴾ ، أى فى لمحة واحدة، وكلاهما صاحب قدرة .. ولكن وزير سليمان عنده سرٌّ خاص .. فشتان ما بين الاثنين وشتان ما بين الطرفتين ..

وعلى أية حالة فإن العالم الكافر باللّه قد يستجلى سر صنعة اللّه تعالى فى موجوداته بسر قد أودعه اللّه فيه من أسرار الخلافة أيضا .. وهو العلم مثلا .. واللّه تعالى يقول (الإسراء ١٨-٢١) : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾ ويقول جَلَّ شأنه فى سورة الروم : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ ، ثم قال تعالى (فى سورة فاطر -٢٨): ﴿ ...

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ... ﴾ ، بمعنى أنّ العلماء بالله تعالى العارفين به هم الذين يخشونه، وعلى قدر علمهم بالله على قدر ما تكون خشيتهم .

فليس العلم كله واحدا .. صحيح أن العلم كله من الله يوزعه حسب طاقة خلقه وعلى شاكلتهم، فهو للكافر والمؤمن، كل على قدره وعلى قدر ما هيئ له .. ولكن العلم بالله .. فهذا عزيز المنال .. ولا يمنحه الله تعالى الا لمن يحبه ويصطفيه، ولذلك شرط الله تعالى له شرط التقوى فقال (البقرة -٢٨٢) : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾، كما وصف العبد الصالح في سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾، فقد سبقت لهذا العبد الصالح رحمة خاصة من الله تعالى، تلاها علم خاص من لدنه تعالى .

فهناك علم ليس هو بالتحصيل ولا بالكسب ولا بالدراسة، ولكنه بتقوى الله تعالى وحسن عبادته وإكرام الله تعالى للعبد، وهذا حدّث عنه ولا حرج، امّا العلم الأول المكتسب فهو ظاهر من الحياة الدنيا فقط.. ولكن العلم الثاني هو ظاهر وباطن وسبحان المعطي الوهاب .

ولنضرب مثلا مبسطا للحالتين، مريض عرض على طبيبين أحدهما طبيب دنيوي عقلاني والآخر طبيب أخروي عقلاني، فالأول يصف الدواء ناظرا إلى خواصه في محاربة الجراثيم وأثره في جسم المريض، فإن شفي قال شفاه دوائي .. وإن فشل وصف له علاجا آخر والتمس الأعذار لفشل العلاج الأول .. أمّا الطبيب المؤمن فإنه يصف الدواء عارفا بمقوماته وخصائصه في محاربة الجراثيم، ولكنه ناظر ومتأكد من أن الشفاء من الله تعالى، فإن نجح العلاج قال شفاه الله لإيمانه بأن

الشفاء من اللّه وليس من الأسباب، وإن فشل وصف له العلاج الثانى، وقال له اللّه هو الشافى وليس الدواء، فالطبيبان كلاهما قد أخذ بالأسباب، ولكن الأول ناظر إلى الدواء .. والثانى ناظر إلى رب الدواء..، متمثلا قول رسول اللّه ﷺ وهو يقول لأصحابه "داووا مرضاكم بالصدقة"، كما رواه الديلمى عن ابن عمر، وهنا العجب فأى أثر للصدقة إلى فقير محتاج على مريض يعانى من علة نزلت بجسده !!! ولكنه الإيمان وسر قدرة اللّه تعالى .

فانظر رحمك اللّه كيف يربط سيدنا رسول اللّه ﷺ فى أذهان الناس الصلة بين الماديات والروحانيات، بين الصدقة وفعل الخير وما يقاس عليهما وبين العِلل وأسبابها المادية ..

وما نريد ان نصل إليهِ – وقد أطلنا فى مقدمته – هو أن عالم الملك أى عالم الشهادة، وما فيه من كائنات يستلزم لإدراكه ومعرفته أن يكون الإنسان فى أحسن تقويم، أو على الأقل فى تقويم حسن، فيجب ان تكون حواسه حسنة وأهم من ذلك ان يكون إدراكه حسنا.

وأهمية الإدراك هو أنَّهُ المترجم الحقيقى لكلِّ الحواسِّ من نظر وشم وسمع وخلافها، فالعين مثلا هى آله تطبع فيها الصور فقط، بلْ وتكون الصورة مصغرةً ومقلوبة على الشبكية ولا يتجاوز طولها المليمترات فقط، ولكن الإدراك هو الذى يترجم هذه الصور إلى حجمها ووضعها الطبعى الحقيقى وألوانها الطبعية ثم معرفة مسميات أصحابها ..

ونفس الوضع بالنسبة لباقى الحواس المادية، فهى أنَّما تنقل إلى المخ إشارات فقط لا فيها لون ولا رائحة .. امّا تعريف وتمييز هذه الإشارات وتعبيرها فهذا من شأن الإدراك الذى هو فى المخ كما يقولون..

فإذا تمادينا فى تساؤلنا عن دور المخ، فإننا نجده لا يزيد عن خلايا حية ذات تركيب خاص وبه إشارات كهربية لا غير .. صحيح أن فيه

مراكز أعصاب خاصة بكل حاسة، فالبصر له مركز .. والسمع له مركز .. والشم له مركز وهكذا .. ولكن يظل السؤال أينَ المترجم لهذه الإشارات !!! إنَّكَ لو شرحت مخ أي إنسان لن تجد به مكتبة فيها مراجع عن الألوان، ولن تجد به مراجع عن الأصوات، ولا الروائح .. ولن تجد إلاَّ كتلة من الخلايا .. فأين الإدراك ..؟ أين التمييز ..؟ .

والعجب أنك لو كنت مستغرقا فى عمل ما، وطرق أحدهم عليك الباب، فإنك قد لا تسمعه وتعلل ذلك باستغراقك فى ذلك العمل ..وهذا صحيح، ولكن السؤال هو : أين كان سمعك وأنت مستغرق فى عملك بيدك وعينك وليس بسمعك ؟؟ أليس أذناك هما أذناك سواء عند استغراقك فى عمل أو عدم استغراقك فيه ؟، فلماذا لم تسمع الطرق على الباب !! .

كذلك قد تصاب بجرح فى معركة .. ولكنك لا تشعر بالجرح ولا بألمه إلا بعد انتهائها !! أين كان احساسك خلال المعركة !!! هل تغير فيك شيئ من الناحية الحسية أثناء وبعد المعركة !!! بالطبع لم يتغير شيئٌ مادى .. ولكن فى الواقع إن الذى تغير بالفعل هو إدراكك أو تمييزك أثناء وبعد المعركة .. وأثناء استغراقك فى عمل ما، فمن الواضح أنَّ مُعَوَّلَ الأمر كله على الإدراك .. وليس على الأعين ولا الآذان ولا الحواس، وسبحان من يقول فى سورة (الأعراف-١٧٩) : ﴿ ... وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ... ﴾ ويقول (فى سورة الأعراف -١٩٨):﴿... وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ ، ثم يصف الكافرين فى سورة البقرة -١٧١ بأنّهم : ﴿ ... صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

ومعنى هذا أن الكفار لهم آذان ولكنهم لا يسمعون بها، فكأنما ليس لهم آذان .. وكذلك ليس لهم أعين وليس لهم لسان .. لأنهم لا يسمعون

كلام الله .. ولا يرون آياته .

إذا من هو الأعمى ومن هو البصير ؟ ! لا شك أن البصير هو المؤمن والأعمى هو الكافر .

ومن هو السامع ؟ ! إنه المؤمن والأصم هو الكافر .

ومن هو المتكلم ؟ ! إنه المؤمن والأبكم هو الكافر .

بلْ من هو الحى ومن هو الميت ؟ ! .

يقول تعالى يصف الكافرين فى سورة(الأنعام -١٢٢) : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ..﴾، ويقول لرسوله ﷺ فى كلامه عن الكافرين أيضا فى سورة النمل : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، ويقول فى سورة فاطر -٢٢ : ﴿... وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾

فالكفار أمواتٌ .. بلْ هم فى القبور .. أى قبور أنفسهم المادية ..

وخلاصة القول أن المستجلى لعالم الملك والشهادة ومخلوقات اللّه وآياته فى خلقه لا بد من أن يكون ذا إدراك سليم، فإذا نقص إدراكه عن الكمال نقصت مشاهداته ونقص علمه ونقصت خلافته فى الكون بنفس المقدار .. فلا يرى من عالم الشهادة ولا يفهم من عالم الملك، لأنه لا يستجلى آيات اللّه فيه إلاَّ على قدر إدراكه ..

أمّا كيف يكون إدراكه حسنا ومتكاملا فذلك ما سنتعرض له فيما بعد بإذن اللّه تعالى .

• عالم الغيب أو الملكوت :

خلصنا فيما سبق إلى أن عالم الشهادة هو كل ما يدرك من الموجودات بالإدراك المعتدل والحواس السليمة غير المعتلة بمرض مادى أو معنوى ..

وتعريف عالم الغيب هو بالتالى كل موجود لا يدرك بالحواس السليمة والإدراك المعتدل .

وهناك تعاريف كثيرة لعالم الغيب أو الملكوت كما يطلق عليه، ولكنى حريص على ألا أنقل إليك التعبيرات المعقدة، القديمة أو المحدثة ..

لذلك نقول ببساطة أن عالم الغيب هو كل موجود غاب عنك .. كل ما غاب عنك فهو غيب .. كل ما خفى عليك فهو غيب ..

نقول هذا التعريف على إطلاقه .. ثم نأتى بعد ذلك إلى التفصيل..

إذا كنت فى مكان ما وحدث حادث فى مكان آخر بعيد عنك ..، فهذا البعد بينك وبين الحادث قد جعله بالنسبة لك غيبا .. فأنت فى القاهرة لا تعرف ما يحدث فى الإسكندرية وقت وقوعه ..، اللّهم إلا إذا استعنت بأجهزة كالراديو أو التليفزيون تنقل إليك ما يحدث من على البعد وفور وقوعه .. وذلك أنّها تلغى المسافة بين مكان الحدث ومكانك فتراه وتسمعه وقت حدوثه وكأنك معه ..

إذا فالذى يجعل الأمر غيبا بالنسبة لك هو وجود حاجز بينك وبين

ما يحدث، وهذا الحاجز هو بعد المسافة أو وجود حائل سميك بينك وبينه كالجدار مثلا، فإنه يمنعك أن ترى ما يحدث خلفه، فيصبح كل ما يحدث خلف الجدار هو غيب بالنسبة لك ..

ونفس الأمر يتكرر مع الزمن .. ذلك أن ما سيحدث فى الغد هو غيب بالنسبة لك والسبب هو أن الزمن حائل بينك وبين الغد ..، فإذا جاء الغد وأصبح الزمن بينك وبينه صفرا أى صار المستقبل الذى كنت تنتظره حاضرا وحدث الحدث وشاهدته فإنه لم يعد غيبا .، فما سيحدث فى الغد هو غيب اليوم ..، وما سيحدث الآن هو غيب الأمس، وهكذا مع مرور الزمن تجد أن كل غيب زمنى لا يصير غيبا .، فكلما حان وقته حدث وصار حاضرا .. فمثلا إذا كانت المرأة حاملا فهى لا تدرى أحملها مؤنث أم مذكر .. فهو بالنسبة لها غيب ... حتى إذا حانت ساعة الوضع وبمجرد نزول المولود ومعرفة نوعه صار الغيب حاضرا ..

وعلى هذا يكون الحاجز الثانى بينك وبين الغيب هو عنصر الزمن. والحاجز الأول كما قلنا هو عنصر المسافة .

ومما سبق نستطيع القول بأن الغيب أنواع ..،

فمنه غيب موجودات غابت عنك لأنك لم تستطع إدراك وجودها بحواسك السليمة وإدراكك السليم المعتدل ..، ولكنك قد ترى هذا الغيب إذا استعنت بأجهزة حديثة ساعدت إدراكك كاستخدامك مثلا لجهاز أشعة سينية لترى ما فى عظام الإنسان داخل جسمه، أو جهاز تليفزيون أو هاتف ينقل إليك الصورة أو الصوت فور وقوعه .

وهناك غيب أحداث، وهو ما يكون الحاجز بينك وبينه هو حاجز الزمن .. كأحداث الغد مثلا بالنسبة لليوم ..

وباختصار يكون الأمر عنك غيبا لوجود حائل بينك وبينه .. إمّا حائل زمن وإمّا حائل مسافة ..

وتلاحظ أن الحالتين السابقتين يكون الغيب فيهما نسبيا ..، بمعنى أن ما يكون غيبا في لحظة لا يصير غيبا في لحظة تالية ..، وذلك متى انعدم حاجز الزمن أو حاجز المسافة ..، لذلك فهو غيب نسبي وليس مطلقا ..، أي ليس غيبا دائما ..

فإذا عرفنا الغيب النسبي بأنَّه ذلك الغيب الذى لا يصير غيبا بانعدام المانع بينك وبين مشاهدته أو سماعهِ ..، فعلى هذا يمكن تعريف الغيب المطلق بأنَّه ذلك الحادث أو المخلوق الذى يظل الحاجز بينك وبينه مستمرا .. ولا يمكنك بجهاز أو بصنعة ما أن تراه أو تسمعه أو تحس به بحواسك الخمسة المعروفة وإدراكك المعتدل كما قلنا .

فهذا النوع أو هذه الدرجة من الغيب هي غيب مطلق بالمفهوم العام..

فعلى سبيل المثال نحن نعلم أنَّ الجن عالم موجود، وكائنات مخلوقة وذلك بنص القرآن في سورة الحجر -٢٧ :﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ﴾، وفي سورة الرحمن -٣٣:﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... ﴾، وفي سورة الأحقاف -٢٩:﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ...﴾ ، إلى آخر مثل هذه الآيات في كتاب اللّه الكريم .. وهناك سورة كاملة تتحدث عنهم وهي سورة الجن ..

فالجن إذا مخلوق وموجود .. ويعيش بيننا ومعنا على الأرض ..، ولكنك لا تستطيع أن تراه ببصرك المجرد، ولا باستخدام جهاز خاص كما ترى الجراثيم بالميكروسكوب مثلا ..، لذلك يظل الجن غيبا عليك

حيث أنك بحواسك وإدراكك المعتدل لا تستطيع أن تراه ... وذلك لأنك أصلا غير معدٍ لرؤيته ...

فإن قلت إن بعض البشر قد رأوا أو سمعوا الجن ..، قلنا لك إن هذا وضع خاص بالنسبة للجن أو الرائى أو السامع أو لكليهما ..،

فإما أن يكون الجن قد نزل بخواصه الخلقية حتى يستطيع البشر أن يراه أو يسمعه ...، وهذه خاصية عنده .. قد خلقها اللّه تعالى فيه لا تنكر ..، فالجنى قادر على أن يتمثل فى صور مادية شتى تدخل حينئذ فى مجال إدراك البشرى فيسمعه ويراه ..،

والاحتمال الثانى هو أنَّ اللّه تعالى قد وهب ذلك الإنسى قدرة غير عادية، لسبب لا نعرفه بحيث يدرك الجن ويتعامل معه

وقد كان الجن فى الجاهلية تتعامل مع الكهنة وسدنة الأصنام وتكلمهم .. وذلك بعد بعثة رسول اللّه ﷺ ..، حيث كانت تقعد فى السماء مقاعد للسمع تسترق أخبار الملائكة، فلما بعث رسول اللّه ﷺ أُرْسِلَتْ عليها الشهب فاحرقت، ولم تعد تقعد مقاعد الاستماع تلك فى السموات، وذلك إكراما لرسول اللّه ﷺ، وحتى لا تسترق السمع إلى آيات القرآن، وهى تنزل من السماء، فتسبق به إلى الكهنة، كما كانت تفعل، واقرأ سورة الجن فى القرآن الكريم فإن فيها تفصيل ذلك ..

وكان نبى اللّه سليمان يخاطب الجن ويحكمهم ويؤدبهم ..، وقد روى مسلم عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه، أنَّه قد أمسك رسول اللّه ﷺ بجنى فى مسجده وأدَّبَهُ، وقال إنَّهُ كاد أن يربطه فى سارية المسجد ليلعب به الصبيان، لولا دعوة نبىِّ اللّه سليمان عليه السلام ..، والمعنى أنّ نبىَّ اللّه سليمان قد طلب من اللّه تعالى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده، وأنَّ اللّه حكَّمَهُ فى الإنس والجن والطير .. فرسول اللّه ﷺ قد ترك لسيدنا سليمان هذه الخاصية والحكم على الجن أدبا مع اللّه تعالى،

لتتم دعوة سليمان، أى ملكا لا ينبغى لأحد من بعده .،، وذلك مع قدرته ﷺ على تأديبه والحكم عليه..

ومقصودنا باختصار هو أن الإنسان ببشريته المعتدلة وإدراكه وحواسه السليمة لا يدرك الجنى لا بصنعة ولا بغير صنعة .. ولا بجهاز ولا بغير جهاز، اللّهم إلا بأمر اللّه تعالى وهو استثناء خاص ...

وعلى هذا يكون عالم الجن هو غيب مطلق لأنه يظل غيبا عنك دائما ...

ونفس الأمر بالنسبة للملائكة .. وما أكثر عددهم وأنواعهم ودرجاتهم، ولكنهم يظلون دائما فى عالم الغيب، لا يدركون بحيلة ولا جهاز ولا آلة .، ولكن يمكن إدراكهم بالاستثنائين السابقين، وهو تمييز اللّه تعالى لعبد من عباده بقدرته على رؤيتهم وسماعهم .، أو بتنزل الملك عن ماهيته ليدخل فى دائرة إدراك الإنسان .

وقد رأت الصحابة رضوان اللّه عليهم سيدنا جبريل عليه السلام فى صورة الصحابى دحية الكلبى .،، كما رأته فى صورة رجل جاء يسأل رسول اللّه ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان كما فى الحديث المشهور .، ففى هذه الحالة تمثل سيدنا جبريل عليه السلام بصورة آدمى .. شديد بياض الثياب .. شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ..

كما كان بعض الصحابة تسمع سلام الملائكة عليهم، كما سمع بعض الصحابة صوت الملائكة فى غزوة بدر وهى تقول" اضرب حيزوم"، "أقبل حيزوم"، سمعوا صوتا ولم يروا صورة .، وحيزوم هذا اسم ملك من الملائكة . وقد رواه مسلم، عن"ابن عباس" رضى اللّه عنه .

روى البيهقى عن"ابن عباس بن عبد المطلب" أنَّهُ قد أرسل ابنه"عبد اللّه ابن عباس" إلى رسول اللّه ﷺ فى حاجة، فوجد عنده رجلا، فرجع، ولم يكلمه من أجل مكان الرجل، فلقى العباس رسول اللّه

ﷺ فأخبره بذلك فقال : ورآه ؟؟، قال نعم، قال أتدرى من ذلك الرجل؟؟ ذاك جبريل، ولن يموت حتى يذهب بصره ويؤتى علما .

ولم يرى جبريلَ عند رسول اللّه فى ذلك المجلس إلا ابن عباس، فهذه خصوصية له، وصدق رسول اللّه، فإن ابن عباس لم يمت حتى كان حبر الأمّة وقد ذهب بصره كما أخبر ﷺ.

وهكذا يظل عالم الملائكة من الغيب دائما أبدا لا يدرك بالحواس المادية البشرية ذات الإدراك المعتدل .. وذلك باستثناء من خصَّهُ اللّه تعالى من خلقه بشيئ من هذه القدرات ..

ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة فصلت : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

تقول الملائكة للمؤمنين، نحن أوليائكم فى الحياة الدنيا ... وهذا يدل على أن البُشرى لهم إنَّمَا تكون وهُم فى الحياة الدنيا ..، فالملائكة تتولاهم وتطمئنهم على آخرتهم وما فيها من نعيم .

ولا مجال للقول بأن هذه البشرى إنّما تكون فى الآخرة وبعد الموت ..، وذلك لأن المؤمن بعد الموت قد عرف مكانه ودرجته كما هو معروف، وتمت دنياه وأدبرت عنه واستقبل آخرته وعرف ما له وما عليه، فأية بشرى تكون له حينئذ من الملائكة، وكيف تكون البشرى بأنَّهُم أوليائهم فى الحياة الدنيا وقد سبقت وانتهت !!

إنّ هذه الآية الكريمة، والشيئ بالشيئ يذكر، قريبة الشبه فى دقة

معناها بقوله تعالى فى سورة ابراهيم – آية ٢٧: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ، فإن من المعروف أنَّ الفتن في الدنيا كثيرة ويتعرض لها الخلق أجمعون ومنهم الذين آمنوا، ولكن اللّه تعالى يثبتهم بالقول الثابت فى فتن الدنيا .. وهذا أمر منطقى ..، ولكن نحن نعلم أن الآخرة ليست بدار فتن ولا امتحان، فكيف يكون التثبيت من اللّه فيها !!

نُجيبُ بأنّه من المعروف أيضا أنَّهُ ليست هناك فتن بعد الموت إلاَّ فى سؤال الملكين فى القبر، وهو صحيح، وقد تواترت به الأحاديث الشريفة ..، فيكون المعنى حينئذ واضحا وهو أن اللّه تعالى يثبت الذين آمنوا عند هذا السؤال فى القبر .. والقبر هو أول مداخل الآخرة.

وخلاصة القول هو أن عالم الملائكة هو من عالم الغيب المطلق كعالم الجن الغيبى.

ثم نأتى إلى أمر عجيب ...

تمعن فى الآيات القرآنية التالية:

فى سورة الصافات:﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ وفى سورة آل عمران–٣٠ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ... ﴾ وفى سورة الفرقان: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ وفى سورةفاطر – ١٠ : ﴿... إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ .... ﴾ وفى سورة الكهف – ٤٩ : ﴿ ... وَوَجَدُواْ

مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ... ﴾

ويقول بعض المفسرين بأن المقصود من الكلم الطيب هو قول لا إله إلا الله ... وأيًا كان المعنى المقصود منه فما يلفت نظرنا هو التعبير بالصعود والرفع .. والحضور .. فمن المعروف أن الصعود والرفع لا يكون إلا لمخلوق .. لكائن يصعد ويهبط ويحضر ويغيب، وقول اللّه تعالى : "وَاللَّه خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ" .، إذا فُهمت على إطلاقها تحسم الأمر تماماً بأن أعمال العباد هى مخلوقات ... لها كيان وصعود وهبوط وحضور وغياب، وهذا بصرف النظر عن نوع هذه الأعمال . سواء أكانت معصية أم طاعة ... فالفعل قائم بذاته ... هو عمل مستقل ... فقتل الكافرين فى الحرب فرض جهاد يُدخِل الجنة .. وقتل المؤمنين لأى سبب غير شرعى كبيرة يوجب دخول النار، والفعل واحد، هذا قتل وهذا قتل، ولكن الذى صَيِّر هذا عبادة وصَيَّرَ هذا من الكبائر هو النيَّة التى فى القلب.

فالفعل مخلوق مجرد لا هو طاعة ولا هو معصية ...، وهذا الفعل أنت قد أوجدته بقوتك التى خلقها اللّه فيك، ولذلك فهذه الأعمال منسوبة إليك بالإضافة وليست بالخلق .. فأنت لم تخلقها، فخالقها هو اللّه تعالى ولكنها وجدت عن طريقك وبسببك ...، وطالما أن الأفعال مخلوقة ولها كيان، فلابد من أن تكون مسبحة للّه تعالى عارفة به، فإن كل المخلوقات تسبح بحمده جَلَّ شأنه العظيم.

والمقصود من نسبة الأفعال إليك نسبة إضافة أنها مثل ولدك الذى من صلبك ...، فهو منسوب إليك بلْ ويحمل صفاتك ...، فأنت قد أوجدته بعملك المشترك مع أمه التى ولدته ...، فهو منسوب إليكما.. نسبة إضافة...، ولكن الذى خلقه وصوره ونفخ فيه من روحه هو اللّه تعالى ...، فابنك منسوب إليك إضافة ومنسوب إلى اللّه خلقا وإنشاء ...﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ ..في سورة الصافات، ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهۡرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ في سورة الفرقان .. ويقرب الله المعنى حيث يقول في سورة النساء –١٧١ : ﴿ ... إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٌ مِّنۡهُ ... ﴾ .. فالخلق كلمة من كلام الله تعالى الذى هو صفة من صفاته .. والله جَلَّ شأنه منزه عن الكلام باللسان والشفتين ككلام البشر تعالى الله عما نقول علوا كبيرا.

فمقصود قولنا هو أن نصل إلى أن جميع أفعال العباد من خير وشر وطاعة ومعصية هى مخلوقات قائمة بذاتها لها كيان ووجود وتسبيح للّه تعالى على الدوام، شأنها شأن باقى المخلوقات ...

وقد قيل إن العبد المذنب إذا تاب وصحت توبته من معصية فعلها.. فإن الله تعالى بجوده وكرمه وفرحه بعبده التائب يجعل تسبيح هذا الفعل الذى تاب منه – والذى هو مخلوق كما قلنا ويسبح الله – فى صحيفة العبد التائب .. ويظل هذا الثواب من تسبيح المعصية المخلوقة فى كتاب صاحبها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

يقول تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ ... فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍ ۗ ﴾

وهذا الذى ذكرناه هو عالم آخر من عوالم الغيب والملكوت..

ونأتى إلى عالم آخر شأنه أعجب ..، نعيشه ولا نعيشه ..، ونراه ولا نراه . ذلك هو عالم الرؤيا أو المثال كما يطلقون عليه ...

فمن المعروف أنَّ النائم يفقد إدراكه بحواسه، ولا يميز ما حوله

وهو نائم، فهو لا يرى ولا يسمع ولا يستخدم حواسه البشرية ولا يدرك ما حوله ولا ما يصدر منه هو نفسه ..، لذلك فالنوم ناقض للوضوء لأن النائم لا يدرى ماذا خرج منه .. ورغم انعدام هذه الحواس والملكات .. فإنه يرى رؤى فيها أحداث منطقية وغير منطقية .، ويطير فى الهواء، ويزيد طوله ويقصر ..، ويرى أشياء لا صلة لها بالقوانين الأرضية البشرية ..، والأعجب من هذا انه قد يرى أحداث فى منامه ثم تحدث كما رآها تماما، أو بتفسير رموز قد رآها، وهو ما يسمى عند أهل هذا العلم بالتعبير أو التأويل.

ولنا هنا أن نتساءل أسئلة هامّة:

الأول : أين ومتى وكيف رأى النائم هذه الرؤيا بينما عيناه مغلقتان وهو لا يرى ما حوله ولا يسمع ولا يحس بما يحيط به فى مكان نومه ؟ فكيف رأى وسمع وأحس ؟.

الثانى : ما يراه فى منامه ثم يتحقق بعد استيقاظه كما رآه أو بتحريف بسيط .. ما معناه !!! وأى ارتباط بين الأحداث التى رآها فى المنام والتى حدثت حقيقة !!!

الثالث : لماذا يرى النائم رموزا فى رؤيا تحتاج إلى تأويل وتعبير ولا يرى الأمور بمقاييسها فى الدنيا ؟

لا يتسع المجال هنا لشرح هذه التساؤلات ... ولكن سوف يأتى إيضاح بعضها فى الفصول القادمة بإذن اللّه

ولكنا نلقى بعض الضوء على هذا العالم العجيب .. فنقول وباللّه التوفيق إن الرؤيا حق معلوم .. ومتواتر بين الناس ..، يقول ﷺ فيما يرويه البخارى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه "ذهبت النبوة ولم يبق إلا المبشرات .. قيل وما المبشرات يا رسول اللّه .. قال هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له" كما قال ﷺ فيما رواه ابن ماجة عن" أم كرز"

ورواه الطبرانى عن" حذيفة"

ورؤيا الأنبياء هى وحى من اللّه تعالى، فسيدنا إبراهيم رأى فى المنام أنه يذبح أبنه إسماعيل فقام لينفذ ما امر به مناما .. حتى تصل القصة إلى آخر قوله تعالى فى سورة الصافات : ﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .. ورسولنا ﷺ ظل ستة أشهر قبيل البعثة يرى الرؤيا فتأتى مثل فلق الصبح، أى تحدث بلا تأويل أو تعبير، ويقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه" إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة .."، ولأهل العلم والمعرفة تفسيرات كثيرة لحكمة هذا التقسيم النبوى بأنَّها جزء من ستة وأربعين جزءا .

وقد رأى سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام رؤياه التى قصها اللّه علينا فى القرآن الكريم وهو غلام صغير، وتحققت بعد بضع وعشرين سنة أو أكثر (سورة يوسف -٤) : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾، وتحققت رؤياه وهو فى كمال رجولته بعد أن أصبح عزيز مصر :﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يوسف-١٠٠).

وعزيز مصر قبل ولاية سيدنا يوسف - ولم يكن مؤمنا - رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف .. وسبع سنبلات خضر .. وأخر يابسات

فكان تأويل سيدنا يوسف لها بسبع سنوات من الخير والرزق الوفير وسبع سنوات من القحط .. إلى آخر القصة المذكورة فى القرآن.

وصاحبا سيدنا يوسف فى السجن - ولم يكونا مؤمنين - رأى أحدهما أنه يعصر خمرا .. ورأى الأخر أنه يحمل فوق رأسه خبزا تأكل الطير منه .. فكان تأويل سيدنا يوسف لهما بأن الأول سوف يصير ساقى الملك .، امّا الثانى فسوف يصلب فتأكل الطير من رأسه ..

إذا فالرؤيا الحق قد تكون لنبى .. وقد تكون لغير نبى .. وقد تكون لمؤمن .. وقد تكون لغير مؤمن ..، والرؤيا الحق قد تحتاج إلى تعبير وتأويل .. وقد لا تحتاج وتأتى كفلق الصبح ..

ويأتى قول اللّه تعالى فى سورة الأنفال : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾.. فالآية " إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا " هنا صريحة فى أن الرؤيا من اللّه تعالى .

وقد كان رسول اللّه ﷺ إذا أصبح يسأل أصحابه إن كان أحدهم قد رأى رؤيا فى ليلته تلك .، وكان ﷺ يفسرها لهم أو يؤولها لهم ..، وكذلك كان يفعل أبو بكر رضى الله عنه .. والروايات عنه كثيرة فى هذا الشأن ..

والرؤيا درجات وليست درجة واحدة .. فقد كان رسول اللّه ﷺ يوصى أصحابه بأن من رأى منهم رؤيا تحزنه فعليه أن يستعيذ باللّه من الشيطان، ويتفل على يساره ثلاثا، ويتحول إلى الجنب الاخر .. ويقول لهم إنَّمَا هى من الشيطان ..، كما ورد فى حديث أبى قتادة رضى اللّه عنه والمتفق عليه .

وقد كان سيدنا خالد بن الوليد رضى الله عنه كثير التفزع والأرق فى منامه فأوصاه ﷺ بأن يقول إذا وضع جنبه للنوم" أعوذ بكلمات الله التامات من غضب الله وعذابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون" .. وقد روى مثله الإمام النسائى .

وعندما قصَّ عزيز مصر رؤياه على حكماء مصر، قالوا له إنما هى أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ..

فالرؤيا درجات ثلاث .. رؤيا حق .. ورؤيا من الشيطان .. ورؤيا أضغاث أحلام .

ثم إن الرؤيا الحق لها درجات كثيرة، ما بين أن تأتى كفلق الصبح أو تأتى بتأويل وتعبير لرموزها، وهذا علم كبير له متخصصون فى قواعده وأصوله، وقد برع فيه كثير من التابعين، كسيدى جعفر الصادق وتلميذه ابن سيرين وغيرهم ..

ولسنا فى معرض الحديث عنه لذاته، ولكن من الواضح أن هذه الرؤى لها عالم خاص .. بأشكاله ورموزه وقوانينه ..، وذلك لأن الإنسان لا يرى إلا ما هو موجود . إلا ما هو مخلوق فعلا ..، فذلك أمر بدهى .، ولكن المشكلة فى كيفية حدوثه أو وجوده وكيفية رؤيته .،

بلْ حتى الخيال والوهم الذى تتوهم فيه صورا شتى من محض خيالك وتصوراتك .، هذا الخيال لو لم يكن موجودا – مهما كانت غرابته فى نظرك – أقول لو لم يكن مخلوقا وموجودا فعلا بكيفية ما لما استطعت أن تتخيله .

فكل ما تراه أو تتصوره هو موجود فعلا ..، وإلا فكيف ترى العدم ؟! العدم لا يُرَى ..

وسوف نفصل هذا الأمر عند الكلام عن النفس بإذن الله تعالى .

ونريد أن نشير إلى حقيقة أخرى .. وذلك أن الإنسان وهو نائم .. وعندما تغيب حواسه البشرية ومدركاته المادية .. ولا يعى ما حوله من الماديات.، فإنه وهو فى تلك الحالة يستطيع أن يرى ويسمع ويدرك بكيفية خاصة غير بصره وغير سمعه وإدراكه بمنطقه المعتاد .

وهذا الأمر ليس له إلا تفسير واحد .،، ذلك ان الإنسان فى داخله قوى أخرى غير مرئية تستطيع أن ترى وتسمع وتدرك بغير الأذن والعين البشريتين وبغير الإدراك المعتاد .،،

بلْ والاكثر من هذا أن ما يراه فى منامه فهو يتذكره بعد يقظته .،، ويقصه عليك كأنه يراه .،، فلابد إذا ان تكون هذه القوى الخفيه فيه مشتركة بين النوم واليقظة .،،

فهى فيه وهو نائم .. وهى فيه وهو يقظان .،، ولكنه لا يدركها ولا يتعامل معها إلا وهو نائم .. فاقد الحس الحيوانى البشرى ..

وتلك هى النفس أو الروح – ولنتجاوز الآن عن اسمها الحقيقى – وسوف يأتى بيانها مفصلا فيما بعد بإذن اللّه ...

هذه النفس أو الروح تستطيع بطاقاتها أن تتصل بعوالم أخرى مثل عالم الرؤيا وتقابل الأموات وتتحدث معهم وتتزاور معهم أو يتزاورون معها...

وقد قيل إن هذه الطاقة الخفية فى الإنسان إذا سَبَحت خلال نومه فى الأرض ولم تتجاوزها، فإنّها لا ترى إلا أضغاث أحلام .،، وإذا سبحت فى السموات، ولكن دون العرش -أقصد عرش اللّه تعالى- فإنّها ترى الرؤيا برمز وتأويل .. أمّا إذا وصلت إلى العرش فرؤياه حق بلا تأويل..

وقيل أيضا إن الرؤيا التى تكون كفلق الصبح إنّما هى من اللّه .،،

والتى تكون ذات رمز وتأويل فهى من الملائكة المختصين بعالم الرؤيا..، وإذا كانت أضغاث أحلام فهى من النفس أو الشيطان ...

وباختصار فإن عالم الرؤيا أو عالم المثال كما يقولون، هو عالم غيبى كامل بمقوماته ورموزه وأسراره، ولا يمكن الاطلاع عليه بالحواس البشرية من سمع وبصر، وكم ترى نائِمَيْن متجاوِرَيْن : أحدهما يرى فى منامه عكس ما يراه الآخر ..، هذا فى نعيم وذاك فى هم مقيم .، وهذا يرى بليل وذاك يرى بنهار .. ولا تتداخل رؤيتاهما فيما بينهما ..، وسبحان الخالق البارئ المصور عالم الغيب والشهادة .

أمّا السبب فى أنّك لا ترى عالم المثال وأنت يقظان، فذلك لأن بينك وبينه حجابا لا يرفع إلا بنومك ..، ونومك ما هو إلا إلغاء لحواسك البشرية المادية ..، وهذا الحجاب هو فى الحقيقة بين النفس أو الروح وبين جسدك المادى والبشرى ..

وعلى العموم فهذا عالم ثالث من عوالم الملكوت ...

وهل هناك عوالم أخرى غيبية !!؟

لو أردت أن تحصى مثل هذه العوالم الغيبية لما استطعت.. لا أنت ولا غيرك.

انظر وافهم رحمك الله ..

لقد رأى رسول الله ﷺ ليلة أسرى به أقواما يعذبون ..، وأقواما ينعمون ..، فرأى أهل الزنا .. وتاركى الصلاة .. والنمامين والمغتابين .. وآكلى الربا .. وعذابهم وشقاؤهم ..، والمجاهدين فى سبيل الله رآهم ﷺ يزرعون فى يوم .. ويحصدون فى يوم .. وكلما حصدوا عاد كما كان..

أين وكيف تظن أن رسول الله ﷺ قد رأى كل هذا ؟؟!!

وهل ظل رسول الله ﷺ يومين ليرى من يزرع فى يوم ويحصد فى يوم . أم أن الزمن قد اختلفت مقاييسه فى تلك اللحظة ؟!

أليست هذه عوالم أخرى من عوالم الغيب .

وأين أنت من أحاديث عذاب القبر ونعيمه، كما وردت عن رسول اللّه ﷺ !؟؟، عذاب القبر تسمعه كل البهائم والخلائق ما عدا الإنس والجن ..، عذاب ونعيم فى القبور قبل يوم البعث وقبل دخول الجنة والنار ..

أليس هذا عالم آخر من عوالم الغيب ؟!

وأين تلك الأرواح التى قبضها اللّه عندما جاء أجلها ؟، أين أرواح الموتى من المسلمين والكافرين ؟ فلا هى فى الدنيا .. ولا هى فى الآخرة !! صحيح أنَّها قد أشرفت على الآخرة بتركها الدنيا ..، ولكن يوم البعث لم يحن بعد .. ولم يحاسب الناس ولم يدخلوا الجنة أو النار ..

فهذا عالم آخر من عوالم الملكوت .. لا هو من الدنيا ولا هو من الآخرة وفيه نفحة من العذاب .. وفيه نفحة من النعيم ...

ويقول ﷺ إنَّهُ لا يرد القضاء إلا الدعاء ... وإنَّ البلاء لينزل من السماء فيقابله الدعاء صاعدا إلى السماء (أى دعاء العبد لربه) فيعتلجان إلى يوم القيامة (أى يتصارعان) ولا يصل البلاء إلى صاحبه ببركه دعائه... أو كما قال ﷺ فى حديث السيدة عائشة الذى رواه الحاكم والبزار .

ويا سبحان اللّه .. هذا ينزل .. وهذا يصعد .. ويتعاركان ..

أليس هذا عالم آخر من عوالم الملكوت ؟؟!!.

ومهما نعد ونحصى فإنما ذلك على قدر إدراكنا وعقولنا ..، وعلى قدر ما علمنا، ولكن حقيقة الأمر أنَّهُ لا يعلم جنود ربك إلا هو .. وما هى

إلا ذكرى للبشر ..

وعلى هذا فمن الممكن أن نقول أن عالم الملكوت هو عالم الأرواح والنفوس المجردة .. بينما عالم الملك هو عالم الماديات .

* * *

موجز الباب الأول

فإذا أردنا إيجاز ما قدمنا فى نقاط صغيرة لقلنا ما يلى :

●عالم الملك والشهادة : هو كل ما تدركه بحواسك البشرية السليمة وإدراكك المعتدل، وهو عالم له مادة ومقدار وتحدُّهُ المسافة والزمن .

●عالم الغيب والملكوت : هو كل ما لا تدركه بالحواس البشرية وهو عالم الأرواح والنفوس المجردة وهو ليس مادة ولا مقدارا ولا تحده مسافة ولا زمن .

●الأفلاك والجماد والطير والنبات والحيوان لها إحساس وإدراك ومعرفة بالطائع والعاصى ويسبحون اللّه تعالى.

●عندما ينام الإنسان ويفقد القدرة على استخدام حواسه البشرية تنشط عنده قوة خفية أخرى يطلع بها على بعض عوالم الملكوت .

●الغيب درجات ... منه النسبى ومنه المطلق .. وكلاهما محجوب عنك بحجاب مادىّ أو معنوى (المسافة والزمن أو صفاتك البشرية النفسية)

●كل ما تراه أو تتخيله أو تراه فى منامك هو صور لموجودات ومخلوقات كائنة بكيفية ما فى عوالم خاصة بها

●من عوالم الملكوت عالم يسمى بعالم المثال وهو ليس له مادة ولكن له مقدار، تماما مثل الصورة فى المرآة، فالصورة لها مقدار فى المرآة ولكن ليس لها مادة .

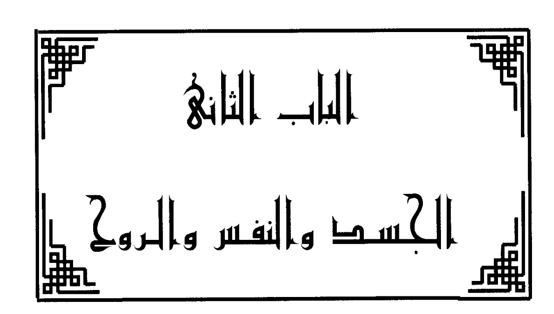
●خلافتك فى الأرض قد تكون فى درجة أحسن تقويم وقد تكون

في درجة أسفل سافلين .. والدرجات بينهما لا تعد ولا تحصى .

***

اللَّهم إنّا نسألك علم المؤمنين .. ويقين العارفين .. وزدنا بك علما وإليك اهتداء .. سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

وصلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.


الباب الثاني
الجسد والنفس والروح

توصلنا فى الباب السابق إلى أنّ الإنسان يتكون من الجسد والنفس أو الروح وهو تلك القوة الخفية فيه والتى يتعامل بها مع عالم الغيب كما يظهر هذا من خلال نومه مثلا ، أمّا الجسد فمعلوم أنّه يتعامل مع عالم الملك والشهادة بحواسّه المعروفة وإدراكه المعتدل.

ونريد الآن أن نلقى نظرة مبسطة على الإنسان.. هذا المخلوق ذى القدرات العجيبة الذى يرى فى منامه كما يرى فى يقظته.. خليفة الله فى الأرض..

يقول تعالى فى سورة الحجر : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

ويقول تعالى فى سورة المؤمنون: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

ويقول عز من قائل فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

ونستجلي من هذه الآيات الحقائق التالية :

أولا : أن الله تعالى قد خلق آدم أبا للبشر من صلصال من حمإ مسنون (الطين المحمى).

ثانيا : أن الله تعالى قد نفخ فيه من روحه .. وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا إلا إبليس.

ثالثا : أن الله تعالى قد علم آدم الأسماء كلها بينما كان علم

الملائكة قاصرا عن معرفتها.

رابعا : أن اللّه تعالى قد خلق آدم وذريته ليكون الخليفة فى الأرض.

خامسا : أن اللّه تعالى قد جعل نسل آدم من ماء مهين فى قرار مكين، ثم خلق النطفة علقة ثم خلق العلقة مضغة وخلق المضغة عظاما وكسا العظام لحما.. وبعد ذلك أنشأه خلقا آخر..

سادسا : أن اللّه تعالى قدر الموت على بنى آدم، كُلٌّ إلى أجله.. ثم البعث يوم القيامة ليروا أعمالهم ويحاسبوا عليها.

سابعا : يكون الموت عندما تنفصل الروح عن الجسد انفصالا تاما، ونقول انفصالا تاما لأن هناك انفصالا غير تام يحدث عند النوم.. أمّا عند الموت، فيذهب كل جوهر إلى عالمه فالجسد الذى هو من طين يعود إلى الأرض التى خلق منها.. والروح تعود إلى بارئها جَلَّ شأنه.

ويقول ﷺ "إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليهِ الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ، فو الذى لا إله إلا هو إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" رواه مسلم.

وصدق رسول اللّه ﷺ فقد اثبت العلم الحديث أنَّ الجنين لا تدب فيه الحياة إلا بعد مرور مائة وعشرين يوما من بداية الحمل.. وهى نهاية الشهر الرابع.. وقبل ذلك لا يكون به حراك.. ولكنه يتحرك عند نفخ الروح فيه كما يقول ﷺ.. وقبل ذلك يعتبر ميتا لا روح فيه..

وكذلك بعد الولادة.. يموت الإنسان.. إذا نزعت منه الروح.. فالروح هى مانحة الحياة للبدن..

فإذا نظرت لإنسان قد مات لِتوه ، فانك لا ترى فارقا بين الحى والميت سوى أن القلب قد توقف عن النبض.. ، والرئتين عن التنفس.. ولا يجرى الدم فى العروق.. فيبرد البدن ويفقد الميت كل حواسه..

فهل معنى هذا أن الروح كان مركزها القلب ، وتضخ مع الدم فى العروق فلما مات الإنسان وتوقف القلب وتوقف الدم ، لم تعد الروح تسرى فى البدن فخرجت منه وتركته ميتا..، أم أن الروح وهى فى مكانها فى الجسم هى التى كانت تأمر القلب بالنبض ، ودفع الدم فى العروق حاملا معه سر الحياة إلى الجسد كله.. ، فلما فارقت الروح الجسد لسبب ما.. ، توقف القلب عن النبض وتوقفت بالتالى أجهزة الجسم الحيوية فحدث الموت !!!..؟.

الحالة الأولى تحدث عندما يقتل الإنسان فيتلف الجسد ولا يسرى فيه الدم فتتركه الروح.

والحالة الثانية هى حالة الموت العادى حيث تفارق الروح الجسد فيتوقف القلب ولا يجرى الدم فى العروق ويموت..

وما يهمنا فى الافتراضين هو أن الروح هى المحرك للبدن، وهى التى تمدُّه بمقومات الحياة والمدارك والحركة.. أمّا الجسد فما هو إلا قالب مادى أرضى ترابى، خلقه اللّه من طين، وجعل اللّه له عينين ولسانا وشفتين وأحسن خلقه وتكوينه ، وجعله وعاء للروح لا يتحرك ولا يعيش فى الدنيا إلا بها.. فهو حى بها.. ميت بدونها..

ويقول الأطباء أنّ الموت يحدث أولا فى المخ ، وهو المسيطر على القلب وهو الذى يرسل الإشارات الكهربية إليهِ ، لتشغيله والائتمار

بأمره ضعفا وقوة.. فإذا تعطل المخ تعطل القلب بالتالى ومات الإنسان لعدم سريان الروح فيه..

فهل معنى هذا أنَّ الروح التى نتكلم عنها يكون مكانها فى المخ وليس القلب !! وهى التى تأمر المخ ليرسل الإشارات إلى القلب بالنبض وسريان الدم، فإذا حدث الموت انفصلت الروح عن المخ وبالتالى لم يعد المخ قادرا على تشغيل القلب، فيتوقف القلب عن النبض ويتوقف الدم !!!..؟..

لقد سبقت الإشارة فى الباب الأول بأن المُخَّ ليس فيه سوى مراكز عصبية للحواس والإدراك وأنَّهُ يرسل إشارات كهربية إلى القلب وإلى الأعصاب.. ولكنه لا يزيد عن كتلة من الخلايا الفسفورية.. فكيف تتم الرؤيا وكيف يتم السمع والإدراك والفهم والتفكير ؟

وإذا كان اللّه تعالى قد نفخ فى الإنسان من روحه.. والروح من اللّه .. فلابد أن تكون كامِلَة مُكَمَّلَةً عارفة معرفة مؤمنة بطبعها، لأنها من اللّه حيث يقول فى سورة الحجر-٢٩ :﴿...وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي...﴾

إذا كيف يكون الإنسان تارة مؤمنا وتارة كافرا وفيه روح اللّه ، وهى مؤمنة بجوهرها.

وسؤال آخر : من المعلوم أنَّ الإنسان ينمو من الطفولة إلى الشباب.. إلى الكهولة.، ويتعلم مع نموه.. وتزداد مداركه وعلومه مع تقدمه فى السن.، فهل معنى هذا أنَّ الروح التى فيه كانت جاهلة فى بدايتها ، ثم تعلمت مع الزمن واتسعت مداركها ؟؟؟...

والسؤال الأول وهو كون الإنسان مرة مؤمنا ومرة كافراً، إجابته محل نظر وسوف يأتى تفصيلها..

أمّا السؤال الثانى عن تدرج معارف الروح فمرفوض بالقطع..

ذلك لأنّ الروح من اللّه تعالى.. كاملة عالمة بذاتها وبجوهرها لا يزيد علمها ولا ينقص.. هذا أمر بدهى.. أمّا الذى يزيد وينقص فهو الجسد الترابى.. انظر قول اللّه تعالى:﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾(الروم- ٥٤)

والمقصود هو الطفولة وضعفها.. والرجولة وقوتها.. والكهولة وضعفها..

ولكن قول اللّه تعالى : ﴿... وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾(النحل- ٧٠) ، يدل على أنّ هناك علما مكتسبا خلال هذه الحياة.. وأن الإنسان إذا بلغ أرذل العمر يبدأ فى فقد ما تعلمه واكتسبه.. ويكون من الواضح أنّ هُناك علماً موجوداً أصلا فى الإنسان..وعلما آخر يُكْتَسَبُ خلال حياته المادية على الأرض..وسوف نتعرض بالتفصيل لكل منهما فيما بعد.

ولكن تساؤلنا يزداد حين نقرأ خطاب اللّه تعالى فى القرآن الكريم للإنسان.. يقول تعالى فى سورة الانفطار: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ ﴾ ، ويقول فى سورة الحجرات : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ ، ويقول فى سورة الأعراف : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ

ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

والقرآن الكريم ملئ بالنداء : يأيها الكافرون.. يأيها المؤمنون... وكل هذا مفهوم ولكن الله تعالى لم يخاطب الروح مرة واحدة فى جميع القرآن الكريم.. ليس هناك فى القرآن أى خطاب للروح، ولا تكليف لها بعمل، ولا تأنيب على فعل، ولا أى ذكر من صفات حسنة أو قبيحة.

ولكننا نجد آيات كثيرة تخاطب شيئا آخر ومسمى مختلفا ألا وهى النفس.. يقول تعالى فى سورة الفجر : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾

ويقول فى سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾

ويقول فى سورة يوسف – ٥٣ : ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾

وفى سورة القيامة: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾

وفى سورة المدثر : ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾

وفى سورة النحل –١١١ : ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا... ﴾

وفى سورة الحشر –٩ : ﴿... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾

ويقول فى سورة الطلاق-١:﴿... وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ...﴾

ويقول فى سورة الإسراء - ٢٥: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ...﴾

ويقول فى سورة الأنبياء -٣٥ : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾

وآيات كثيرة غير ما ذكرنا وكلها مخاطبة للنفس أو وصف لها.

فترى أن النفس هى محل الخطاب فى القرآن الكريم.. وهى مرة أمارة بالسوء ومرة لوامة.. ومرة مطمئنة.. وراضية.. ومرضية.. وهى محل التكليف والأوامر والنواهى ، وهى محل الحساب يوم القيامة والثواب والعقاب ، لذلك فقد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها..

وهى تموت.. وموتها هو خروجها نهائيا من البـدن ، يقول تعالى فى سورة الزمر :﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٤٢﴾

وتزداد تساؤلاتنا بالتفكير فى آيات الله تعالى المنزلة فى كتابه الكريم.،. فالله تعالى فى معرض الحديث عن آياته فى الكون واستجلاء حقائقها يذكر مسميات أخرى مثل القلب واللب والنهى والبصيرة والعقل كما فى الآيات التالية :

﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ (الحج-٤٦)

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾(المطففين-١٤)

﴿... إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ ... ﴾

(الكهف-٥٧)

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ (ق-٣٧)

﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾(طه-٥٤)

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (طه-١٢٨)

﴿... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾(البقرة-٢٦٩)

﴿...فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(المائدة-١٠٠)

﴿... أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الزمر-١٨)

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾(الملك-١٠)

﴿... إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾(الرعد-٤)

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ... ﴾(يونس-١٠٠)

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾(القيامة-١٤)

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾

(يوسف-١٠٨)

وتلاحظ أن الآيات تشير إلى التدبر والتفكر وأنه إنما يكون بالقلب ولأولى النهى ولأولى الألباب وأولى البصائر.. فهذه المسميات هى محل الهواية والغواية فى الإنسان.. فما هى صلتها بالنفس أو الروح!!.

فإذا أردنا ان نعيد تنظيم تساؤلاتنا نقول :

ما هى النفس أو الروح !! وأين مكانها !! وما صلتها بالجسد !!

وما هى قواها الخفية التى تدرك بها وتتعامل بها مع عوالم الملكوت أو عوالم الغيب !!

وما صلتها بالقلب واللب والنهى !!

وأحب أن أشير قبل الإجابة على هذه الأسئلة إلى أن قول الله تعالىفى سورة الإسراء- ٨٥ : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى... ﴾ **، ليس فيه منع من الحديث عنها ، خاصة إذا كان فى هذا الحديث سبيل إلى معرفة نفسك ومعرفة ربك وسبل الإيمان بالله تعالى.. ولكن اليهود كانوا قد سألوا رسول الله ﷺ عن ماهية الروح.. فكانت الإجابة أنَّها من أمر ربى.. لأن ما فيها من أسرار خفية لا تطيقها ذات البشرى وعقله المحدود.. وعلى العموم فقد كان المقصود بالسؤال فى الآية الكريمة هو الروح الذى يقول الله عنه فى سورة النبأ :**﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾

كما أورد ذلك بعض المفسرين.. وليست المقصودة الروح التى نتكلم عنها...، ولقد كتب كثير من علماء المسلمين عن الروح مثل ابن القيم.. وأبو حامد الغزالى وابن سينا وغيرهم.. ، ولو كان الحديث عنها ممنوعا لما تكلموا عنها ، وهم أهل تقوى وورع إن شاء اللَّه .

واتباعا لأسلوبنا فى هذا الكتاب فسوف نبتعد عن المصطلحات المعقدة التى يستعملها المتخصصون فى هذا المجال وسوف نكتفى بالعرض المنطقى المبسط واستعارة أقل ما يمكن من تعبيراتهم.. واللّه المستعان.

● النفس الحيوانية :

وقد عرفوها بأنها جسم لطيف بخارى يحمله الدم الصادر من تجويف القلب المادى ، ويسرى مع الدم فى العروق وباقى أجزاء الجسم..

وهى المسئولة عن الحس والحركة فى الجسد والإدراك المادى وغير المادى فيه.. ففيها قوة الإبصار وقوة السمع وقوة الشم.. إلى آخره، وكذلك الإحساس المشترك أى المشترك بين الإنسان والحيوان وكذلك هو المشترك بين النوم واليقظة.

وهذه المقومات توجد فى الإنسان كما هى فى الحيوان ، ولكن بدرجات متفاوتة..، فإن من الحيوانات من يعيش فى قاع البحر حيث الظلام الدامس، نظرا لعدم وصول أشعة الشمس إلى قاع البحر وبالتالى فليست له عينان لانهما لا ضرورة لهما فى عيشته..، وكذلك تجد بعض الحيوانات يمتاز بحاسة شم أقوى من الإنسان بكثير كالكلاب مثلا ، فإن حاسة الشم عندها متميزة بقوة خاصة لا توجد فى الحيوانات الأخرى..

كما أنَّ حاسة السمع عند القِطِّ مثلا تزيد بثمانية أضعاف قوة حاسة السمع عند الإنسان..، وسبحان من أعطى كل شئ خلقه ثم هدى...

وقد سبق القول بأنَّ هذه الحواسَّ المادية ينتهى عملها بمجرد نقل ما تحس به إلى المخ ، فالعينان مثلا ينتهى عملهما بانطباع الصورة المصغرة المقلوبة على الشبكية فى قاع العين ونقل الأعصاب لها إلى مراكزها الخاصة فى المخ..، وينتهى هنا دور إحساس النظر، أمّا الذى يقوم بترجمة هذه الصورة إلى أصلها الحقيقى ومعرفة شخصها وتمييزها من غيرها والاحتفاظ بصورتها لمعرفتها فيما بعد إذا تكررت أمامها.. فهذا هو ما يسمى بالإدراك.. وسوف نشرحه فيما بعد..

وقد سبق القول بأنَّه توجد فى المخ مراكز عصبية للإحساس البصرى والسمعى والذوقى وخلافها..، ولكنه لا يستطيع أن يميز هو بذاته هذه الأحاسيس ولا أن يُتَرْجِمَهَا..، ذلك لأنَّ الذى يقوم بترجمتها وحفظها فى الذاكرة هى النفس وليس المخ..، فالنفس بقوتها التى هى غير مرئية هى التى تسيطر على المخ الحيوانى اللحمى المادى ، فتأخذ من مركز إحساسه ما يراه ويسمعه ويشمه لتعطيك بعد ذلك معناه وقوته ولونه وأوصافه كلها.

حيث إن العلم الطبى البشرى إنما منتهاه هو تشريح المخ ودراسة خلاياه ولا يستطيع الوصول إلى النفس ، لذلك فإن منتهى علمه يكون بالمخ وخلاياه.، ولكنه لا يستطيع أن يقترب من حاجز النفس ، ولذلك ما زالت تساؤلاته قائمة عن كيفية ترجمة إشارات مراكز الإحساس بالمخ.

وبهذا التفسير المبسط نستطيع أن نفسر عملية الموت بأنَّها لا هى موت المخ ولا هى موت القلب وتوقفه عن النبض.. ولكنها تحدث أساسا بترك النفس للجسد..، فيتعطل المخ فورا ولا يستطيع أن يرسل

إشاراته إلى القلب لتوقفه عن الإدراك والإحساس لخروج الطاقة التى تغذيه ألا وهى النفس كما قلنا فيموت المخ.. ويليه توقف القلب وعدم سريان الدم فى الجسد ثم المظاهر الأخرى للموت ، وهذا إذا كان الموت طبيعيا ، أمّا فى حالة القتل أو الحوادث التى تتلف الجسد فجأة ، فإن تلف الجسد أو جزء هام منه كالكبد أو القلب مثلا يجعله غير صالح لسريان الدم فيه..، فإذا توقف الدم أو سال خارج الجسد لم تجد النفس لها مركبا تعيش وتتحرك فيه فتترك الجسد لأنه قد أصبح مسكنا غير صالح لها.. وتتكرر مظاهر الموت السابقة.

ومن هنا كان عقاب الإسلام الشديد لإتلاف الجسد وقتل النفس .. وذلك لأنه بإتلاف الجسد الذى هو وعاء النفس خرجت منه وهى كارهة لخروجها .. وهى لم تخرج إلاَّ لِتَلَفِ مَنْزِلها وهو الجسد..

واعلم أنّ النفس ليست مقصورة ولا محبوسة فى الجسد كالمادة فى الوعاء، فليس الجسد حاويا لها.. بحيث أنَّهُ لو أنّ إنسانا قطعت رجلاه مثلا فإن نفسه يقتطع منها جزء على قدر الرجلين ..، فليس الأمر كذلك..، إنَّما النفس مكتملة فى الجسد سواء كان كاملا أو ناقصا..، فهى مكتملة فيه كله ومكتملة فى الجزء الحى المتبقى منه أيضا..، فهى ليست محصورة بأعضاء الجسم.. كما انها ليست خارجة عنه ، لانها لو خرجت لمات الجسد كما اسلفنا .. فهى إذاً لا محصورة فيه ولا خارجة عنه بالمعانى المتعارف عليها..، ولكن الأفضل أن نقول إنَّ لها إشرافا وتشوقًا وتعلقا بالجسد وتدبيراً لشئونه من إحساس وإدراك وذلك بكيفية ما...، ولا تنتهى علاقتها به تماما إلاَّ عند الموت فقط، أمّا عند النوم فهى خارجة منه حُكْما بكيفية مخصوصة، ولكن ما زال لها إشراف وتدبير له ..، ومازال هناك شعاع وارتباط بينها وبين الجسد ، والدليل هو أنَّ النائم وإنْ كان لا يسمعُ، إلاَّ أنَّكَ إذا أحدثْتَ جلبة وضوضاء كبيرة حوله فإنه يستيقظ ، فهو لا يدرك إدراكه فى اليقظة.،

ولكنه يزال على درجة من الإدراكِ وهو نائم .. وذلك لعلاقته القائمة مع النفس وهو نائم.

• قوى النفس الحيوانية :

حيث قلنا إن النفس الحيوانية هى التى تترجم ما يراه ويحسه الجسد بالحواس الخمسة المعروفة ، وحيث قلنا إن النفس هى التى ترسل الإشارات وتأمر المخ وبالتالى تأمر القلب بضخ الدم وكذلك تأمر الجسد بالتحرك وخلافه، فيفهم من هذا القول بأن القوى الموجودة فى النفس نوعان:

القوى المحركة، وهى التى لها سلطان مباشر على القلب والأعضاء فإذا خاف الإنسان من شئ ما .. أمَرَت النفس القلب بضخ مزيد من الدم إلى الرجلين.. وأمرت الرجلين بسرعة الجرى خوفاً من الخطر .. فهذه قوى محركة.

ومن الواضح أن الحركة تكون بناء على إدراك بالخطر.. وهذا الإدراك هو ما نسميه بالقوى المُدْرِكَةِ ..، أى القوى التى تحس بالخطر وخلافه فتأمر القوى المحركة بإرسال الأوامر إلى المخ والقلب والأعضاء...

وهذه القوى المدركة قسمان قسم مدرك من ظاهر وهى التى تترجم رؤيتك الخطر أو سمعك بالنبأ السيئ .. فهذه القوى المدركة من ظاهر تكون أدواتها الحواسُّ الخمسُ ..، فإذا أقبلت نحوك سيارة مسرعة ورأتها العين ، فهذه الرؤية تنتقل إلى المخ ، والمخ ينقلها إلى قوى النفس المدركة من ظاهر فتقدر درجة الخطورة.. وتأمر قوى النفس المحركة بإرسال إشارة إلى المخ بسرعة الهروب من أمام السيارة.. فيرسل المخ الإشارات إلى القلب وإلى عضلات الرجلين

للجرى السريع بعيدا عن الخطر الذى رأته العين أساسا...، هذا مثال للقوى المدركة من الظاهر...

وهناك قوى أخرى مدركة من باطن.. وهذا الإدراك الباطنى هو إدراك بالمنطق والعلم وليس بالحواس المعروفة..، مثال ذلك خَوْفُكَ من السقوط من ارتفاع شاهق... فإنك لم تسقط.. وربما لم تر أحدا يسقط.. ولكنك تدرك وتعرف خطورة السقوط من هذا الارتفاع..، فهذه قوى باطنية تدرك من باطن النفس.. وفيها ذاكرة وعلم..،

ويربط بين القوى المدركة من باطن والقوى المدركة من ظاهر ما أسميناه من قبل بالحس المشترك ..، وهو الإحساس الذى يحول إحساسك بالماديات إلى إحساس باطنى بالخوف أو السعادة أو الألم أو خلافها ، وكذلك يحول إحساسك بالألم أو معرفتك بالخطر المعنوى إلى إدراك ظاهر على جسدك ، وهذا الحس المشترك يعمل خلال نومك أيضا .. وهو مشترك بين قوى النفس التى فى الحيوان وقوى النفس التى فى الإنسان.

وموجز القول ان النفس لها قوى محركة ، وقوى مدركة.، والقوى المدركة نوعان قوى مدركة من ظاهر وتدرك المحسوسات. وقوى مدركة من باطن وتدرك المعانى ، ويربط بينهما ما يسمى بالحس المشترك...

وقد علمنا أنَّ هذه النفس الحيوانية قد أدخلت إلى الجسد منذ كونه جنينا فى بطن أمه..، وحيث أن الجسد هو منفذها الوحيد للحياة الدنيا.. وهو الوحيد المنفذ لرغباتها الأرضية..، لذلك فهى حريصة على ضمان استمرار بقائه فى الدنيا.. وذلك حبا لنفسها ولدوام بقائها..، لذلك فإن الغرائز الحيوانية منسوبة لها هى.. والجسد منفذ لها..، وضمان بقاء حياتها الأرضية يستند أساسا إلى دافعين قويين فيها..

الأول هو الغضب.. والثانى هو الشهوة.. والمراد بالغضب هو كل إحساس بضرر..، والشهوة هو كل إحساس بمنفعة..، فقوة الغضب فى النفس إنَّما هى دفاع لها عن كل ضرر تتصور أَنَّهُ يلحق بها.. سواء كان ماديا أو معنويا..، وقوى الشهوة فى النفس إنَّمَا هى دفاع عن كل ما تتصور أَنَّهُ يجلب لها منفعة فى الدنيا..، فشهوة النساء.. والمال.. والأكل.. وكل ما يضمن للجسد استمراريته ودوامه فى الحياة.. تكون النفس حريصة عليه..، فالمال وسيلة لتحقيق رغباتها فى الدنيا.. والبنون وسيلة النفس لتحقيق العِزَّة بين الناس.. لذلك فهما زينة الحياة الدنيا.. لذلك يكون حرص النفس عليهما شديدا مع ما يستلزمها من شح بالمال خوفا من الفقر والاحتياج للناس، وكذلك الإكثار من البنين بأيَّةِ وسيلة كانت حراما أو حلالا والوسيلة إلى البنين هى النساء...، إلى آخره ، لذلك يقول الله تعالىفى سورة التغابن-١٦ : ﴿... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾

ويقول (آل عمران-١٤) : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾

وتلاحظ أن هذه الشهوات مرتبة تبعا لمراتب نزوع الإنسان إليها فى تدرج حياته ، ففى بداية الإدراك والشباب تبزغ شهوة الإنسان إلى النساء والنساء إلى الرجال ، ثم بعد فترة تنكسر هذه الشهوة وينصب حب الإنسان على البنين والاعتزاز بهم والمتعة بوجودهم معه ، ومع بداية شيخوخته يهتم بالأموال والحرث. فانظر إلى دقة التعبير القرآنى العظيم.

فالنفس حريصة بطبعها على كل هذا لأنَّ فيه عِزَّة الإنسان وتنعمه في الحياة الدنيا..

كذلك حيث إن النفس حريصة على منح الجسد مقومات حياته المادية والحفاظ عليه وعدم تعرضه للتلف..، فهى التى فيها الإحساس بالجوع والعطش والأمن والخوف والحب والبغض والفرح والحزن إلى آخر هذه المشاعر..، لأن هذه المشاعر لها فائدة عظيمة فى ضمان استمرار الحياة..، فالغضب وإن كان من الصفات المذمومة إلا أنه يكون في بعض الأحيان شرفا وعزة..، فمن يغضب لانتهاك محارمه أو محارم الله تعالى.. فهو غضب محمود وضرورى ليحافظ الإنسان على حياته وتتوازن الأمور بين الناس..، كذلك فإن غريزة البقاء فى النفس هى الدافع الجنسى للتناسل..، ولولاه لما تزاوجت المخلوقات ولانتهت أنواعها ووجودها..، لذلك فهى محمودة بذاتها.. أمّا لو مارسها الإنسان بغير حقها الشرعى ، ولم يراعِ فيها حلالا ولا حراما. فحينئذ يكون فيها الإفراط المذموم ، والتكبر مثلا من أرذل صفات النفس ، ولكن الكبرياء والخيلاء على الأعداء فى الحرب مطلوب ومحمود..

وهكذا تجد أنَّ لكل صفة من صفات النفس حد اعتدال محمود وحسن استخدام مطلوب..، وكذلك إفراطا فى استخدامها ، وهو تجاوز حد الاعتدال.، أو تفريطا فيها بعدم استخدامها..، والإفراط والتفريط كلاهما مذموم..

فهذه الغرائز أو الصفات هى عِدَّةُ النفس لضمان استمرار حياتها والحفاظ على حياة الجسد الذى تعيش فيه وهو نافذتها فى الدنيا وهو آلاتها التى تستخدمها.. ولكن عدم توازنها وسوء استخدامها هما المذمومان..

• قدرة النفس الحيوانية على التعلم :

اتضح فيما ذكرناه أن التعلم يكون فى قوى النفس المدركة أساسا..، أمَّا القوى المحركة فإنها تتعلم أيضا ولكن تعلمه محدود وسريع..، فالطفل عند ولادته.. يحس ويشعر ويجوع ويشبع ولكنه غير قادر على الحركة على قدميه ..، ولكنه سرعان ما يقوم ويمشى خلال عام مثلا ..، أمَّا إدراكه للمعانى والخطر والعلوم فهذا يحتاج إلى زمن طويل واكتساب مما حوله..، حتى الحيوانات المفترسة وهى فى طفولتها تستطيع أن تتعامل معها وتحملها وتطعمها وتأنس إليها وهى لا تعرف خطرا من أمان..، ولكنها بمرور الوقت تنشأ فيها الغرائز الوحشية وتبدأ فى التعلم...

فالنفس تبدأ جاهلة أساسا.. ويزداد علمها مع الزمن.. ، فتمييز الصبى الصغير غير تمييز الغلام.، غير تمييز الرجل..، وعلم الشيوخ وحكمتهم أكبر وأعمق من حكمة الشباب.. فالنفس تتعلم وتتسع مداركها وخبراتها بمقدار ما يمر بها من أحداث وما تتعلم.

يقول تعالى فى سورة النحل : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًۭٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

فالسمع والبصر والحواس الأخرى هى أدوات إدراك النفس الظاهر والأفئدة هى أدوات إدراك النفس الباطن للمعانى..

فالبداية هى الجهل بالمعلوم..، ثم جعل اللّه الحواس والإدراك وسيلتين للنفس لاستقراء الحوادث وتحليلها والاستفادة منها..

ولكى تتعلم النفس وتستفيد مما يمر بها فلابد لها من ذاكرة

تحتفظ فيها بما تتعلمه ..، فإذا تكرر أمامها عرفته لسابق معرفتها به واحتفاظها بذلك فى ذاكرتها.

وكذلك يلزم لها منطق للتفكير والتدبر فيما تفعله بناء على ما وعت من علم...

وبعض هذه القوى موجودة فى الحيوان، ولكن بدرجات متفاوتة..، فالحمار مثلا يتعود على السير من منزل صاحبه إلى الحقل..، ولا شك أنَّ لديه ذاكرة يحتفظ فيها فى عقله بخط السير بحيث يعود من الطريق الذى جاء منه..، ولولا هذا لضلَّ ولم يعرف كيف يعود..، ولاحظ أنَّهُ يعود من نفس الطريق..، ولا يفكر فى السير فى طريق آخر أقصر أو أفضل يوصله إلى مكانه كما يفعل الإنسان مثلا..، فلا شك أنَّ الحمار عنده ذاكرة يحتفظ فيها بما يمر عليه...

ولكن القرد مثلا يتميز بأن لديه قدرة على التفكير والتدبير..، فإذا وضعت أمامه ثمرة عالية لا يستطيع الوصول إليها تراه يتحايل على الإمساك بها بعصا أو بالقفز مثلا..، فهو صاحب حيلة وتدبير..

فالحيوانات التى يمكن تدريبها لديها بلا شك قوة تذكر وذاكرة لحفظ ما يمُرُّ بها من حوادث..، والحيوانات التى لديها قدرة على تدبير أمورها بتفكير وحيلة لديها قوة تدبُّر بالإضافة إلى الذاكرة ..، فالتدبُّر شىء.. والتذكر شئ آخر..، هذه قوة وهذه قوة غيرها..، ولذلك يطلق على الحيوانات ذات التدبير كالقردة بأنها حيوانات أرقى من الأولى..، وعكس ذلك تجده فى بعض الكائنات التى ليس لديها أى من هاتين القوتين.. ، ولذلك تسمى بالحيوانات الدنيئة أو الأقل رقيا من الأولى ، فأنت لا تستطيع أن تدرب عقربا مثلا ولا سمكة – غير الدلفين – لانعدام هاتين القوتين فيهما.

ومقصود الكلام هو أن نوضح لك أن الأنفس الحيوانية ليست

على درجة واحدة من القوى والإدراك..، فهى تتدرج من مجرد القدرة على الحياة فى أبسط درجاتها دون إدراك إلا بأقل القليل مما يلزم لها لاستمرار حياتها وتناسلها..، وبين نفس الإنسان المتكاملة ذات الإدراك والتمييز والتفكير والتدبير والذاكرة..

وكما أن لنفس الحيوان درجات كثيرة متفاوتة فيما بينها. فإن نفس الإنسان كذلك لها درجات كثيرة متفاوتة فيما بينها..

وأنت تعلم أنَّ الحيوان ليس عليه تكليف من اللَّه تعالى..، ذلك لأنه خلق على درجة واحدة من المعرفة باللَّه والطاعة له..، خلقه اللَّه على طاعته .. فلا يعصى..، ولا يترقى ولا ينحط ، فالأنفسُ الحيوانية كما قلنا درجات كثيرة..، ولكن كل درجة على مستوى واحد من المعرفة باللَّه وطاعته وتسبيحه .. ولذلك فليست لها جنة ولا نار يوم القيامة.. ولكن يقتص يوم القيامة ممن ظلم منهم فى بنى جنسه حتى يقتص من الشاة القرناء التى نطحت أختها كما فى حديث أبى ذر رضى اللَّه عنه.

ولكنك ترى فى القرآن الكريم كما ذكرنا لك من قبل آيات كثيرة تخاطب النفس وتتوعدها بالعذاب والنعيم.. فإذا كانت النفس الحيوانية هى محل طاعة جبرية للّه تعالى بما خلقها اللَّه عليه فكيف يكون لها وعد ووعيد وخطاب بأمر ونهى فى الإنسان !!!!!.

بذلك نصل إلى قول علماء المسلمين بأن النفس المخاطبة فى القرآن الكريم هى النفس الإنسانية...

• النفس الإنسانية :

يقولون عنها : إنَّها لطيفة ربانية مجردة عن المادة فى ذاتها مقارنة لها فى أفعالها.

وهى المخاطبة بالتكليف التعبدى فى القرآن..، وهى محل التوبيخ والتقريع ، وهى محل الإدراك والتعلم والتفكير والتدبر..، وهى التى تكون نفسا أمّارة بالسوء أو نفسا لوّامة .أو ملهمة أو راضية أو مرضية أو كاملة..، صعودا وهبوطا فى مستوى إدراكها وطاعتها للّه تعالى وعبادته ومعرفتها به جَلّ شأنه...

وهى التى يشار إليها مرة بالقلب .. ومرة باللُّبِ ومرة بالعقل..، وكُلُّ هذه المسميات هى لها ، وكل مسمى هو خاص بها فى درجة من درجاتها...

ولتبسيط الأمر أضرب لك مثالا :

لنبدأ بشجرة من الأشجار تم قطعها ونقلها إلى النجار الذى قام بدوره بتقطيعها إلى ألواح من الخشب ثم صقلها.. ثم صنع من هذه الألواح كرسيا مريحا تجلس عليه..، فإن سألتك عن اسم ما تجلس عليه أجبتنى بأنّه كُرسى، فإن سألتك عن مادته قلت لى إنَّهَا خشب..، وإذا سألتك عن أصله قلت لى إنَّهُ شجرة ، ولو سألت عالما فى الكيمياء عن جوهره لقال :" سيليلوز" (وهو الاسم الذى يطلقه علماء الكيمياء على الخشب)..

إذا نستطيع أن نطلق هذه المسميات الأربع على الكرسى..، فمرة نقول كرسيا ، وتارة نقول خشبا..، وأخرى نقول شجرة، وحينا سيليلوز..، والأصل واحد، فالجوهر سيليلوز ، والوصف خشب..، والاسم

كرسى..، والأصل شجرة..، ومن الممكن أن نتمادى فى سؤالنا عن جوهر السيليلوز لنعرف أنّهُ عبارة عن ذرات من الأكسجين والأيدروجين والكربون ترابطت مع بعضها البعض بطريقة خاصة يعرفها أهل الكيمياء.. فصارت سيليلوز.

ورغم ذلك فإن إطلاقك أسماء: الخشب والكرسى والسيليلوز على الكرسى هو صحيح مجازا فقط، رغم أنَّ الأصل واحد..، كما أنك لا تقول عن الشجرة أنَّها كرسى..، لأن الشجرة لها مواصفات خاصة، ومظهر يختلف عن الكرسى، والكرسى له مواصفات خاصة غير الشجرة فقد أضيفت إليهِ صنعة أخرى فقطع وهذب ولصق..، وعلى هذا فيجب أن يطلق على كل موجود اسمه الخاص به الذى يحمل فى معناه جوهره وصفاته، حتى وإن اتفقت الموجودات فى الجوهر فيظل الكرسى كرسيا والباب الخشبى بابا والمنضدة الخشبية منضدة..، ولكنك تستطيع أن تكسرها جميعا وتشعل فيها النار وتستخدمها كوقود كالشجر تماما..، لأنها من جنسه...

فإذا أدركت ما أعنى فى هذا المثال.. قلنا لك إن النفس والروح والقلب واللب والنهى هى مسميات لدرجات خاصة من درجات الروح أو النفس..، وكل درجة تتميز بميزة خاصة بها لا يدركها إلاَّ أولو البصائر.. وهذه المميزات تكون من الصفات أو القوى التى فى النفس..

وقد سبق القول فى حديثنا عن النفس الحيوانية بأَنَّها درجات متفاوتة وأَنَّ أَعْلَى درجة فيها هى درجة النفس الإنسانية والتى هى بدورها تتفاوت فى درجاتها بمقدار ما فيها من صفات وقوى علوية..

أمّا منتهى سمو النفس الإنسانية فهى النفس النبويّة... وهذه لها خصوصية لا يجوز أن نتطاول إليها لقصورنا التام عن فهمها.

نعود فنقول إن النفس الإنسانية لها مُركّب وظاهر على الإنسان تعيش به فى الكون المادى وتتعامل معه... هذا المركب هو النفس الحيوانية وصفاتها وخصائصها..، فظاهر النفس الناطقة لنا هو النفس الحيوانية..،

أمّا الباطن.. أقصد باطن النفس الإنسانية فهو متعدد ، أوّلُهُ القلب وثانيه الروح وثالثه السر ورابعه سر السر وخامسه الخفى وسادسه الأخفى... ألا ترى أن اللّه تعالى يقول فى سورة طه-٧ : ﴿... يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝﴾

وكل واحد من هذه المسميات أو الدرجات له عالم خاص يتعامل معه من عوالم الملكوت أو الغيب كما سبق الكلام عنه. ولا يبقى لدينا إلاّ درجة واحدة منها تتعامل مع عالم الشهادة و عالم المحسوسات، وهى درجة النفس الأمّارة بالسوء..، أمّا النفس التى تليها فى الدرجة وهى النفس اللوامة أو درجة القلب إن شئت أن تقول فهى فى هذه الحالة يكون ظاهرها إلى عالم الملك المادى ، وباطنها إلى عالم الملكوت الغيبى..، لذلك فهى تستطيع بأسلوب خاص أن تتعامل مع العالمين بدرجات متفاوتة...

فإذا تصرفنا فى أقوال علماء المسلمين فى هذا الأمر بقصد الربط والإيضاح بين المعانى فإننا نقول :

- قوى النفس الإنسانية والمُدْرَكة بالباطن :

الحس المشترك : وقد سبق تعريفه بأنّه تلك القوى التى تترجم الإحساس الماديّ للجسد إلى معانٍ مفهومة... وكذلك تترجم المعانى

المجردة والمنطق الداخلى فى النفس إلى إحساس كخوف أو حب أو شهوة فيترجم صور البصر... وأصوات السمع وروائح الأنف ، لتعرضها بعد ذلك على خزينة الذاكرة وتقارنها بالمرئيات التى تعرفها أو الأصوات التى سمعتها من قبل.. بحيث تدرك النفس أنَّ هذه الصورة هى صورة زيد من الناس وأن هذا الصوت هو صوت عمرو.،، ولكُلِّ حاسَّة مُتَرْجِمْ.. ولكُلِّ حاسَّة خزانة خاصة بها.

كما أن هذه القوة هى التى تحول إحساسك بالخطر المعنوى أوالمنطقى إلى حركة هروب أو مجابهة.

وهذه القوة قد تمرض.. وقد تقوى أو تضعف.. وقد تنعدم كذلك.. كما أنَّها ليست متساوية عند كل البشر.،، وقد يكون مرضها أوانعدامها لسبب عارض مؤقت،

ولإيضاح ذلك نضرب مثلا نفرق به بين مرض الجسد ومرض النفس..

رجل عادى.. يرى ويسمع.،، فقد بصره فجأة .. فما هو السبب؟.

قد يكون ذلك لمرض فى عينيه فلا تستطيع العدسة أن تلتقط الصور للموجودات التى أمامها.،، وقد تكون العدسة سليمة ولكن الشبكية التى تنطبع عليها الصورة الواصلة إليها من العدسة بها خلل يمنع من طبع الصورة عليها.،، وقد تكون أعصاب البصر فى المخ لا توصل الصورة إليهِ.،، فكل هذه الاحتمالات الثلاث تمثل أمراضا فى الجسد وليس فى النفس..

ولكن يحدث أن تكون العين كلها سليمة.. والأعصاب سليمة ومراكز الرؤيا فى المخ سليمة ولكن الرجل لا يبصر !!!

عندئذ يفسر الاطباء الحالة بأنها حالة نفسية. حيث إن الجهاز البصرى المادى كله سليم ، ولكن ترجمة النفس للصور هو المريض.،،

وتلك حالة نقابلها عند الخوف الشديد أو الحزن الشديد إذا حدث للإنسان فجأة..، فيفقد بصره أو نطقه أو حركته فجأة.. وتشخص بأنها حالة عصبية. أو صدمة عصبية..، ففى هذه الحالة تكون قوى الحس المشترك للنفس غير قادرة على ترجمة ما نقل إليها من المخ المادى

وقد تكون بعض الحالات المرضية للنفس مستمرة..، كحالة المعتوه مثلا. فهو يرى الصور كما يراها السليم ولكنه لا يستطيع تمييزها.، فالمعتوه هو فاقد القدرة على التمييز بين النافع والضار..، فرغم أَنَّهُ يرى الثعبان ثعبانا والحبل حبلا، إلاَّ أَنَّهُ لا مانع لديه من أن يمسك الثعبان بيده جاهلا خطره..، وقد يخاف من الحبل.

• قوة الذاكرة أو الحفظ :

وهى مستودع لكل ما يمر بالنفس من حوادث وخلافها. وهى جزء هام من قوة التعلم.، فهى كالمكتبة التى بها المراجع المختلفة لكل حاسة ولكل معلومة..، فإذا فقدت النفس ذاكرتها نسيت كل ما تعلمته وما عرفته..، وفى هذه الذاكرة يوجد ترتيب وأولويات.. فتحفظ المهم فالاقلّ أهمية .. وكذلك تنسى الأقل أهمية مع مرور الزمن.

وهذه القوة أيضا لها حد اعتدال وقوة وضعف..، ألم تر إلى الإنسان إذا رُدَّ إلى أرذل العمر كيف يزداد نسيانه ، وصدق اللّٰه حيث يقول فى سورة النحل-٧٠ : ﴿... وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ ... ﴾

نعم تشيخ النفس وتضعف الذاكرة ، ويرجع من هو فى ارذل العمر إلى مراحل الطفولة الأولى فى الذاكرة ورقة الإحساس..

وقوة الذاكرة يقابلها النسيان.، وكما أن الذاكرة نعمة من نعم اللّه تعالى على الإنسان.. فكذلك النسيان من نعم اللّه تعالى. ولولاه لظللنا العمر كله نبكى حبيبا فقدناه أو كارثة أَلَمَّتْ بنا.

وللنسيان أيضا شرط لكى يكون نعمة.. وهو حد الاعتدال..، فلا هو دوام النسيان ولا عدم النسيان..، ولكن خير الأمور الوسط.

فالذاكرة باختصار هى مستودع المعلومات التى يكتسبها الإنسان فى حياته وهذا امر معلوم لا يوجب الاستفاضة فيه.

- قوة التفكير أو التدبير :

وهذه من أخطر القوى فى النفس البشرية فهى المركز الذى يتعامل مع المعقولات واللامعقولات والمسببات والنتائج..، وهى مركز"المنطق"..، ويتعامل مع الحس المشترك.. ومع الذاكرة ومع الخيال.. يأخذ ويعطى..، وهو الذى يفرق بين الصواب والخطأ..، وهو الذى يرجح الاحتمالات بعضها على بعض ، لذلك يقول تعالى فى سورة آل عمران ١٩٠-١٩١ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾..، فانظر كيف قَدَّم اللّه تعالى للتفكر فى خلق السموات والأرض وآيات اللّه تعالى أن يكون المتفكر من ذوى الألباب..، أى من ذوى الفهم الصحيح والإدراك الكامل..، ثم ثنى سبحانه وتعالى بأنَّ هذا الفهم الصحيح والتفكير المعتدل لا يتأتى إلا بالتزام ذكر اللّه تعالى فى كل

حالة من حالات العبد قائماً وقاعدا ومستلقيا.. لأن هذا الذكر وسيلة، إن لم يكن هو الوسيلة الوحيدة -كما سيأتى بعد - لتمام قوة التفكر والتدبر وتمام حسن الإدراك...

واعلم أنَّ حُسْنَ التدبير وكمال التفكير فى الأمور يسمى "حكمة"، وهى بعد النظر فى العواقب، والتبصر بالأسباب والنتائج، وهى من أنوار الله تعالى وهبة منه، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾(لقمان-١٢)، ويقول جَلَّ شأنه: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ (البقرة -٢٦٩)، ويقول فى سورة الأحزاب- ٤: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾، ويقول فى سورة ص- ٢٠: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾.

فالحكمة مرتبطة بحسن التفكير وكمال التدبر، وقوتها فضل من الله وتوفيق منه تعالى، وكل قوى النفس نعم منه جَلَّ شأنه، ولكن يظل للتفكير ميزة خاصة كبرى.

- **قوة الخيال:**

وهى أخطر قوى النفس الإنسانية..، ذلك أنَّ قوى الحِسِّ المشترك.. والذاكرة قد تكون لبعض النفوس الحيوانية على درجات مختلفة، أمّا

قوى الخيال فهى ميزة للنفس الإنسانية..، وهى قوة خطيرة كُلَّ الخطر.

خاصة إذا عرفت أنَّ أدنى درجاتها هو حديث النفس أو الحدْس وأعلاها وأشرفها هو الوحى...

وهذه القوة المتخيلة لها جانبان..،

الأول خيالٌ حسيٌّ أو ماديٌّ وهو ما يختص بالصناعات والاختراعات وأمثالها، وهذه تستعين بقوى الحس المشترك لتحويل هذه الخيالات إلى ماديَّات موجودة..، فالذى يريد أن يبنى منزلاً فإنه يتصوره فى قوى الخيال الحسى أولا ثم يترجمه بصنعة ما إلى موجود مادى..، فكل الاختراعات الموجودة أصلها وأساسها الخيال الحِسِّىُّ فى قوى النفس التخيلية..، هذا هو الجانب الأول..

أمّا الجانب الثانى من قوى الخيال فهو جانب الصور المعنوية أو الصور العقلية، وهذه هى التى أدنى درجاتها الحدْس أعلاها الوحىُ كما قلنا ..، وبينهما يكون الإلهام..،

وحديث النفس ببساطة هو الأفكار المتخيلة التى لم تقع أحداثها بعد ولكنها من باب التمنى أو الخوف أو استجلاء بعض الحقائق..

فالظن مثلا - وهو من حديث النفس - إنما هو تصورك لأمر غير يقينى تتصور أنَّهُ قد حدث أو تنتظر حدوثه..، ولكنك غير متأكد من هذا الظن فقد يكون وقد لا يكون بنسبة متساوية ..، أمّا إذا غلب احتمال عدم التأكد ففى هذه الحالة يسمى وهما..، فالوهم وهو أيضا درجة من حديث النفس أقل من الظن فى المرتبة ، حيث إنَّهُ أقرب إلى عدم الواقعية وليس لك على اثباته دليل..، بينما الظن قد يكون لديك أدلة متناقضة بعضها يُرَجِّحُ هذا الظن وبعضها ينفيه..،

ولتبسيط الأمر نضرب مثلا بسيطا : فلنفرض أنَّكَ ذهبت إلى السوق وأنت في لباس عادى لا يلفت النظر، ولم تتصرف تصرفا يلفت النظر إليك ، ولكنك تصورت أن أهل السوق يتحدثون عنك ويتهامسون فيما بينهم بخصوصك..، فإن هذا يكون وهما ليس لك عليه دليل..، فهو وهم من نفسك لا سند له..

فإذا دخلت محلا ووجدت رجلين فيه يطيلان النظر إليك ويتهامسان فيما بينهما، فإذا دنوت منهما سكتا ، وإذا غادرتهما عاودا النظر إليك والهمس..، فإذا تصورت ساعتها أنَّهُما يتهامسان بشأنك.. فهذا التصور هو ظن منك لأن أفعالهما من النظر إليك والتهامس فيما بينهما والسكوت إذا اقتربت منهما .. كل هذه الأسباب جعلتك تظن أنهما يتحدثان عنك..، ولكن ما زال هناك احتمال آخر قائم وهو أنَّهُما يتحدثان في أمر خاص بهما وليست لك به علاقة.. وليس للأمر كله صلة بك ، فالاحتمالان.. قائمان لا ترجيح لأحدهما على الآخر..

فإذا ظننت سوءا بغيرك دون برهان عليه فهو ظلم له ، وإثم في حقه ولابد لك من التثبت ، لذلك يقول تعالى (الحجرات-١٢): ﴿ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

نعود فنقول إن من درجات قوى التخيل الهاجس والواجس.. وهما مجرد فكرة عارضة تعرض على عقلك دونما مقدمات منطقية قوية، والواجس أقوى من الهاجس.

فالواجس هو هجوم فكرة عليك ولكنها بدليل ظنى محتمل..

فسيدنا موسى عليه السلام عندما رأى سحرة فرعون وقد ألقوا حبالهم وعصيهم فصارت تتحرك أمام الناس كالثعابين..، وقد عاش موسى في مصر ويعلم بالقطع قوة سحر هؤلاء السحرة لذلك أوجس في نفسه خيفة موسى..، فتداركه رب العزة والجلال (طه-٦٨):﴿ قُلْنَا لَا

فالواجس عنده كان له أسبابه بظنّه المرجَّح لديه.

أمّا الهاجس فليس له أسبابه المرجحة...

ومن درجات قوة الخيال أيضا، الهمَّةُ والعَزْمُ، والهمَّةُ هى استجماع الرأى فى النفس واستحسانها للقيام بعمل ما .. ولكن النِيَّة لم تنعقد بعد على الفعل..، أمّا العزم فهو استجماع الهمَّةِ وانعقاد النية على الفعل..، فالعزم أقوى من الهمة، والعزْم هو أوَّلُ ما يؤاخذُ اللَّه به العبد من درجات النِيَّةِ..، فالنِيَّةُ درجات وأعلاها العزم على الفعل، ولذلك يقول تعالى فى سورة آل عمران- ١٥٩ : ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾، فالعزم ليس بعده إلا خروج الفعل إلى التنفيذ.

لذلك ترى التعبير الدقيق فى كتاب اللَّه حيث يتحدث عن سيدنا يوسف عليه السلام حيث يقول فى سورة يوسف-٢٤ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا... ﴾ ، فكيف يهمُّ بها سيدنا يوسف عليه السلام وهو نبىٌّ ، والنبىُّ معصوم باتفاق !! ، والعصمة قبل النبوة وبعدها.. فلا يجوز لنبى معصوم أن تنعقد نيته أبدا على معصية الخالق جَلَّ وعلا.. فهذا أمر عظيم لا يصدر أبداً من نبى..

بعض المفسرين قالوا إِنَّهُ هم ليضربها .. وهذا حسن .. أمّا الذين قالوا غير هذا فلا مانع أن نقبل تفسيرهم بشرط أن تعرف أن الهمَّة ليست هىالنية، ولكنها حديث نفسى فقط وهذا أنسب كثيرا فى هذا المقام..، فسيدنا يوسف عليه السلام لم يعزم على الفعل أبدا.. وسياق القصة يدل على أنَّهَا هى امرأة العزيز قد انتقلت من مرحلة الهمَّةِ إلى العزم إلى الفعل.. ، فلما أدبر عنها سيدنا يوسف هاربا من غوايتها

لاحقته، وقدت قميصه من دُبُرٍ فى محاولة يائسة لتنفيذها ما عقدت عليه العزم.. والله أعلم بمراده..

ولذلك يقول سيدنا رسول الله ﷺ عن من همَّ بسيئة فلم يفعلها لم تكتب عليه..، وذلك لأن النيةَ لم تنعقد على فعلها..، ولكنه حديث نفسيٌّ، ويقول ﷺ "عُفِيَ عن أمتى ما حدثت به أنفسهم".. أو كما قال ﷺ، أمّا من هم بحسنة فلم يفعلها فإنّها تكتب له حسنة. وذلك من فضل الله تعالى وجوده وكرمه على عبيده..، فإن فعلها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء..، فأى كرم هذا!!!! فإذا هم العبد بسيئة ولم يعملها خوفا من الله . فإن الله تعالى يكتبها له حسنة، وذلك لأن العبد ذكر الله تعالى فى نفسه وخاف من عقابه أو استحيا منه تعالى فأثابه الله على هذا التطهر فى النفس بالحسنة عليه.. حيث إن النية هى من أعمال القلب للعبد.

ومن أعظم درجات قوة الخيال فى النفس مرتبة الإلهام..، والإلهامُ نوع من الفتوح الربانىِّ تُلْقِيه الملائكة بالخير والرشاد والسداد فى قلوب المؤمنين..، فيفرِّقُ الإنسان بهذا الإلهام بين الخير والشر دون علم مكتسب منه..، ولكن بعلم ملقى عليه إلقاء ، لذلك يقول تعالى فى سورة الشمس : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ ﴾ ، أى ألهمها بجنوده حسن التفرقة بين الفجور والتقوى والحكم الصحيح على الصواب والخطأ.، وليس المعنى كما يقال بأن الله تعالى قد ألهم النفس الفجور وألهمها التقوى ثم هى تختار.، ذلك أنَّ الإلهام كما ذكرنا من الله تبُثُه الملائكة ، أمّا الفجور والإيعاز بالشر فلا يسمى إلهاما ولكنه يسمى وسواسا، وهو من الشيطان وليس من الملائكة، يقول تعالى فى سورة الناس:﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝

مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ ﴾

ويتبقى من قوة الخيال في النفس مرتبة الوحي.. والوحي من الله تعالى وهو على درجات أيضا..، يقول تعالىفي سورة الشورى -٥١ : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝ ﴾

والرسول المقصود في الآية الكريمة هو الملك يوحي إلى البشر ما شاء الله تعالى ، انظر إلى قوله تعالى في سورة القصص : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ ﴾
فالله تعالى أوحى إلى أم موسى وهي ليست من الرسل ولا الأنبياء..، بلْ وأوحى إليها بما هو عكس المنطق المعتاد المتعارف عليه ، فإن الأم إذا خافت على وليدها فهي تضمه إليها وتخفيه عن الأعين بطريقة ما، أمّا أن تجعله في صندوق وتلقيه في اليم حيث الموج والتيار والوحوش والأسماك فذلك أمر لا يعقل ولا تقدم عليه أي أم باختيارها ولا تفكيرها..، ذلك أن هذا الأمر قد أوحى إليها..، ألقى إليها في قلبها فنفذته..، ولذلك بعد أن نفذت ما أوحى إليها ورجعت إلى عقلها البشري وتفكيرها المعتاد يقول الله تعالى في وصف حالتها هذه في سورة القصص - ١٠ : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾
وقد صدق الله وعده وردّهُ إليها وجعله من المرسلين وسبحان خفي الألطاف ..

ومن الوحى ما يسمى النفثُ فى الرَوع وهو من اللَّه تعالى مباشرة..، يقول ﷺ "إن روح القدس قد نفث فى روعى ألا تموت نفس حتى تستوفى رزقها".

ومن الوحى من يكون مناما كرؤية سيدنا إبراهيم يذبح ابنه..

ولكن لاحظ أنّ وحى النبوة .. فذلك غير الوحى للبشر..، فتلك درجة خاصة من درجات قوى النفس ..، فكما أن الحيوان لا يدرك معنى النفس الإنسانية فكذلك الإنسان لا يدرك أبدا معنى النفس النبوية..، فهذه درجة لا يعلمها إلا اللَّه تعالى ..، وهى درجة خصوصية الخصوص من البشر، وأعلاهم نفسا وأقدسهم روحا وأغناهم سرا هو رسول اللَّه محمد ﷺ ..

هذا ما قاله بعض علماء المسلمين فى هذا الأمر على قدر ما علموا..، وفوق كل ذى علم عليم.. وقد نقلناه إليك مع كثير من التصرف من جانبنا للإيضاح والشرح ، واللَّه تعالى أعلم.

• درجات النفس الإنسانية :

مما سبق نرى أنَّ خلاصة الأمر هو أنَّ الجسد يتعامل مع عالم الماديات، أمّا النفس أوالروح فهى تتعامل مع عالم الملكوت..، ومقصودنا من هذا العرض المبسط كما رأيت هو إلقاء الضوء على النفس وقدراتها حيث أنّهَا محِلُّ التكليف والحساب والعقاب والتفكر والتدبر وهى المسئولة عن تصرف الجسد وأقواله وأعماله..، وقد ورد فى الحديث الشريف أن الأعضاء البشرية فى الإنسان تخاطبه كل صباح وتقول للسان اتق اللَّه فينا. أى لا تدفعنا لفعل محرم.. من جراء كلامك.. فالأعضاء كما تعلم مسخرة للقلب وليس لها منفردة طاعة أو معصية.

كذلك فإن النية التى محلها القلب (أى النفس) هى التى تحدد كون الفعل حراما أو حلالا..، وقد سبق إيضاح ذلك فى الباب الأول.. فمحل الحرام والحلال هى النفس ، وإنما الأعمال بالنيات..، وقصدك وجه اللّٰه تعالى فى العمل يجعله فى سبيل اللّٰه ..، وقصدك غير وجه اللّٰه تعالى يكون رياء والعياذ باللّٰه ، ولا تؤجر عليه..

ويقول علماء المسلمين أن النفس الإنسانية لها سبع مراتب... فالقلب له ظاهر.. وباطن..، أمّا ظاهره فهو الروح الحيوانية والتى يمكن أن نعبر عنها الآن بأنها مجموع قوتى الغضب والشهوة..، وهى القائمة على تدبير حياة الجسد المادية كما قلنا..، وله باطن وهو الروح أو النفس الإنسانية..، والقلب وسط بينهما، والروح الإنسانية لها باطن وهو السر والسر له باطن وهو سر السر..، وسر السر له باطن وهو الخفى..، والخفى له باطن وهو الأخفى...

فإذا مال القلب إلى الروح الحيوانية وائتمر بأمرها، وصار منفذا لرغباتها، صارت النفس المسيطرة على الإنسان هى النفس الأمارة بالسوء..، النفس الحيوانية البحتة وصار الإنسان كالبهيمة بلْ أضل..،

فإذا توازن القلب بين النفس الحيوانية والروح ، واصبح يحكم هذه مرة وهذه مرة فيكون ذلك هو مقام النفس اللوّامة..،

فإذا مال إلى الروح وأحوالها وأصبح نظره إلى الروح الحيوانية هو مجرد استمرارية حياة الجسد الضرورية فيرتقى حينئذ إلى درجة النفس الملهمة وتزداد عنده درجة الإلهام..،

فإذا مال القلب بالكلية إلى عالم الروح وبدأ يستجلى عالم الغيب بقوة أعمق .. صارت درجة النفس فى هذه الحالة هى المطمئنة.

فإذا بدأ القلب بالاتصاف بصفات عالم الملكوت واضمحلت فيه

قوى النفس الحيوانية إلى أقصى اضمحلال لها صارت درجته هى النفس الراضية..،

فإذا دخل القلب فى أنوار تجليات الله تعالى وترك عالم الملكوت أيضا... ، فقد صار إلى مرتبة النفس المرضية..،

فإذا اكتمل بالأسرار الإلاهية فقد انتقل إلى مرتبة النفس الكاملة... فى سورة الفجر ٢٧-٣٠:﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴾

واعلم أن لكل مرتبة من هذه المراتب عالما خاصا من عوالم الغيب تتعامل معه وتتصف ببعض صفاته..، ألا ترى أنَّ الماء يتلون بلون الإناء..، فإذا كان الزجاج أخضر رأيت الماء أخضر.. وإن كان أحمر رأيته أحمر.. وهكذا..

واعلم كذلك أن كل ما يقال لك عن عالم الملكوت أو أسرار النفس لا يمكن فهمه ولا إدراكه بالعقل المجرد.. لاختلاف المقاييس كما ذكرنا فى الباب الأول..، ولكن هذه الأمور لا تفهم إلا بجلاء الحقيقة للرائى فهما وذوقا، ولكننا أردنا أن نقرب الأمر إلى ذهنك ومنطقك..، وكل ما نهدف إليه معرفة خفايا نفسك لكى تعرف أو تحاول أن تعرف كيف تتعامل معها، والله الموفق المستعان..

• نور شرع الله فى النفس :

كما سبق القول فإن قوة النفس التفكيرية أو التدبيرية التى تتميز

بالمنطق والمعقول واللامعقول تتفاوت درجاتها بين البشر..

وانظر معى إلى بعض آيات من كتاب الله ..

الأولى يقول فى سورة النبأ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾

والثانية فى سورة الأنعام – ٧٣: ﴿... قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾، وقوله فى سورة الأحزاب – ٤: ﴿... وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ﴾

فقد نسب اللّه تعالى الحق إلى نفسه.. ولكن عندما تتكلم المخلوقات فهى تقول" الصواب".. فالحق هو الحق.. أمّا الصواب فقد يختلف الناس فيه..

فالناس على حسب علمهم وإدراكهم وأزمانهم ومجتمعاتهم يختلفون فى هذين المفهومين ، الحق ، والصواب.

فما تراه أنت صوابا.. قد لا يراه غيرك صوابا..، ولو نظرتَ إلى شخصين يتجادلان ترى كلا منهما يزعم أنه على صواب، وأن الحق معه، والآخر على خطأ ﴿..وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (الكهف–٥٤)

وحتى إذا عرف الإنسان أنَّهُ ليس على صواب فإنه قد يحاول أن يبرر موقفه وأن يوجد المبررات التى تحول فعله أو قوله إلى صواب.،حتى يوم القيامة تجادل كل نفس عن نفسها...

كذلك لو قارنت بين مجتمع غربى أوروبى بانفتاحه وانحلاله..

وبين مجتمع إسلامى بخلقه وآدابه ، فسوف تجد أن المحظور والخطأ عند المسلمين ليس بمحظور ولا خطأ عند غيرهم ..، والمجتمع الأوربى المنحل على استعداد ليجد مبررات كثيرة لأفعاله القبيحة...

إذا فكلمة المنطق أو الصواب تختلف باختلاف الناس والزمان والمكان... ولا يكاد البشر عموما يتفقون على مفهومٍ واحد إلا فى أُمور قليلة وهى الحقائق العلمية الثابتة..، أمّا السلوك والخُلُق فلا يمكن أن يتفقوا فيها ، وقد يحدث فى بعض القضايا الفكرية أن ينبع رأيان متضادان .. وصاحب كل منهما يرى نفسه على صواب وأن غيره على خطأ ..، وكل منهما مقتنع تماما بصوابه..، ولذلك فيوم القيامة يقول كل من أذن له الرحمن ما كان يراه صوابا من وجهة نظره.. ، ولكن لابد أن يكون للقضية وجه واحدٌ للحق وليس هناك غيره..، فهذان الاثنان وان ظن كلا منهما أنّه على صواب إلا أنَّ الحق لابد أنْ يكون مع واحد منهما فقط ولا يمكن أن يكون فى جانبين.

وهذا الحق لا يقدر على معرفته إلا اللَّه تعالى.. لذلك قد نسب جَلَّ شأنه قول الحق إلى نفسه..، بلْ هو الحق نفسه جَلَّ جلاله.

فاختلاف قدرات الإنسان على التفكير واختلاف مدى علمه وحسن منطقه وإدراكه ، هى السبب فى اختلاف مفهوم الخطأ والصواب عنده..، لذلك فلو تركنا لكُلِّ إنسانٍ أن يحدد بمنطقه هو الخطأ والصواب وحدود المسموح به والعيب ، لما اتفق اثنان منهم على هذه الحدود..

لذلك فالحذر كل الحذر عندما تعرض عليك مسألة أنْ تكيفها حسب منطقك الخاص ومفهومك الذاتى ..، فمن الذى أخبرك بأن عقلك وتفكيرك هما العقل والتفكير السليمان المجردان عن الخطأ والهوى ، واللبس فى الفهم وقلة الإدراك !!.

إنَّ أهـل الجاهليـة عبـدة الأصـنام كـانوا يـرون أنفـسهم علـى صواب..، والفرس عبدة النار كانوا يرون أنفسهم على صواب..، والروم عبدة المسيح كانوا يرون أنفسهم على صواب.. ولم يكن الحق مع فرقة منهم..، بلْ إن الحق هو ما جاء به رسول اللّه ﷺ من عند اللّه ...

فالحكم الصحيح والمنطق السليم والإدراك المعتدل إنَّما يكون بشرع اللّه تعالى وأحكامه التي أنزَلَها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فلا يصحُّ الا ما قال عنه الشرع إنَّهُ صحيح..، ولا يبطلُ إلا ما قال الشرع عنه إنَّهُ باطل..، فهذا هو الميزان المعتدل من عند اللّه تعالى..، ولذلك كانت صلاحية الشرع لكل زمان ..، ولكل مكان ولكل مجتمع.. ولكل عقل..، فهو لكُلِّ البشر عموما حتى قيام الساعة..، مع اختلاف ألوانهم وأجناسهم..، وهو لا يتأثر بعادات مجتمع ولا تقاليده ولا أفكاره ولا علمه ولا جهله.. وإنَّما اللّه تعالى خلق البشر وهو الأعلم بهم وبما يصلحهم..﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك-١٤)، فهو سبحانه الأعلم بالجسد والنفس والروح وما يصلحها وما يفسدها...

لـذلك فلـيس هنـاك ميـزان لعقلـك ومنطقـك إلا ميـزان الـشرع، وحكما للشرع، لذلك يقول اللّه تعالى في سورة الرحمن :﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾

فهـو ميـزان واحـد..، هـو شـرع اللّـه تعـالى.، وهـو ثابـت لا يـتغير، قـد اسْتُكْمِلَ وأُتِمَّ ببعـثة خاتـم الأنبياء والمرسلين عليهم جميعا صلوات اللّه وتحياته وسلامه..، فمن أقام شرع اللّه في نفسه وفي مجتمعه فقد أقـام الـوزن بالقـسط..، ومـن مـال عـن ميزانـه إلى الهـوى فقـد أخـسر الميزان كما يقول تعالى..

فإن قال قائل بأن الميزان المقصود فى القرآن إنّما هو ميزان الموجودات والتناسق بينها بدليل قوله تعالى فى سورة الحجر-١٩ :

﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴾..، أو كما يقول علماء الطبيعة بأن المادة لا تفنى وأنها ثابتة فى الكون تتحول من صورة إلى صورة ومن مادة إلى طاقة ومن طاقة إلى مادة، ولكنها ثابتة موزونة لا تزيد ولا تنقص..، فإنّى أوافق على هذا التفسير!!!، ولكن من قال إن آيات اللّه تعالى ليس لها إلا وجه واحد للتفسير.

يجب أن تعرف أنّ الآيات التى لا تحتمل إلا وجها واحدا للتفسير هى فى الغالب آيات الأحكام والتشريع كالصلاة والصيام وحدود الحرام والحلال ، وذلك حتى لا يختلف الناس فى تفسيرها فيحرّمَ قوم ما يحله آخرون ، وتتدخل الأهواء ، والجهل وقلة الإدراك ، ويؤدى كل هذا إلى سوء تفسير وفهم سقيم، لذلك يقول تعالى فى سورة النساء-٥٩ :﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ ويقول فى سورة الشورى -١٠ :﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ... ﴾ ويقول فى سورة الأحزاب-٣٦:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ .. ﴾

أمّا الآيات التى ليس فيها تشريع ولا أحكام أو التى تتحدث عن آيات اللّه فى الكون ، ففهمها متروك للقارئ ، ولإكرام اللّه تعالى له طالما أن التفسير لا يخرج عن شرع اللّه قيد أنملة ، واختلاف المفسرين الأوائل فى معانى بعض الآيات خير دليل على ما نقوله.

فشرع اللّه تعالى هو الميزان.. وهو المرجع.. وهو الحكم العدل..

لذلك فإن التفكير السليم.. والتدبر الحكيم.. وقوة النفس على الإدراك انما يكون كل ذلك مرجعه واساسه هو شرع اللّٰه تعالى..، انظر إلى قوله تعالى فى سورة الشورى-١٣: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ... ﴾

وخلاصة القول هو أنَّ من اتبع منطقه وهواه فقد ضَلَّ وَأَضَلَّ..، ومن اتبع شرع اللّٰه تعالى فهو على نور من ربه وبصيرة..

فهذا هو نور اللّٰه تعالى الذى يفرق به الناس بين الحق والباطل وبين الخطأ والصواب ، انظر إلى قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿...قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ ويقول فى سورة النساء-١٧٤: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ ويقول فى سورة الأنعام -٩١ :﴿ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ... ﴾

فمن الواضح ان شرع اللّٰه تعالى هو النور الهادى للعقل البشرى.. وهو الذى يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة.

وعلى هذا فإن قوة الإدراك فى النفس.. وقوة تدبيرها وتفكيرها إن لم تكن مستمدة من شرع اللّٰه تعالى ونور كتابه وأحكامه وحرامه وحلاله وتوجيهاته..، فإنما هى فى ظلام وجهل..، وكم فى القرآن

الكريم من آيات تؤكد هذا المعنى لمن يعتبر..

فالمؤمن الحق هو الذى يستمد آراءه وأحكامه من شرع الله تعالى وليس من عادات المجتمع وتقاليده..،﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ (الأنعام-١١٦)

وأكثر الناس لا يعلمون..، أو يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون.

وعلى هذا فإن النفس الناطقة إن لم تكن على علم كافٍ بشرع الله تعالى وحدوده فلا يُعْتَمَدُ على قوتها التفكيرية ولا منطقها.، لذلك يقول ﷺ إن العلم بالتعلم ، وهذا هو العلم المنقول المكتسب الذى يصقل قوة النفس ويهديها إلى الصراط المستقيم وهو شرع الله تعالى ، فالكافر أو الفاسق أو من لا يلتزم بتعاليم الإسلام لا تأخذ منه لا منطقا ولا تفكيرا سليما..، يقول تعالى فى سوة الكهف-٢٨:﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ ويقول فى سورة النجم -الآيات ٢٩-٣٠: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾

فمن لم يتعلم شرع الله ويستنر بنور شرعه فى إدراكه ومنطقه وتفكيره فقد كان أمره فرطا.

وهذا ما قصدناه فى الباب الأول عندما ذكرنا لك تعبير الإدراك المعتدل فالإدراك المعتدل هو الإدراك المستنير بنور شرع كتاب الله تعالى وأحكامه.

• نور هدى الله فى القلب :

ذكرنا فيما سبق نور الشرع المكتسب بالتعلم من كتاب الله وأحكامه..، ولكن هل هذا هو فقط نور الله الذى يهدى به المؤمن؟!!

الجواب لا، بلْ إن هناك نوراً آخر من الله تعالى ..، ولكنه غير مكتسب بجهد ولا بحيلة بلْ موهوب منه تعالى...

لقد قلنا فيما سبق أنَّ من قوى النفس قوة خطيرة هى قوة الخيال وفيها يكون حديث النفس ، وفيها يكون الإلهام والوحى..، وكذلك الوسواس الذى هو من الشيطان...

روى الترمذى والنسائى عن عبد الله بن مسعود قوله ﷺ" إن للشيطان لَمَّةً يا ابن أدم ، وللمَلَكِ لَمَّةً ، فأمَّا لَمَّةُ الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لَمَّةُ الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان" ، ويقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه" إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم" ويروى الإمام أحمد وكذلك مسلم عن ابن عمر قوله ﷺ" إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب وأحد يصرفه حيث يشاء".

ويقول تعالى فى سورة الأنعام -١٢٥ : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ .... ﴾ ، قيل وكيف يشرح الله صدره يا رسول الله فقال : "هو نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد فتنبسط له الجوارح بالطاعات" أو كما قال ﷺ.. ويقول الله تعالى فى

سورة الأنفال-٢٩ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا...﴾ ويقول فى سورة الحجرات الآيات ٧-٨ :﴿... وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

وواضح مما سبق من الأحاديث والآيات وكثير مثلها أنّ الفعال الحقيقى لما يريد هو اللّه تعالى ، فهو يشرح صدر من يريد هدايته..، وهو الذى يحبب الإيمان إلى قلوب عباده.، وهو الذى يكرّهُ لَهُمْ الكُفْرَ والفسوق والعصيان.، وإنّ القلوب بين إصبعين من أصابع قدرته جَلّ وعلا..

ولو نظرت إلى أفعال العباد والتى هى أساس الحساب فى الثواب والعقاب يوم القيامة ، وحاولت أن تتدبر كيف يُحْدِثُ العبد الفعل أو يأتى بالعمل لوجدت هذا التسلسل الآتى :

يبدأ الأمر بخاطر فى النفس.. إمّا خاطر شيطانى أو خاطر رحمانى فالخاطر الشيطانى هو الذى يأمر بالشر والمعصية.، والخاطر الرحمانى هو الذى يأمر بالخير والطاعة.، ثم يظل هذا الخاطر يزيد قوة فى نفسك حتى تنعقد النية على الفعل..، ثم العزم على الفعل ذاته، ثم الفعل نفسه الذى تفعله بالجوارح..

فالباعث الأول للفعل هى الخاطر الذى يأتيك..، وهذا الخاطر أنت لا تستطيع ان تجلبه بنفسك ولا أن ترده بنفسك ، الا إذا جاءك خاطر آخر مخالف له، فالخواطر تدفعها الخواطر..، وأنت بين الخاطرين الأول والثانى لا حول لك ولا قوة اللّهم إلا بقوتك

الفكرية.،، فإذا كانت قوتك الفكرية مستنيرة بنور الشرع وأحكامه كان لك في نفسك وازعا إلى الخير..

وقد سبق القول أن قوة النفس الخيالية هي موضع استقبال تلك الخواطر والوسوسة والإلهام.،، وعلى هذا فإن أفعالك كلها مصدرها وأساسها قوة نفسك الخيالية...، وهذه الخواطر هجومية عليك.. من اللّه تعالى بلا مقدمات بلْ هي بين إصبعين من اصابع الرحمن.. جلت قدرته..

فإن كان الغالب على هذه الخواطر أنَّها رحمانِيَّة.. فذلك هو الخير لك، وان كان الغالب عليها أنَّها شيطانية فذلك هو الشر...

وهذا هو نور اللّه تعالى الذى يقذفه فى قلب العبد المؤمن.. من عنده تعالى بلا اكتساب من العبد.. ولكن هدية ونفحة من رحمة اللّه .. وهذا هو النور الحقيقى حيث يقول ﷺ" اتقوا فراسة المؤمن فإنَّه ينظر بنور اللّه " كما رواه الديلمى ، وروى الديلمى أيضا عن السيدة أم سلمة قول الرسول ﷺ:" إذا أراد اللّه بعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه يأمره وينهاه".. فهو مهدى باللّه مستبصر به وبنوره ، ألا ترى إلى قوله تعالى فى سورة النور-٣٥:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ...﴾

فنور اللّه تعالى هو نور الهداية ونور البصائر.. ونور القلوب الذى به يعرف العبد الخير من الشر.،، والذى من حرم منه فقد صار أعمى.،، وصار له عين لا يبصر بها ..، فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.. أى القلوب التى ترى بنور اللّه تعالى ، بنور هدايته فافهم...

ورغم أن هذا النور الموهوب من اللّه تعالى هو منحة منه جَلَّ شأنه.، إلا أن هناك طرقاً لاستجلابه أيضا.،، مثل طاعة اللّه وتقواه.،،

يقول تعالى فى سورة البقرة -٢٨٢ : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾

فكل ما يستطيع أن يفعله العبد هو ان يجعل قلبه محلا لنور اللّه تعالى بالطاعة والتوجه إليهِ ثم ينتظر بعد ذلك فضل اللّه عليه...

ومن هذا ترى أنَّ نور هداية اللّه نوعان..

الأول مكتسب بالتعليم وهو نور شرع اللّه .،

والثانى موهوب منه تعالى لمن اتقاه وأطاعه،

فإذا اجتمع النوران فى نفس العبد فهنيئاً له،" نور على نور"..، نور ظاهر من الشرع..، ونور باطن من اللّه تعالى..، يهدى اللّه لنوره من يشاء.

وان كان العبد متزيناً بنور الشرع فقط عالما بأحكامه وحلاله وحرامه..، فإنما هو فى جهاد كبير مع نفسه، ومع خواطره حتى يستقيم حاله.

وإن أحبَّ اللّه عبدا، وسبق كرمه إليهِ فهداه لنوره الباطن فقد فاز فوزا عظيما، وحينئذ فإن اللّه تعالى يعلمه ويهيئ له أسباب العلم الظاهر أيضا ويحفظ عليه الشريعة وأحكامها.. ويقول جَلَّ شأنه فى سورة الكهف – ٦٥ : ﴿ ... وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ .

* * *

موجز الباب الثانى

فإذا أردنا أن نلخص ما وصلنا إليهِ فى هذا الباب نقول :

•الجسد : هو القالب الحيوانى البشرى الذى يتعامل مع عالم الشهادة ويأتمر فى كل أفعاله بأوامر النفس.

•النفس الحيوانية : هى ذلك البخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة ومركبه الدم وقوته الغضب والشهوة.

•النفس الإنسانية : هى جوهر فى ذاته مقارن للمادة فى أفعالها ويطلق عليه أسماء الروح والقلب والبصيرة.. إلى آخره.

•النفس لها التفكير والعلم والوهم والخيال أمّا الحس المشترك والشعور فهى التى تترجمه إلى الجسد ومن الجسد إليها ، ورغم ذلك فقد تحس النفس بذاتها دون الجسد مثلما يحدث خلال النوم أمّا الجسد فله الفعل والحركة.

•الموت هو انعدام القدرة على الحركة فى الجسد ، ولكن يظل فى النفس علمها وعقلها وشعورها وبذلك ينقطع عملها بالموت لانعدام الجسد ، ويبقى إحساسها وإدراكها معها.

•أهم قوى النفس

-الحس المشترك وهو الذى يترجم المحسوسات إلى معنويات والمعنويات إلى محسوسات.

-قوة الذاكرة وهى التى تحفظ كل ما يمر بها.

-قوة التفكير وهى صاحبة المنطق والتفكير.

-قوة الخيال وهى محل الوسوسة والإلهام والوحى.

•درجات النفس الإنسانية :

-الامارة بالسوء وهى المطيعة للنفس الحيوانية.

-اللوامّة وهى مرتبة القلب ولها وجه إلى الدنيا ووجه إلى الآخرة.

-الملهمة وهى مرتبة الروح ولها انشغال بعالم الملكوت.

-المطمئنة وهى مرتبة السر ويغلب عليها عالم الملكوت.

-الراضية وهى مرتبة سر السر حيث تنجلى لها حقائق الموجودات.

-المرضية وهى مرتبة الخفى وهى تتميز بأنوار الصفات الإلهية.

- الكاملة وهى مرتبة الأخفى حيث التجليات الإلهية.

•الأفعال أساسها الخواطر الرحمانية والملكية والشيطانية.

•نور اللّه المكتسب : هو العلم بشرع اللّه تعالى وتعلمه وهو النور الظاهر.

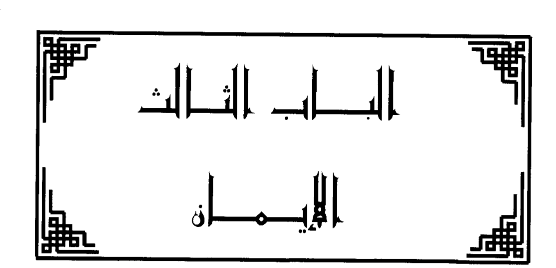
•نور اللّه الموهوب : وهو العلم باللّه تعالى لمن اتقى وصدق وهو النور الباطن.



نسأل اللّه تعالى أن ينير بصائرنا بنورها الظاهر والباطن وأن يهدينا لأحسن الأعمال لا يهدى لأحسنها إلا هو وأن يصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا هو، وأستغفر اللّه تعالى مما قلت إلا قولا هو من عند اللّه ورسوله

وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *


الباب الثالث
الإيمان



كان لابد أن نعرض فى البابين الأول والثانى فكرة مبسطة عن عوالم الغيب والملكوت غير المرئية أو غير المحسوسة بالحواسِّ البشرية، وكذلك أن نتعرض لقوى النفس الداخلية غير المحسوسة التى يمكنها التعامل مع عوالم الغيب بكيفية خاصة.، وذلك كمقدمة للحديث عن الإيمان حيث أنَّهُ غيبىٌّ هو الآخر أو باطنى كما يقولون.

وتعريف مطلق الإيمان: هو الاعتقاد بالقلب والتصديق الجازم فى النفس والمعرفة اليقينة بما تؤمن به، ثم ما يستتبع هذا من إقرار باللسان وأداء لأعمال نابعة من هذا الإيمان.

فالإيمان محله القلب، أى النفس والروح، لذلك فهو باطنى، ولكن لابد بالضرورة من أن تكون له مظاهر تبدو من باطن النفس إلى ظاهر الجوارح والجسد، فكل إناء ينضح بما فيه، فالباطن ثمرته الظاهر، والظاهر أصله الباطن وسبحان الأول والآخر والظاهر والباطن...

• أنواع الإيمان :

الإيمان أنواع وكل نوع له قوته..، وأعلاه هو الإيمان التحقيقى، وذلك هو الذى قد انطبع فى القلب شهودا ومشاهدة ويقينا جازما لا شك فيه حتى لو خالفك فيه كل أهل الأرض فانه لا يهتز ولا يتأثر..، وهذا بالطبع هو أعلى درجات الإيمان.، يقول تعالى فى سورة آل عمران-١٨: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ .، فاللّه سبحانه وتعالى وهو الشاهد والشهيد قد جمع مع شهادته وشهادة الملائكة شهادة أولى العلم.. وهم خواص خلقه العلماء به تعالى والذين يقول عنهم:

﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ... ﴾(فاطر-٢٨)

وتلى هذه الدرجة درجة الإيمان الاستدلالى أو العقلانى، وهو ذلك الذى يتكون فى قلبك بالأدلة والبراهين العقلية، يقول تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (يونس-١٠١) ويقول: ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ (العنكبوت-٢٠) و هذا الإيمان العقلى يزيد وينقص لأنه دائما محل نظر وتفكر واعتبار.

والدرجة الأدنى هى الإيمان بالتقليد، وهذا أضعف الإيمان لأنَّهُ ليس له أساس متين يرتكز عليه سوى التقليد لمن حوله، فمن نشأ فى قوم فهو عادة يدين بمعتقداتهم ويسمع لكلامهم دون تمحيص منه أو تدبر فيه، فإن كانوا مؤمنين فهو مؤمن، وان كانوا كافرين فهو مثلهم، انظر إلى قوله تعالى فى سورة الزخرف : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ ، فهذا الإيمان هو محل فتن وتغيير لأنه تقليد أعمى، فلا هو بالمشاهدة اليقينية ولا هو بالدليل العقلى.

اللَّهم إلا من نقله اللَّه برحمته منه إلى العقلى أو رزقه اللَّه اليقين من عنده كإيمان عوام المسلمين فهم على الفطرة الطاهرة، وفيها خير عظيم لأنها فطرة اللَّه التى فطر الناس عليها.

وضد الإيمان هو الكفر، فالإيمان هو الاعتقاد، والكفر هو الإنكار، فكافر النعمة هو منكرها غير المعترف بها.

والكفر نوعان، كفر اعتقاد وإلحاد بحيث لا يرى الكافر النعمة أصلا أو يراها ولا يقدرها حق قدرها فهو كالأعمى تماما، يقول تعالى في سورة المائدة:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾.. ويقول :﴿... يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾(الأنعام-٢٥).

والنوع الثاني هو كفر جحود ولجاجة واستكبار مع معرفته بالنعمة، يقول تعالى في سورة النحل: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ، ويقول:﴿ .. فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَـٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل-١١٢) ، ويقول :﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (النمل-١٤)

فليس الإيمان كله واحدا، وكذلك ليس الكفر كله واحدا، ومن البدهي ان يكون الإيمان في قلبك هو إيمان بمعلوم لديك، وليس إيمانا بمجهول، صحيح أن هذا المعلوم يكون له في نفسك درجات كثيرة من العلم به، ولكنه ليس مجهولا تمام الجهل، والمعرفة درجات من درجات العلم، واليقين هو اعلى درجات العلم.

فإذا كان العلم هو الإلمام والإحاطة بالمعلوم، فإن اليقين هو ملامسة هذا العلم للقلب والانفعال به بحيث يصبح مهيمنا على كل أفعال وأحوال القلب وتقلباته، انظر إلى قول الله تعالى في سورة الأنعام:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾، فالعلم عن طريق الرؤية قد أثمر اليقين، فإن اليقين

هو ثمرة المعرفة.

ولتبسيط الأمر نقول إن كل إنسان يعلم بلا أدنى شك أنَّهُ سوف يموت يوما ما، ولكنَّهُ فى زحمة حياته وانشغاله بأمور دنياه وشهوات نفسه ينسى هذه الحقيقة، ويزداد يقينه بها إذا اتبع جنازة أو حضر شخصا وهو يموت، فتراه لفترة قد تطول وقد تقصر قد عزف عن الدنيا وحدثه قلبه باحتمال موته القريب وما ينتظره بعده، فتتبدل صفاته مؤقتا، فإذا ضعف عنده هذا اليقين عاد إلى انشغاله بدنياه وشهواته ناسيا الموت مرة أخرى، مع علمه الكامل فى جميع أحواله بأن الموت حقيقة وأنَّه سيموت بلا جدال.

فعلمه بالموت لم يزد ولم ينقص، ولكن يقينه به وهو ملامسة هذا العلم للقلب والانفعال به، هو محل الزيادة والنقص.

لذلك يقول ﷺ : فيما رواه مسلم : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّها تذكركم بالآخرة "، وليس من مفرج لِهَمٍّ المكروبين مثل زيارة القبور، نعم إذا ضاقت بكم الصدور من الدنيا وما فيها وأحوالك وأحوالها معك فاتركها واذهب إلى القبور حيث الموت والآخرة أمامك، فكل هؤلاء المقبورين كانوا مثلك وأكثر أو أقل غنى، وأشد أو أعظم فقرا، وأقل أو أكثر بلاء، والآن تساوى غنيهم مع فقيرهم، ومنعمهم مع مبتليهم، وكلهم تحت التراب وأين نعيمهم الدنيوى وأين أموالهم وأين مكانتهم فى الدنيا !!! هذه نهايتهم ونهايتك لا ينفعهم ولا ينفعك وانت صائر اليهم لا محالة غير عمل صالح ورضاء اللّه تعالى عنهم وعنك، وصدق رسول اللّه ﷺ.. فإن زيارة القبور تزيد يقينك بالموت وتهون عليك الدنيا وما فيها.

فهذا مثل العلم، ومثل اليقين.

واليقين أيضا درجات، قالوا إن أدناها علم اليقين، وأوسطها حق

اليقين، وأعلاها عين اليقين، فعلم اليقين هو العلم المكتسب بالفكر والمنطق الذى لا شك فيه، وحق اليقين هو العلم المنقول إليك من مصدر وثقة لا شك فيها حتى وإن كان ما نقل إليك مخالفا لفكرك ومنطقك، وعين اليقين هو ما رأيته بعينك فلا سبيل لإنكاره بأيّةِ وسيلة ولا شك فيه، فماذا بعد رؤية العين !!!.

يقول تعالى فى سورة الواقعة-٩٥:﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾

ويقول تعالى فى سورة التكاثر: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾

والحقيقة أن معانى العلم والمعرفة والإيمان واليقين كلها متقاربة من بعضها البعض مع فروق دقيقة لا ينتبه لها أكثر الناس، لذلك فلنطلق لفظ الإيمان على كل هذه التعريفات فإنّها تفى بالغرض على قدر المقصود.

وحيث إن الإيمان إنَّما يكون بالقلب فلابد بالضرورة ان يتأثر به القلب، وما يصدر منه من أعمال عن طريق الجوارح التى هى أدوات القلب، ومنافذه على العالم المادى فالقلب كما سبق القول فى الفصل السابق هو الآمر الناهى على الأعضاء فلا بد أن يظهر على هذه الأعضاء والجوارح، ما قد وقر واستقر فى القلب من إيمان.

لذلك يقول ﷺ فيما رواه الديلمىعن أنس رضى اللّه عنه " ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى، ولكن هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل"، فالإيمان المستقر فى القلب إنَّما يصدقه أو يكذبه العمل الدال عليه

والذى تأتى به الجوارح والأعضاء، لذلك فالإيمان الباطنى له اثره الظاهر بلا شك، فإن صدق الإيمان فلابد أن تنبسط الجوارح بالطاعات وتكف عن المعاصى والمحرمات على قدر ما فى القلب من إيمان، لذلك يقول ﷺ إن الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا اللّه وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، كما يقول ﷺ فى الحديث الصحيح " من كان يؤمن باللّه واليوم الأخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن باللّه واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت "، والقول الفيصل قوله ﷺ فيما يرويه الطبرانى عن ابن عمر " لا يقبل الإيمان بلا عمل ولا عمل بلا إيمان ".

ويقول تعالى فى سورة النور-٢١ :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ... ﴾ ، ويقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ... ﴾ (الأنفال-٢٠)، ويقول:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ...﴾ (الحجرات-١١)، إلى آخر مثل هذه الآيات والأحاديث التى توضح أفعال المؤمنين الصادقين.

وكما أن الإيمان له اثره الظاهر على أفعال المؤمنين، فلابد ان يكون اثره أكبر فى صفات القلوب المؤمنة، فالقلب المؤمن لابد ان يصبغ بصبغة الإيمان، ومن احسن من اللّه صبغة، لذلك يقول ﷺ " إن الحياء شعبة من الإيمان" فالحياء صفة فى النفس تتحلى بها، والمقصود هو الحياء من الرذائل التى تأباها النفس العفيفة وترفضها أنفة المؤمن وعزته باللّه تعالى، واعلى درجاته هو الحياء من اللّه تعالى، فيكون المؤمن حريصا على ألا يراه اللّه حيث نهاه وألاّ يفتقده حيث أمره، فهذا هو الحياءُ المطلوب وإن كانت كل أنواع الحياء محمودة العاقبة.

ومن صفات المؤمن حب المؤمنين واتساع قلبه لهم جميعا

والرحمة بهم، يقول ﷺ فيما يرويه الامام مسلم عن أبى هريرة "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم، افشوا السلام بينكم" وانظر إلى دقه التعبير فى هذا القول النبوى المبارك وقد أوتى ﷺ جوامع الكلم فيضع كل كلمة فى مكانها الصحيح بمعناها المراد تماما، حيث يقول" أفشوا السلام بينكم " ولم يقل ألقوا السلام، فالإفشاء غير الإلقاء، فالإلقاء باللسان والكلام، والإفشاء هو نشر السلام بين قلبك وقلب أخيك المؤمن بكل سبيل بالقول وبالفعل وحسن المعاشرة فيأمن شرك وتأمن شره، ألا ترى إلى الدعوة المأثورة عند دخول المسجد الحرام "اللّهم أنت السلام ومنك السلام، فحينا ربنا بالسلام" !!!.

فافهم رحمك اللّه المقصود من إفشاء السلام بينك وبين المؤمنين وأهمية المحبة بينك وبينهم.

وعلى العموم فسوف نفرد فصلاً خاصاً لخلق الإيمان وأدبه بإذن اللّه تعالى.

• عناصر الإيمان :

فإذا تحدثنا عن الإيمان الشرعى المطلوب من المسلمين فاننا نلتزم بحديث رسول اللّه ﷺ عندما سئل عن الإيمان فقال "الإيمان هو ان تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتؤمن بالقدر خيره وشره " صدق رسول اللّه ﷺ.

ومن الواضح انه إيمان بغيبيات، إمَّا غيبيات مادية كرسل اللّه تعالى الذين سبقوا والكتب المنزلة عليهم، وإمَّا غيبيات من عوالم الملكوت كالملائكة واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وسنوجز لك المعنى فيما يلى:

• الإيمان بالله :

أن تؤمن بوحدانيته جَلَّ وعلا بأنّه لا إله إلا هو مالك الملك والملكوت ورب كل شئ وإلاه كل شئ.. وخلق كل شئ وهو على كل شئ قدير، قيوم السموات والأرض لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الفعال لما يريد جَلَّ شأنه العظيم، وأن تؤمن بأسمائه تعالى وصفاته بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل، ولكن كما أراد اللّه تعالى وبالكيفية التى تليق به جَلَّ شأنه.

والباب التالى سيكون فيه التفصيل للإيمان باللّه، فلا نطيل الآن.

• الإيمان بالملائكة :

وهم نورانيون خلقهم اللّه تعالى لا مؤنثين ولا مذكرين، وهم معصومون من الخطأ والعصيان، وكل منهم على درجة واحدة من الطاعة ﴿... لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ (التحريم - ٦)، وهم أنواع شتى ودرجات لا نهاية له، وكل منهم له مقام معلوم:﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾﴾(الصافات - ١٦٤)، فمنهم ملائكة فى الأرض، وملائكة فى كل سماء، وملائكة بين الأرض والسماء، وملائكة حفظةٌ للإنسان، وملائكة كاتبون لحسناته وسيئاته، وملائكة للنعيم وملائكة للجحيم، وملائكة حول العرش، وملائكة يحملون العرش، وملائكة سجود، وملائكة ركوع حتى يوم القيامة، ولا نهاية لحصرها وسبحان من أحصاها نوعا وعددا!.

وتأمل فى آيات اللّه ليزداد يقينك حيث يقول:﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا

عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾ ﴾(الطارق-٤) ، ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ... ﴾ (الرعد-١١) (أى يحفظونه بأمر الله تعالى)، ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ ﴾(الانفطار)(أى كاتبين لأعمالكم وأفعالكم) ، ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (الأنعام - ٦١)، ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الزمر-٧٥) ، ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحاقة-١٧)، ﴿ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ ...﴾ (المدثر: ٢٦-٣١)، ﴿ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾ (الزخرف -٧٧)، (مالك هو خازن النار)، ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ (البقرة-٩٨)، ﴿ إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾(الأنفال-٩) ، ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾(آل

عمـــــران)، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾(فصلت-٣٠و٣١)،

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾(غافر-٧)

فأنت ترى أنواعا شتى من الملائكة، كل له عمله، وكل له صلاته وتسبيحه، وكل له مقام معلوم، جَلَّ جلال الله.

• الإيمان بالكتب السماوية :

والكتب المعروفة لدينا هي أربعة : القرآن والإنجيل والتوراة والزبور، كما جاء ذكر صحف إبراهيم في القرآن الكريم، يقول تعالى ﴿... وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ **(النساء-١٦٣)، ويقول في سورة آل عمران-٣و ٤:** ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾

ويقـول فـى سـورة الأعلـى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾، ويقول فـى سـورة الحديـد-٢٧: ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ... ﴾ ، ويقـول فـى سـورة الإنسان: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ .

فصحف إبراهيم أُنزلت على سيدنا إبراهيم أبى الأنبياء عليه السلام، والزبور أُنزل على سيدنا داود عليه السلام، والتوراة على سيدنا موسى عليه السلام، والإنجيل كان لسيدنا عيسى عليه السلام، القرآن كلام اللّه تعالى المحفوظ بأمره تعالى والمنزَّل على سيدنا رسول اللّه ﷺ، والقرآن الكريم هو الجامع الشامل التام الكامل، قراءته ذكر، والنظر فيه عبادة، والاستماع إليه عِبَرٌ ونور.

• الإيمان برسل اللّه :

ورسل اللّه المعروفون لدينا هم خمسة وعشرون، وهم آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وشعيب، ولوط، وهارون، وموسى، وداود، وسليمان، وأيوب، وذو الكفل، ويونس، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وخاتمهم محمد ﷺ أجمعين، وأولوا العزم منهم خمسة هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد.

ورسل اللّه إلى الخلق كثيرون وقد قيل إن عددهم هو ٣١٧ أو ٣١٥ على اختلاف فى الرأى، حيث أنَّ هناك رسلاً لم يقصصهم اللّه علينا فى كتابه الكريم حيث يقول فى سورة النساء: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ

عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾

وسيدنا إدريس أُرسل إلى أهلِ مِصْرَ ويسمى بأبى الفراعنة وإليه يُنْسَبُ علم الفلك والهندسة وذكر ابن كثير أنَّ له اسما آخر وهو أخنوخ وقيل أنه هرمس الفراعنة وقيل إنه إلياس والأنبياء كثيرون وقيل إن عددهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبى، والنبى هو من نبئ فى نفسه ولم يرسل إلى قوم، والرسول نبى أرسل إلى قومه، فكل رسول نبى وليس كل نبى رسولا، وقد يوجد أكثر من نبى فى زمن واحد، وكذلك أكثر من رسول فى زمن واحد، وكل رسول إلى قومه، أمّا رسول اللّه محمد ﷺ فقد ارسل إلى كافة العالمين، والجن والإنس، ولكل زمان ومكان، يقول تعالى فى سورة سبأ-٢٨:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا... ﴾، **وقوله تعالى فى سورة المائدة-٣:**﴿... ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ... ﴾، **ويقول فى سورة الأنبياء - ١٠٧ :**﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ **وقوله فى سورة الحجر:**﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾، **يدل على أنّ دين محمد ﷺ هو الدين الكامل، والنعمة التامّة، والمحفوظ من عند اللّه تعالى من أى تغيير أو تحريف أو تبديل، والصالح لكل العالمين (آل عمران-٨٥):**﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ... ﴾**، فالإسلام هو الدين الشامل الكامل الذى ارتضاه اللّه تعالى لعباده حتى قيام الساعة.**

وهو يوم البعث والنشور، يوم القيامة، يوم الحسرة، يوم الفزع الأكبر، يوم تضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد، يوم يجعل الولدان شيبا، يوم يقوم الناس لرب العالمين، اللَّهم أظلنا تحت عرشك فى هذا اليوم العظيم واجعلنا مع حبيبك المصطفى ﷺ غير خزايا ولا نادمين، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، واجعله فينا شافعاً مشفعاً يا رب العالمين، كرما منك وجودا وإحسانا على عبيدك المقرّين بذنوبهم المعترفين بعجزهم عن ذكرك وعبادتك ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

فى هذا اليوم العظيم، يحشر الناس لرب العالمين، ويقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، يوم تخشع الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا، يوم يضع اللَّه تعالى الموازين القسط للحساب، فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها ووزنتها وإن تكن مثقال حبة من خردل، فمن عمل مثال ذرة خيرا يره، ومن عمل مثقال ذرة شرا يره، وإن تك حسنة يضاعفها اللَّه تعالى ويؤت من لدنه أجرا عظيما، فمن أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا، وأمَّا من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا، يوم يأتى اللَّه تعالى بأعمال البشر حاضرة شاهدة متكلمة، فلا يُقْبَلُ منها إلا ما كان خالصا لوجهه الكريم، وكل إنسان له ميزانه على قدر علمه وعقله وإخلاصه ونعم اللَّه عليه فى الدنيا، فمن الحسنات ما هى مردودة على وجه صاحبها، ومنها ما هى بعشر، ومنها ما هى بسبعمائة ضعف، واللَّه يضاعف لمن يشاء، فكم من عمل قليل خَلُص لوجهه تعالى ينميه اللَّه بفضله ويزكيه ويطهره ويربيه للعبد حتى يدخله

الجنة، فالرجل الذى سقى الكلب شربه ماء، ادخله اللّه بها الجنة، وما أهونه من عمل وما أعظمه من أجر، وينصب الصراط على جهنم، أدقّ من الشعرة وأحدّ من السيف، فمن الناس من يمر عليه إلى الجنة بسرعة البرق، ومنهم من يجرى عليه، ومنهم من يحبو، ومنهم من تتناوله كلاليب جهنم التى نصبت على جانبى الصراط تسحب الكفار والفاسقين إلى جهنم، وهى لها زفير وشهيق وماذا تقول فى وصف جهنم والعياذ باللّه بعدما ذكره اللّه تعالى فى كتابه الكريم !!! وماذا تقول فى وصف الجنة بعد وصف اللّه تعالى لها فى كتابه الكريم !!! وما هذه الأوصاف المذكورة الا لتقريب المعانى إلى النفس البشرية، فهى لا تعلم إلا ما تلمسه وتحس به من أمور الدنيا فجاءت الأوصاف فى القرآن الكريم على حسب ما تعود الناس فى دنياهم من مظاهر العذاب أو مظاهر النعيم، ولكن الأمر أكبر من هذا وأعظم، ألا ترى إلى قول رسول اللّه ﷺ عن الجنة كما رواه عبد اللّه بن عباس " فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " !!! أى حتى ما يخطر ببالك أو منتهى تصورك بالنعيم ومذاقه لا يساوى شيئا بجوار نعيم الجنة الحقيقى، فلا الحور العين كالنساء، ولا الأنهار كالأنهار ولا العسل كالعسل ولا اللبن كاللبن، وإن اتفقت المسميات فما أبعد الجواهر، وما أبعد التشابه بين شهوات الدنيا ونعيم الآخرة، وروى ابن عباس عن رسول اللّه ﷺ قوله "ليس فى الجنة شئ مما فى الدنيا إلا الأسماء " وروى البخارى ومسلم عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قول رسول اللّه " ولو أطلعت أمرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما " وصدق رسول اللّه ﷺ، الاسم هو الاسم ولكن ما ابعد الموصوف عن المعروف، وجلّ جلال اللّه.

ورغم هذا فإن العقل البشرى الذى يريد الجنة وما فيها من عنب ورمان وحسان، فسوف يجد بفضل اللّه تعالى عنبا ورمانا وحسانا كما وعده

ربه، ووعده الصادق، فإن لهم فيها ما يشتهون، ومن أصدق من الله قيلاً!!!

ويقول ﷺ فيما رواه الترمذى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ بم ينعم الناس فى الآخرة، فأجابها بأن العبد ينعم على قدر عقله فسألت : أو ليس على قدر عمله ؟ فقال وهل يعمل العبد إلا على قدر عقله فى الدنيا !! فكل عقل وما يريد، وكل عقل وما يفهم.

والجحيم كذلك والعياذ بالله، مهما قيل فى عذابها فهى أشد وأنكى وفوق ما يدرك البشر

وبين عشاق النعيم واهل الجحيم تجد قوما آمنين يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة مبشرين ومرحبين، لا ينظرون إلى جنة ولا نار، ولكنهم عبدوا الله تعالى حباً فى الله ولم يريدوا إلا وجهه الكريم ولكل امرئ ما نوى، أولئك رجال يحبهم ويحبونه، لا يريدون سواه ولا ينظرون لغيره، ويساقون إلى الجنة بالسلاسل ويقولون لا ندخل حتى نرى ربنا، الله أكبر الله أكبر، والذين آمنوا أشد حباً لله.

﴿... ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ... ﴾(الروم-٣٨)، ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ... ﴾(الكهف-٢٨)، فافهم.

روى الطبرانى عن أبى أمامة وروى أبو نعيم عن أبى هريرة قوله ﷺ "عجبت لأقوام يساقون إلى الجنة فى السلاسل وهم كارهون"، وروى أحمد والبخارى وأبو داوود عن أبى هريرة قوله ﷺ "عجب ربنا من قوم يعادون إلى الجنة فى السلاسل" ، وروى أحمد والطبرانى عن

سهل بن سعد قول رسول اللهﷺ " ضحكت من ناس يأتونك من قبل المشرق ويساقون إلى الجنة وهم كارهون" فى أحاديث كلها صحيحة.

ثم الجنة جنات، فمنها الفردوس الأعلى، ومنها عليون، ومنها جنة النعيم، وجنات عدن، وجنات الخلد، والمأوى، ومنها واحدة فقط هى التى يدخلها العبد بعمله، امّا الباقيات فبفضل اللّه تعالى ورحمته، وهذا يفسر قول رسول اللّه ﷺ الذى رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى اللّه عنها " لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول اللّه، قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى اللّه تعالى رحمته" فجنة واحدة للعمل، وجنان أخرى لفضل اللّه تعالى فافهم.

والنار كذلك درجات فمنها سقر، ومنها سجين، ومنها ويل، ومنها الجحيم ويكفينا ما ورد فى وصفها فى كتاب اللّه تعالى.. فالحساب حق، والجنة حق، والنار حق، والصراط حق، والميزان حق وأشهد أن لا إله إلا اللّه أن محمداً رسول اللّه صدقاً، ولتعلم أن العذاب والنعيم إنما يكونان للروح والجسد معاً، فالاحياء تبعث يوم القيامة والنفوس تزوج بالجسد.

وانظر إلى ما وصف اللّه به بعض مشاهد يوم القيامة فى القرآن الكريم حيث يقول فى سورة ق:

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ

إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَـٰكِن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

و يقول فى سورة الغاشية : ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ ﴾

ويقــول تعالى فى سورة طه-٩٩ إلى١١٢:

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَـٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ

إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾

ويقول جلَّ شأنه فى سورة النبأ:

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ﴾

الإيمان بعذاب القبر ونعيمه :

وهو من الإيمان باليوم الآخر، وهو حق ثابت تواترت به الأحاديث الشريفة حيث ذكر البخارى أنَّهُ كان ﷺ يستعيذ من عذاب القبر ومن شتات الأمر ومن شر فتنة المحيا والممات، وعندما مر ﷺ على قبرين قال إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير أمّا الأول فإنه كان لا يستبرئ من بوله، وأما الأخر فإنه كان يمشى بالنميمة بين الناس، وقال ﷺ " القبر إمّا روضة من رياض الجنة وإما حفرة من حفر النار " أو كما قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذى.

ويقول تعالى فى سورة الواقعة:

﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴾

وواضح أن هذا الوعد والوعيد إذا بلغت الروح الحلقوم، وهى لحظة انفصال الروح عن الجسد، أى لحظة الموت، ففيها تنكشف الحقائق ويدرك ما لا يقال، ويقول تعالى فى سورة محمد: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾

و يقـول اللّـه تعـالى عـن آل فرعـون فـى سـورة غـافر : ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ يـدل علـى أن هـذا العـرض علـى النـار فـى الغـدو والعشى إنّما يكون قبل أن تقوم الساعة.

ذلك ان الميت إذا انفصلت روحه عن جسده فكل منهما يصير إلى ما كان منه، الجسد إلى التراب، والروح إلى عالمها، ولا تنقطع صلتها بالجسد حتى وإن تقطع اربا أو تحول إلى رماد وغازات، وهذه الأرواح تعود إلى مكان، لا هو من الدنيا فقد انقطعت صلتها بها بموت الجسد ولا هو فى الآخرة، فإن الآخرة لم تحن بعد، فهذا المكان له وجهان، وجه إلى الدنيا، ووجه إلى الآخرة، ولذلك يسمى "برزخاً"، والبرزخ فى اللغة هو الشئ ذو الصفتين المختلفتين، كالبرزخ بين البحر المالح ماؤه والبحر العذب ماؤه، فحيث التقاء البحرين، والمائين العذب والمالح يسمى برزخاً.

فبرزخ الأرواح يشرف على الجنة والنار أى الآخرة، ويشرف على الدنيا، فالروح إذا أشرفت من البرزخ على النعيم أحسَّ الجسد بذلك، واذا أشرفت على الجحيم شعر الجسد بذلك، ومن هنا كان عذاب القبر أو نعيمه، ولا تسل عن الكيفية والتفاصيل فإن ذلك من عوالم الملكوت وعالم الروح ولا يدرك بالعقل البشرى المجرد، ولقد قيل ان نسبة اتساع البرزخ إلى الدنيا كنسبة اتساع الدنيا إلى رحم الأم.

ولقد قال ﷺ فى حديثه كما رواه البخارى "إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل - محمد ﷺ ؟؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد اللّه ورسوله فيقال له انظر إلى مقعدك من النار قد

أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا، وأما المنافق أو الكافر فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال له : لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين " (أى غير الأنس والجن).

وقد ورد أن السنة فى زيارة القبور هى أن تلقى السلام عليهم وتترحم عليهم فى دعائك.

روى عن ابن أبى الدنيا وابن عبد البر عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ " ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا أستأنس به ورد عليه حتى يقوم "

ولولا أن الميت يشعر ويحس لما كان من السنة إلقاء السلام عليه، بلْ إن رسول الله ﷺ يقول " إن الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه فى قبره " رواه أحمد، لذلك يقول ﷺ عندما سئل هل يسمع الموتى وذلك عندما كان يخاطب قتلى المشركين فى غزوة بدر فقال " إنهم لأسمع إلى منكم " كما رواه مسلم عن عمر ابن الخطاب ويقول ﷺ: " إن الميت ليسمع قرع نعال مشيعيه.."، كما ذكره ابن المبارك عن عبدالله بن عمير وقد ورد عن كثير من الصحابه ومنهم سيدنا عمرو بن العاص، وصاياهم بأنهم إذا دفنوا أن يجتمع أهلهم ومن يحبونهم ليستغفروا الله لهم ساعة بعد الدفن على قدر نحر جزور وتفريق لحمه، حتى يأتنس بهم خلال سؤال الملكين، وقدوتهم فى هذا هو سيدنا رسول الله ﷺ حيث قال للمشيعين بعد الدفن "استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الأن يسأل.." كما رواه الحاكم وابو داود.

ويروى الترمذى عن أبى سعيد فى الحديث الصحيح قول ﷺ "فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا أمّا إن كنت لأحب من يمشى على ظهرى إلى، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعى

بك، فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة ".

فبعد السؤال، يوسع للميت في قبره، ويفتح له فيه باب إلى الجنة إذا كان عمله صالحا، ويضيق عليه في قبره، ويفتح له باب إلى النار إن كان غير ذلك والعياذ بالله، ويعرض عليه مقعده من الجنة أو النار غدواً وعشياً كما ورد في الحديث.

وقد أوحى الله إلى الأرض ألا تأكل أجساد الأنبياء، كما قال ﷺ ورواه أحمد والحاكم وغيرهم.

وقيل ان الأرض لا تأكل جسد قارئ القرآن المحتسب، أمّا الروح فهي على قدر صلاحها ومعرفتها بربها جَلَّ شأنه، فعلى قدر علمها بالله وحبها له تكون منطلقة في عالم البرزخ تزور وتزار وتروح وتجيء، أمّا إذا كانت غير ذلك فإنما تلعب بها الشياطين كما يلعب الصبيان بالكرة، وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة قول الرسول ﷺ " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " فكيف ترى أنت من انطلق من سجنه وانفك عن أسره !!! ذلك ان النفس النقية الصالحة كان الجسد يعوقها عن الانطلاق قبل الموت بحكم ماديته، امّا وقد تخلصت من القيود البشرية فلها حرية اكبر وطاقة أعظم.

والكلام في هذا الأمر جد خطير وفيه من الأسرار الكثير، وخلاصة قولنا فيه، أنَّهُ من الضروري الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، والبعث منه يوم القيامة.

وليس المهم أن يكون الميت قد دفن في قبر، فإن من أكلته الوحوش أو الأسماك أو مات محترقا وغير ذلك يحاسب أيضا في قبره، ويكون قبره إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وإن من خلقه وسواه وعدله قادر جَلَّ شأنه على أن يجمعه ويجمع ذرات جسده من كل مكان ويسوي بنانه ويسأله ويعذبه أو ينعمه، جَلَّ جلال الله

القادر، ألا ترى ان كل خلية فى جسدك فيها صفاتك الوراثية الخاصة بك كأنها مختومة بختم خاص، فذرات جسدك معروفة حتى ولو تفرقت فى كل اتجاه.

ولا تظن ان عذاب القبر أو نعيمه هو شئ مادى نستطيع رؤيته أو الإحساس به، فذلك محال لأنه من عوالم الملكوت، وعوالم الملكوت كما سبق القول لا تدرك الا بالنفس وقواها الداخلية وليس بالحس المشترك ولا الأحاسيس البشرية، فشتان ما بين عالم الملك و عالم الملكوت وإذا أردت مثالا بسيطا للعذاب والعقاب فى القبر، فانظر إلى حالك أثناء النوم وكيف ترى مناما طيبا فتقوم هنئ النفس راضى البال مستريحا مطمئنا، وكيف ترى مناما مزعجا فى دقائق قصيرة فتقوم من نومك صارخا مجهدا مكروبا متألما، بلْ وتحمد اللّه تعالى على يقظتك مما كان معك خلال نومك، فهذا مثل بسيط يضربه اللّه تعالى لك لتوقن بالعذاب والنعيم بعد الموت.

يقول ﷺ فى الحديث المتفق عليه "يتبع الميت ثلاثة، أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله، ويبقى عمله".

وفى مسند الأمام أحمد أنه ﷺ قال "إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه - فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه" إلخ. الحديث.

ونشير هنا إلى نقطة جوهرية هى أنَّ الماديات فى عالم المادة تظهر فى صور معنوية فى عوالم الملكوت، كما أنَّ المعنويات فى عالم المادة تتجسد فى العوالم الأخرى.

فالصلاة والصيام والأفعال الصالحة تتمثل فى القبر بصور لها كيان وتدافع عن صاحبه فى قبره وتشهد له..

كما أنّ أماكن الوضوء للمسلم تصبح نورا يوم القيامة، ولذلك تسمى الأمّة المحمدية بالغر المحجّلين من غرة الوجه والتحجيل فى الأيدى والأرجل من أثر أنوار الوضوء.

وتلاحظ كذلك أن ثواب الأعمال والطاعات فى الدنيا يختلف فى الآخرة تبعا لاختلاف أنواعها، فغرسُ الجنة كما يقول سيدنا إبراهيم لرسول اللّه ﷺ ليلة الإسراء والمعراج هو : سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللّه، كما يبشّر ﷺ من غدا إلى المسجد أو راح إليهِ أنّ اللّه سبحانه يبنى له بيتا فى الجنة كلما غدا أو راح، وثواب الصائمين أن يدخلوا الجنة من باب مخصوص بهم يسمى الريان.

ومن هذا ترى أنّ لكل عمل ثمرة مختلفة، فأنت فى الحقيقة بعملك الصالح تزرع فى الجنة واللّه تعالى يباركه ويزكيه وينميه ثم تتنعم به.

وحيث إن أعمال البر لا تتناهى فى التنوع ودرجات الإخلاص فيها، فكذلك نعم الجنة لا تتناهى فى النوعية والدرجات، وسبحان المنعم على عبيده المتفضل عليهم بالهداية والتوفيق للخير فى الدنيا، ثم بالثواب وحسن الجزاء فى الآخرة.

ويقول تعالى فى سورة إبراهيم-٢٤إلى ٢٧ :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا

﴿يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾

وأفهم منها ان الكلمة الطيبة هى قول " لا إله إلا اللّه " أصلها ثابت فى قلب المؤمن وهو على الأرض وفرعها فى السماء، عند اللّه، تؤتى أكلها كل حين، من ثمار الجنة ونعيمها، بإذن ربها، بفضله وجوده وتزكيته ورضاه ويثبت اللّه الذين آمنوا بالقول الثابت، وهو التوحيد له جَلَّ شأنه فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة، عند سؤال الملكين فىالقبر.

ولا حظ ان كل أفعال الخير فى الدنيا تتحول إلى أنوار يوم القيامة وبعد الموت :﴿... يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ...﴾ (التحريم -٨)

والنور هو نور المعرفة باللّه تعالى، فافهم.

فالمؤمن فى نور، والكافر فى ظلام وعمى، وهل هناك أعلى وأجل وأعظم من معرفة اللّه تعالى !!!

واعلم ان لا أحد من خلق اللّه تعالى يستطيع أن يأتى فى حياته بكل أنواع البر والطاعات كما أمر اللّه تعالى فى كتابه وسنة رسوله ﷺ، فكل ميسر لما خلق له، إلا رسول اللّه ﷺ، فهو الإنسان الكامل والعبد الخالص للّه تعالى الذى أفعاله واقواله وأحواله بلْ وأنفاسه كلها عبادة خالصة للّه تعالى، فلا يغفل عن اللّه طرفة عين ولا اقل من ذلك.

لذلك كان من البدهى ان تكون " الوسيلة " - وهى درجة فى الجنة لا تنبغى ان تكون إلا لعبد من عباد اللّه كما يقول ﷺ- له هو عليه الصلاة والسلام من دون البشر، ومن مثل محمد !!!.

ومن فى مثل أدبه، وخلقه، وعلمه، وعبادته ﷺ !!!
والله تعالى أعلم..

• الإيمان بالقدر خيره وشره :

والقدر هو أمر الله تعالى وأحكامه الجارية على الموجودات، فهو سبحانه وتعالى القاهر فوق عبده، وهو الفعال لما يريد، وهو اللطيف لما يشاء، وهو جَلَّ شأنه الغالب على امره، فلا ينفذ فى ملك الله إلا ما أراده الله، ولا يكون فى كونه إلا ما شاء الله.

يروى أحمد والترمذى عن ابن عمرو رضى الله عنه قول رسول الله ﷺ " قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة "

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكل شئ عنده بمقدار وكل شئ عنده فى كتاب مبين.

واعلم أن اللوح المحفوظ هو الشامل الجامع لكل علوم الكائنات الموجودات والمخلوقات وما كان وماسيكون إلى يوم الدين من الأفعال والأقدار، مكتوب بالقلم، أى قلم القدرة الإلهية، والإرادة العالية، فلا القلم كالقلم ولا اللوح كاللوح تعالى الله عما نقول علوا كبيرا.

ولتبسيط الأمر، فإنك وأنت بشرى، إذا أردت ان تسجل فى أمر ما خواطرك أو أوامرك فإنك تكتبه على قرطاس من الورق أو لوح كتابة، وتسجلها بمداد وقلم وتكتبها بحروف وكلمات.

وهذه الحروف والكلمات ليست هى عين ما تريد، ولكنها دالة فقط على ما تريد، فهى وسيلة لإظهار ما تريد ليعرف غيرك ما تريد حيث يقرأ

قرطاسك ويفهم حروفك وكلماتك، ألا ترى إلى المهندس يرسم على الورق صورة المنزل، فإذا نظرت إلى اللوحة فهمت أنَّهُ منزل كبير أو صغير وعلمت مساحته وعدد طوابقه، ونوع بنائه وزخرفة حجراته، إلى آخره، ولكن هل ما تراه على الورق مرسوما بالقلم، هو نفسه ما تراه عندما يقام هذا المنزل بناء زخرفة وتركيب !!!. الرسم موجود مستقل على الورق، والمنزل القائم موجود آخر، وليس عينه، بلْ إنَّ لهذا الرسم وجودا آخر في خيال راسمه قبل أن تضعه على الورق، فافهم الإشارة.

ولله المثل الأعلى تعالى الله عما نقول عُلُوًّا كبيرا، فلا الكتابة هي الكتابة، ولا القلم هو القلم ولا اللوح هو اللوح.يقول تعالى في سورة القمر: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ ﴾

ويقول في سورة الحجر-٢١:﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١ ﴾ ، ويقول في سورة التوبة-٥١ :﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا.... ﴾

ويأمرنا ﷺ "أن نطلب حوائجنا بعزة النفس فإن الأمور تجرى بالمقادير" كما رواه ابن عساكر عن عبد الله بن بسر، ويقول ﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس "رفعت الأقلام وجفت الصحف ".

فالقضاء والقدر هما أمور يبديهما الله تعالى في الكون فتحدث كما أراد الله تعالى لها، وهو طبيب العباد جَلَّ شأنه كما ورد في الاحاديث الخاصة بالقضاء والقدر، ولو أن الأنس والجن والأولين والآخرين قاموا في صعيد وأحد وسأل كل منهم ربه ما يريد فأعطاه الله تعالى مسألته ما نقص ذلك من ملكي شيئا إلا كما ينقص المخيط من ماء البحر إذا غمس فيه كما ورد في الحديث القدسي المشهور، ولكن الله ينزل بقدر ما يشاء.

فاعلم ان كل ما يصيبك هو خير لك، ولطف من اللّه تعالى بك، ورحمة عليك، ولكنك بعقلك المحدود وتفكيرك السطحي لا تعرف ما يضرك وما ينفعك، اللّهم إلا إذا نظرت وحكمت بنور شرع اللّه تعالى ونور هداه.

يقول تعالى فى سورة الشورى-٢٧:﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾، والرزق هو كل شئ يأتيك، فالمال رزق والصحة رزق والبنون رزق والعلم رزق وكل ما يأتيك من اللّه تعالى رزق لك.

فالرضا بالقضاء أساس عظيم من أسس الإيمان باللّه تعالى وصفاته، أمّا ما يصيبك من سيئة فمن نفسك، إمّا بشهواتك، وإما بسوء تقديرك للأمور، فالخير كله من اللّه تعالى، والشر كله من عندك بأمر اللّه تعالى، فطهّر نفسك وزكها وارتق بها إلى ملكوت السموات فلا ترى إلا الخير ولا تأمرك إلا بالخير، فافهم..

• صحة الإيمان وزياداته :

من الواضح أن هناك تداخلاً كبيراً بين الإيمان والإسلام،

فإن قلنا إن الإسلام بمفهومه الحقيقى هو إسلام الوجه للّه تعالى والتسليم له بأوامره ونواهيه وحكمه، إذا فهو الإيمان..، يقول تعالى فى سورة النساء- ١٢٥:﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ... ﴾ ، ويقول فىسورةالنمل:﴿... إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾، و يقول فى

ســورة آل عمـران – ٥٢ : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ويقول فى سورة الأنبياء–١٠٨ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ ، ويقول جَلَّ شأنه فى سورة الشعراء : ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾.. فالإسلام هو إسلام الوجه للَّه، والإيمان هو إيمان القلب باللَّه، والقلب السليم هو القلب المؤمن، إلا ترى كيف يصف اللَّه تعالى قلوب المنافقين بأنها مريضة فيقول عَزَّ مِنْ قائل:﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾ (البقرة–١٠)

فجعل اللَّه تعالى الإيمان هو المنجى يوم القيامة، وهو النافع للعبد وإن قل عمله، ولذلك يوصى رسول اللَّه ﷺ سيدنا معاذ بن جبل بقوله: "أخلص العمل يجزك منه القليل"، فالميزان والقياس عند اللَّه تعالى ليس بالاعمال فقط ولكن بالاساس الذى نبعت منه هذه الأعمال، والتربة المؤمنة التى تزرع فيها، فتثمر وتزهر بإذن اللَّه تعالى.

يقول تعالى فى سورة المائدة : ﴿ ...... إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾، والتقوى فى القلب، وأساسها الإيمان وإلا فكيف يتقى اللَّه تعالى من لا يؤمن به !!! فلا ينفع إسلام بلا إيمان، ولا يكون إيمان بلا إسلام، ويظل التعريف الشرعى للاسلام بأنَّه الاعمال الظاهرة، والإيمان هو الاعتقاد الباطن، أمَّا النفاق والعياذ باللَّه فتعريفه هو إظهار العبد خلاف ما يبطن، فالمنافقون هم القوم الذين أبطنوا الكفر فى قلوبهم وأظهروا الإسلام على جوارحهم وبأعمالهم وأفواههم، فلا يتجاوز الإيمان والقول به حناجرهم، ويقول اللَّه عنهم فى سورة التوبة : ﴿ وَأَمَّا

ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾،ويقول تعالى: ﴿... إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ... ﴾ (التوبة-٢٨)

فوصف اللّه تعالى المشركين بأنهم نجس، ووصف المنافقين بأنهم رجس، وقال (النساء- ١٤٥) : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ... ﴾، ويقول فى سورة النساء-١٤٠: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ ، ويخاطب اللّه الأعراب الذين أظهروا الإسلام بقوله:﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ... ﴾(الحجرات-١٤)، وذلك أنَّ الإسلام قد سبق إلى ظواهرهم ولكن قلوبهم خاوية من الإيمان، وذلك بخلاف ما كانت عليه الصحابة رضوان اللّه عليهم حيث كان الإيمان يسبق إلى قلوبهم كما سيأتى فيما بعد.

وخلاصة القول هو أن الإيمان هو الأساس الذى تنبت فيه الأعمال الصالحة، وعلى قدر هذا الإيمان وعلى قدر ما ينمو الزرع ويترعرع ويكون الثواب باذن اللّه، والقلب السليم، والإيمان الكامل، واليقين الصادق، والنية الخالصة للّه تعالى، كل هذا هو أساس تقوى اللّه وعبادته الحقة، وأساس القبول عند اللّه تعالى إن شاء اللّه.

غير أنَّ الإسلام وأعماله ومظاهره هى التى لها قياس ظاهر عند الناس، وهو إقامة شرع اللّه تعالى فى المجتمع وبين الناس، فتقام الصلاة ويصام رمضان، وتدفع الزكاة، ويتم الحج إلى بيت اللّه الحرام، ولا ترتكب المحرمات ولا تنتهك الحدود، وهذه أمور يستقيم بها حال المجتمع والناس، ولذلك كان مقياسها ظاهراً لكل حالة من حالات

الإخلال بها، فتارك الصلاة له حكمه، ومفطر رمضان بلا عذر له حكمه، ومانع الزكاة له حكمه، والزانى والسارق وخلافهما لهم أحكامهم.

أمَّا الإيمان فاللّه اعلم به فى القلوب، وحساب القلوب على اللّه، يقول ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللّه وأنى رسول اللّه فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللّه " كما رواه البخارى ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة فالعاصم من القتال هو القول باللسان، وحق لا إله إلا اللّه هو إقامة الشريعة، فهذا المظهر الاسلامى فى المجتمع فلابد وان يكون، امّا الإيمان بالقلب فحكمه إلى اللّه، لذلك يقول تعالى فى سورة النجم-٣٢:﴿... فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾، فاللّه تعالى هو وحده العالم بالتقوى فى القلوب، والإخلاص فيها، وليس للبشر فى ذلك ميزان ظاهر إلا أن يُحسنوا الظن بالمسلم إذا أقام حدود شرع اللّه تعالى.

لذلك يقول جَلَّ شأنه (غافر-١٩): ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾. ويقول فى سورة طه: ﴿... فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾﴾، ويقول فى سورة آل عمران:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾، ويقول:﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ (الأنعام-١٢٠)

فأسرار القلوب وصدق إيمانها وإخلاصها للّه تعالى لا يخفى عليه جَلَّ شأنه، فوسواس الصدور كالعلانية عنده، ولكى يكون العمل مقبولا عند اللّه فلابد أن يكون طيبا ظاهرا باطنا، والأعمال لها ظاهر ولها باطن، والإثم منه ظاهر ومنه باطن.

واللّه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن إشراك غيره تعالى معه فى

نية العمل، فمن عمل عملا يقصد به وجه اللّه والناس فهو للناس من دون اللّه واللّه غنى عنه وعن عمله ولا يقبل له شريكا.

ويقول ﷺ "إن اللّه يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه"، فاتقان العمل، وإخلاص النية للّه تعالى هما ركنا العمل المقبول عند اللّه بإذن اللّه، أى اشتراك الظاهر مع الباطن.

لذلك فالنفاق والعياذ باللّه من أخطر امراض القلب، وبسببه تصبح الأعمال هباء منثورا، لا جزاء لها عند اللّه، والمسلم لا يخلو من النفاق الا بقدر ما يخلو عما نهى عنه اللّه ورسوله، انظر إلى قوله ﷺ "أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر" - متفق عليه، فالنفاق يدخل إلى القلوب على قدر ما فى الإنسان من هذه الصفات.

والرياء من امراض القلب، وهو مراعاة غير اللّه تعالى فى نيته، فإن تصدق فلكى يقال عنه كريم، وإن صلى أو صام فلكى يقال عنه عابد، وهكذا، وهذا هو الشرك الأصغر.

يقول تعالى فى سورة الماعون: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝ ﴾

و يقول (البقرة-١٤) : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ

فَتَرَكَهُۥ صَلۡدًاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾، فالذى ينفق ماله رياء واستجلابا لمدح الناس وحسن ظنهم ولا يقصد وجه الله تعالى فمثله كمثل حجر أملس عليه تراب ثم نزل عليه المطر فغسله غسلا فهل يبقى عليه أثر للتراب !!! كذلك يذهب الرياء ثواب أفعاله فلا يترك له شيئا.

وأمراض القلوب كثيرة وسوف نتعرض لشرحها فى الأبواب القادمة بإذن الله.

يقول ﷺ "إن الإيمان ليخلق فى جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان فى قلوبكم " رواه الطبرانى والحاكم عن ابن عمرو وقال حديث حسن.

كما يقول ﷺ "جددوا إيمانكم، أكثروا من قول لا إله إلا الله " رواه أحمد والحاكم عن أبى هريرة. حديث حسن.

ولكن ما قصدنا قوله هو ان للإيمان صحة، ومرضا، وزيادة ونقصانا، فكما قلنا ان القلب المؤمن تنبسط له الجوارح بالطاعات، لذلك إن فعل الطاعات واجتناب المعاصى ويزيد فى الإيمان وينير القلب بنور الله ويذهب عنه الرين الذى قال الله عنه فى سورة المطففين-١٤: ﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، فكل معصية يرتكبها العبد تترك نقطة سوداء على القلب حتى تغلفه كله بالسواد وتحجبه عن أنوار الإيمان فذلك هو الرين كما فسره رسول الله ﷺ أمّا الطاعات فإنّها تجلى هذا الرين وتمحوه كما يمحى الصدأ عن الحديد، ويقول تعالى فى سورة العنكبوت :﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ويقول:﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾

(مريم-٧٦)، ويقول فى سورة محمد-١٧:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾، وهكذا يترقى المؤمن بالعمل الصالح حيث يزيد إيمانه وبزيادة إيمانه يزيد فى العمل الصالح، وهكذا من خير إلى خير ويزيد الله الذين اهتدوا هدى.

والصلاة وذكر الله تعالى تزيد الإيمان فى القلوب، يقول جَلَّ وعلا فى سورة العنكبوت-٤٥ :﴿... إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾، ويقول فى سورة الرعد-٢٨:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾، فذكر الله تعالى هو غذاء القلب المؤمن وجلاء بصيرته وطمأنينة نفسه وروحه، وليس هناك أجلب للخواطر الرحمانية ولا أقطع للخواطر الشيطانية عن القلب من ذكر الله تعالى.

واعلم إن هناك فرقا بين ذكر الله.. وذكر اسم الله، فذكر الاسم باللسان يقول تعالىفى سورة المزمل:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾،ويقول فى سورة الإنسان:﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ويقول فى سورة الأعراف -١٨٠: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ... ﴾

ولكن ذكر الله تعالى يكون بالقلب، بالتذكر والتدبر فى ملكوت الله والاستغراق فى معانى الاسماء الحسنى والصفات السنية، لذلك يقول جَلَّ شأنه فى سورة النور-٣٧: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ... ﴾، ويقول فى سورة الأعراف:﴿ إِنَّ

ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

ولذلك يصف اللّه تعالى القلب الغافل من ذكر اللّه تعالى والقلب الذاكر بالبئر المعطلة والقصر المشيد، البئر المعطلة بما فيها من هوام وحشرات النفس البشرية الحيوانية، والقصر المشيد العامر المنير بنور الإيمان وأنوار الذكر.

وكلما ازدادت الخواطر الرحمانية فى القلب، كلما تعلق بعالم الملكوت وانكشفت له أسراره، وهان عليه أمر الدنيا وما فيها، وجد واجتهد فى أمور آخرته ومن هنا يأتى قوة إيمان الصحابة رضى اللّه عنهم أجمعين.

● إيمان الصحابة وسبق الإيمان إلى قلوبهم :

يقول ﷺ عن سيدنا أبى بكر الصديق عليه رضوان اللّه إن إيمانه لو وزن بإيمان العالمين لرجح ميزانه كما رواه البيهقى ويقول ﷺ "ما فضل أبو بكر الناس بفضل صيام ولا بكثرة صلاة ولكن بشئ وقر فى قلبه". كما رواه الترمذى فى النوادر.

ويقول عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه إنه من المُحَدَّثين، أى المُحَدَّثين من قبل الملائكة.. ويقول له : "الشيطان يخاف منك يا عمر " ويقول عنه أنه ما سلك ابن الخطاب فجاً إلا سلك الشيطان فجاً آخراً..

ويقول عن سيدنا عثمان بن عفان رضى اللّه عنه إن الملائكة لتستحى منه.

ويقول لسيدنا على بن أبى طالب " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ".

ويقول عن الزبير بن العوام " إن لكل نبى حوارى، وإن حوارى الزبير بن العوام ".

ويقول لبلال بن رباح " سمعت دفَّ نعليك فى الجنة ".

ويقول عن خالد بن الوليد " سيف من سيوف اللّه مسلول ".

ويقول عن سيدنا سعد بن معاذ " اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ".

ويقول لسيدنا أبى عبيدة بن الجراح إنه أمين هذه الأمّة.

ويقول عن سيدنا الحسن بن على " ابنى هذا سيد ولعل اللّه ان يصلح به بين فئتين من المسلمين".

ويقول " الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه اللّه ومن أبغضهم أبغضه اللّه ".

ويقول " لا تسبوا أصحابى من بعدى فإن أحدكم لو انفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه "

وذكر البخارى الكثير من هذه الأحاديث وغيرها عن الصحابة.

ومن الصحابة من كانت الملائكة تستمع لتلاوته للقرآن.. ومنهم من كانت تسلم عليه الملائكة.. ومنهم من كان مستجاب الدعوة.. ومنهم من كان يعلم النفاق والمنافقين..، وفى كل منهم قوة خاصة وميزة له..

والحقيقة هى التى ذكرها اللّه تعالى فى كتابه وهى:﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ... ﴾ (القصص-٦٨)، فالخيرة من اللّه تعالى.. فهو الذى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس.. وهو الذى اصطفى آدم

ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين.. وهو الذى اصطفى مريم وطهرها واصطفاها على نساء العالمين.. فالخيرة من اللّه تعالى والإعداد والتربية والإيمان والأدب والخلق هى هبات من رب العالمين، ألا ترى إلى قوله ﷺ " أدبنى ربى فأحسن تأديبى"....

فإذا كان اللّه تعالى قد اختار محمداﷺ من خيرة الأنبياء وجعله سيد الأولين والآخرين وسيد ولد آدم اجمعين.. فباللّه عليك ماذا تنتظر أن يكون صحبه الكرام وكيف يكون رفقاء جهاده فى سبيل اللّه!.

صدق رسول اللّه ﷺحيث يقول عنهم أنَّهم خير القرون.

يقول تعالى فى سورة الفتح-١٨:﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾، ويقول ﷺ عن أهل بدر لعل اللّه قد اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وانظر إليهم مهاجرين إلى الحبشة.. ثم إلى المدينة تاركين أموالهم وأهليهم ونعيم الدنيا كله مهاجرين فى سبيل اللّه تعالى ولا يدرون كيف سيكون حالهم فيها وهل سيجدون قوتهم ومن يأويهم أم لا!!! هجرة فى سبيل اللّه تعالى بكل الدنيا وما فيها...

وانظر إليهم أنصارا وكيف يستقبلون إخوانهم المهاجرين.. وكيف يعرضون عليهم أموالهم وكل متاع دنياهم ليتقاسموه معهم بنفوس راضية مستبشرة.. ويضمون رسول اللّه ﷺ إليهم وهم يعلمون أن العرب ساعتئذ كانت كلها ضده متربصة به وبدعوته.

رضى اللّه عن المهاجرين والأنصار وعن أصحاب رسول اللّه أجمعين وجزاهم اللّه عما قدموه للإسلام خير الجزاء.

إن أعلى وأشرف وصف يطلق على المؤمن هو أن يقال أنَّهُ

صحابى..، ثم بدرى..، أو من أهل البيعة.، أو من المبشرين بالجنة.، أو من الأنصار، أو المهاجرين.

وكيف لا يكون إيمانهم كالجبال الرواسخ وبينهم رسول اللّهﷺ بروحه وجسده.. والسماء موصولة بالأرض.. والوحى يسعى بينهم.. ونور الإيمان يشع على كل مكان. وعلى كل مخلوق !!!

واذا كان رسول اللّه ﷺ يتحدث عن جليس الخير وأنه كبائع المسك إما أن ينفحك وإما أن تشترى منه وإما أن تجد عنده ريحا طيبا..، فكيف بمن كان بينهم أصل المسك وجوهره... ؟ وليس بائعه !!؟، منبع النور والإيمان محمد ﷺ يمشى بينهم ويحدثهم ويؤاكلهم ويؤانسهم بذاته وجسده وروحه وأنواره.. فكيف لا يعطيهم.. وكيف لا يشترون منه!! وكيف لا يجدون عنده ريحا طيبا!! بلْ وأىُّ ريح طيب !! وهم يصبحون ويمسون على نور وجهه الكريم المبارك وتمدهم ذاته الشريفة بأنوار الملكوت !!.

لقد علمنا من فضل اللّه تعالى أن من يتشرف برؤية رسول اللّهﷺ فى المنام يظل أياما وأياما فى سكينة روحية وقوة إيمانية لا مثيل لها فى أى طاعة أو عبادة يتقرب بها إلى اللّه..، فكيف بمن يراه يقظة لا مناما..، ويحادثه ويتعلم منه.. كيف بمن يعيش معه وبه وفيه ﷺ!!!.

إن روح رسول اللّه ﷺ وهى مهبط الوحى ومركز الأنوار وأصل الإشعاع الربانى على العباد وباب العلم باللّه تعالى.. ومصدر الهداية الربانية كانت تمدهم مباشرة..، كانت تمد أرواحهم ونفوسهم بالإيمان الكامل واليقين المطلق وسعادة الدنيا والآخرة..،

وصدق رسول اللّه ﷺ حيث يقول أنَّ أصحابه كالنجوم فبأيهم اقتدينا اهتدينا.. فهم مصابيح الدجى.. ونور الهداية سارية فيهم من سيد الخلق أجمعين مباشرة دون حجاب ولا وسيط..

فكيف لا يكون كل واحد منهم نورا يهتدى به !!.

انظر كيف كانوا يتلقون القرآن الكريم من رسول اللَّه ﷺ، وكيف كان عمر بن الخطاب يمرض ويلزم منزله ويعوده الصحابة رضوان اللَّه عليهم متى سمع بضع آيات من كتاب اللَّه.. وكيف لا وقد كانت الآيات تلامس قلبه وروحه وجسده وكل كيانه. فلا تتحملها طاقته البشرية فَيُحَمُّ ويَعْتَلُّ ويلزم منزله.، أليس هو قولا ثقيلا ؟ ألم يخاطب ربنا جَلَّ شأنه رسوله بقوله فى سورة المزمل:﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾، وانظر إلى ابن الخطاب حين قرأ الفاتحة على الملدوغ بالعقرب فشفاه اللَّه.. وعندما قلده الاعرابى وقرأ الفاتحة على الملدوغ لم يُشف.. فقال ﷺ باسماً "الفاتحة هى الفاتحة.. ولكن أين عمر " صدقت يا رسول اللَّه أين عمر!!! أين إيمان عمر !!! أين روح عمر !!!.

أولئك قوم كانوا يقرأون القرآن بأرواحهم وقلوبهم ودمائهم وأجسادهم فكانت المعانى تدور فى قلوبهم وبشريتهم فتصبغها بنور القرآن وحكمة الآيات.. وأسرار التنزيل..، وكنت إذا مررت بالمدينة وقت السحر تسمع فى طرقاتها أزيزاً كأزيز النحل من التالين لكتاب اللَّه والذاكرين اللَّه تعالى فى بيوتهم وخلواتهم مع اللَّه.. كل يجتهد فى منزله.. قائما بالقرآن... ساهرا بالذكر يتلو ويتدبر.، وما بين تلاوة قرآن... وذكر اللَّه.. والأخذ من رسول اللَّه.. كانت تتنزل الرحمات.. وتتكشف الأسرار.. وتنجلى الحقائق..

انظر إلى رسول اللَّه ﷺ يسأل سيدنا حارثة أو حذيفة على روايتين كيف أصبحت !! فيرد على رسول اللَّه ﷺ "أصبحت باللَّه مؤمناً"..، فسأله الرسول لكل شئ حقيقة، فما حقيقة إيمانك. فيقول رضى اللَّه عنه مقررا ما هو فيه : عزفت نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها ومدرها.. ولو كُشف الغطاء ما ازددت يقينا وكأنى أرى عرش الرحمن بارزاً... وكأنى

أرى أهل الجنة يتزاورون.. وكأني اسمع أهل النار يتعاوون فيها.. فيرد عليه ﷺ عرفت فالزم.. عرفت فالزم.

هؤلاء هم العارفون بالله تعالى.. العالمون به وبجلاله وعظمته.. لقد كانوا أرواحا تمشي على الأرض.. اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم ودنياهم فباعوها.. وربح البيع.. فطوبى لهم..

أولئك هم الذين طبع الله في قلوبهم الإيمان وحببه إليهم وكره اليهم الكفر والفسوق والعصيان.، وأولئك هم الراشدون رضى الله عنهم أجمعين..

ورغما عن هذا.. وبجوار هؤلاء القمم الأعلام. والنفوس الزكيَّة، كان في المدينة منافقون !!!. مردوا على النفاق.. ولم يرد الله لهم الهداية.. وكانوا شوكة في جنب المؤمنين والإسلام.. وكان هناك قوم من الأعراب أسلموا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم بعد.

ومن ذلك نستجلى معنى دقيقا..

ذلك هو أن الصحابة رضوان الله عليهم قد سبق الإيمان إلى قلوبهم..، آمنوا أولا.. وانطبع الإيمان في أرواحهم ونفوسهم واستنارت قلوبهم بأنوار الإيمان.. وامتلأت بحب الله ورسوله.. فانبسطت جوارحهم بالطاعات، وانشرحت صدورهم للإسلام وأوامره، فهان عليهم تغيير صفاتهم وأوصاف الجاهلية فيهم.. واستبدالها بخلق الإيمان والإحسان.

يقول تعالىفي سورة البقرة: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ

ٱلۡمَصِيرُ﴿٢٨٥﴾ ﴾، فسبق الإيمان إلى القلب قد هيأهم لقبول أنوار رسول الله ﷺ

أمّا ما نراه اليوم وقد انشغل الناس بالدنيا وماديّاتها.. وضعف الاهتمام بالدعوة إلى الله عما كانت عليه في صدر الاسلام.. فقد صار المسلم مسلما وراثة عن أبيه وجده.. ولا وقت عنده لتدبر أو تبصر ليزيد إيمانه ويرسخ يقينه.. فصار قلبه خاويا أو يكاد.. وإيمانه ضعيفا ويقينه مزعزعا، وصارت تعاليم الاسلام عنده قيودا.. والأوامر والنواهي ثقيلة على النفس.. فأصبح لا يعرف كيف يحب الله ورسوله.. ولا كيف يعبد الله حبا فيه وامتثالا لأوامره جَلّ شأنه، وشكرا على نعمِهِ، بلْ صار يجادل ويناقش حتى في الأوامر الإلاهية ويسأل عن سر هذا ومعنى ذاك يريد أن يحيط بعقله البشرى أسرار العبادات..، وهيهات ثم هيهات له أن يهدأ له بال أو يستقر على حال..، فلا هو قد اطمئن قلبه بالله تسليما.. ولا انشرح صدره للإسلام يقينا.. فوقع في مجاهدة صعبة إلا بتوفيق الله تعالى..

اللّهم إلا من هداه الله إلى العمل الصالح.

لذلك نقول إن سبق الإيمان إلى القلوب ييسر الطاعة ويحبب الإسلام إلى النفس..، أمّا من سبق إليهِ الإسلام فأمامه مجاهدة كبيرة حتى تنجلي له علوم القلوب ويرسخ فيه الإيمان..، وهذا هو أساس التربية في الإسلام..

غير أن الفطرة السليمة.. والعقل المعتدل.. مؤمن بالله تعالى بطبعه فالإيمان بالله موجود في كل نفس.. يقول تعالى في سورة الروم-٣٠: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ... ﴾، ويقول ﷺ في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة "ما من مولود إلا

ويولد على الفطرة وإنما أبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه "..، فاللَّه قد فطر الناس والنفوس على الإيمان الصحيح.، ولكن النفس بحلولها في الجسد وانشغالها بالدنيا وادياتها تغير منطقها وتفكيرها فنسيت ما كانت عليه فلزم لها جهاد حتى تعود إلى فطرتها السليمة..،

يقول تعالى في سورة الأعراف-١٧٢ :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ... ﴾، فقد سبق للنفوس المجردة الإيمان باللَّه.. وأخذ اللَّه عليها العهد والميثاق.. وهذا يفسر قولنا ان روح الكافر مؤمنة أيضا عارفة بربها، ولكن حجاب البشرية قد أنساها هذا العهد وباعد بينه وبينها.. كما نسيت حياتها في رحم الأم.. وكما نسيت طفولتها الاولى المبكرة.

فإذا جاهد الإنسان نفسه البشرية. وتعلق بعالم الغيب كما قلنا في الباب الأول والباب الثاني وانكشفت له الحقائق رجعت إلى إيمانها الأول وتدفقت الأنوار القديمة التي فيها بنور الإيمان الأسبق إليها، وانقدحت بصيرتها.

وهذا يفسر قوله تعالى في سورة ق-٢٢:﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾، فالغفلة إنَّما كانت من بشريتك ونزولك إلى درك الحيوانية، فكشفنا عنك غطاءك بنور الإيمان...، فاحتد بصرك.. وانقدحت بصيرتك.. فرأيت ما كنت عنه غافلا، وفهمت ما كنت له جاهلا..، فنحن لم نحجب عنك شيئا من التجليات والأنوار..، ولكن حجبتك نفسك.. وصفاتك الحيوانية..

فطهر نفسك تزال الحجب بيننا وبينك، واقترب منا ترانا، وصدق اللَّه تعالى:﴿... وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ (العلق-١٩)، اسجد للَّه..

اسجد بوجهك وجسدك.. اسجد بروحك ونفسك.. اسجد لعظمتنا وجلالنا وجمالنا.. اسجد دائما وأنت فى كل حالة.. قائما وقاعدا وسائرا ونائما ويقظانا.. تقترب منا.

ألم يقل رسول الله ﷺ "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد "، فذلة العبودية لعزة الالوهية هى باب الخير..، انظر كيف يصف الله تعالى أنبياءه وخيرة خلقه بأنهم عباده..، فيقول:﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ.. ﴾ (ص-٤١)، ويقول:﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ..﴾ (ص-٤٥)، ويقول:﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (ص-٣٠)، ويقول فى سورة الإسراء :﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾

ولقد كان سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام على ما أوتى من ملك وسلطان لا ينبغي لأحد من بعده.. كان إذا دخل المسجد يبحث عن مسكين يجلس بجانبه ويقول فى نفسه "مسكين جالس مسكيناً"،

فالعبودية الكاملة هى غاية ما يصل إليهِ العبد المقرب من الله تعالى..، وقد كان رسولنا ﷺ لا يتكئ على طعام ويقول " إنما أنا عبد أجلس مثل ما يجلس العبد وآكل مثلما يأكل العبد "، وعندما سألته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أن يرفق بنفسه وقد غفر الله تعالى له ما تقدم وما تأخر قال ﷺ " أفلا أكون عبداً شكورا.. ".

واعلم أن هناك فرقا بين العباد.. والعبيد،

فيقول تعالى فى سورة فصلت -٤٦: ﴿... وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ ، **ويقول فى سورة الحج-١٠:** ﴿.. وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾، **أمّا عن العباد فيقول جَلَّ شأنه فى سورة الحجر:** ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾، **ويقول فى سورة الفرقان-٦٣:** ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾﴾ ، **ويقول للشيطان:** ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾﴾ **(الإسراء-٦٥).**

فواضح أن العباد لهم صفات خاصة، وهى الأوبة للّه تعالى وحسن عبادته وصدق الالتجاء إليه.. وهم باختصار صفوة خلق اللّه تعالى..، أمّا العبيد فهم مطلق الخلق على جهلهم وكفرهم ومعاصيهم.، ورغم هذا فإن اللّه تعالى لا يظلمهم ولكن يحاسبهم على أعمالهم إن خيرا فخير..، وإن شرا فشر.. وكم ما بين درجة العباد ودرجة العبيد من درجات وتفاوت..

بقى معنى أخير فى قول اللّه تعالى فى أول سورة البقرة:

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾، **فيمكن فهم المقصود بالغيب هنا أنّهم يؤمنون غيبا، أى بلا دليل مادى ولا منطق جدلى ولا تفكير عقلانى..، ولكنهم سمعوا فأطاعوا وآمنوا بما يقوله اللّه تعالى ورسوله.. فلم يحتاجوا إلى دليل ولا نقاش.. ولكنهم**

آمنوا بمجرد الأمر لهم بالإيمان.. فهو التسليم المطلق واليقين الخالص بنبوة رسول الله ﷺ وألوهية المولى جَلَّ جلاله.

يقول تعالى في سورة ق: ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾، ويقول في سورة الملك-١٢:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾

وانظر إلى أبي بكر الصديق رضى الله عنه حين تشكو إليهِ قريش ما يقوله صاحبه محمد أنَّهُ قد أُسرى به تلك الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.. وعاد في نفس الليلة.. وهم الذين يضربون أكباد الإبل كما يقولون شهرا ذهابا وشهرا عودة. فأى عقل في هذا الأمر؟؟؟

فماذا يقول لهم أبو بكر رضى الله عنه في تلك المحنة الشديدة التى اهتز لها إيمان بعض المسلمين آنذاك !!!، لم يتردد.. ولم يفكر.. ولم يتساءل لها في نفسه ولا بعقله، ولكنه قال على الفور " إن كان قال ذلك فقد صدق !!!!"

نِعْمَ الصِدِّيقْ، ونعم الرفيق، لا جدال ولا نقاش ما دام رسول الله قد قال ذلك فهو الصدق.. وهو الحق..، هذا هو الإيمان الكامل واليقين التام بالله تعالى ورسوله ﷺ.

هذا هو إيمان الصحابة.. ويقينهم.. وإسلامهم.. فانظر..واعقل.

وأين بالله هؤلاء من الذى تحدثه بكتاب الله وآياته فيطلب الدليل والبرهان العقلى على ما جاء في كتاب الله!!! يريد دليلا على حكمة الأوامر الإلاهية والنواهي الربَّانية، ويريد برهانا على الحكمة في أوامر رسوله ﷺ. بالله أين هذا الإيمان من الإيمان الحق واليقين الصادق!!!.

انظر إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقبل الحجر الأسود

فى الكعبة المشرفة.. ماذا يقول !!! يقول " والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنى رأيت رسول الله  يقبلك.. ما قبلتك.. ".

رسول الله الذى حطم الأصنام وحارب الأوثان.. ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد.. وجاهد المشركين جهادا كبيرا.. يقبل الحجر الأسود.. ويطوف حول الكعبة..، إذاً لا نقاش ولا جدال.. ولا تساؤل.. أمر من الله ورسوله.. وطاعة من المؤمنين وامتثال للأوامر والنواهي بلا بحث عن حكمة أو سبب !! أمر، وطاعة.. ألوهية وعبودية.. وتسليم ويقين بالله ورسوله..

* * *

فإذا أردنا أن نلخص لك أهم ما سجلناه فى هذا الباب قلنا : -

•الإيمان هو أن تؤمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

• تتداخل عوالم الملك والملكوت بعد الموت فتتمثل الصلاة والصيام والعمل الصالح فى صور محددة، وتتحول الماديات إلى معنويات كالوضوء إلى نور.

•الإيمان أنواع منها اليقينى أو الشهودى وهو الأعلى.. ومنها العقلى الاستدلالى ومنها التقليدى وهو الأدنى.

•الإيمان درجات لا نهاية لها وله صحة ومرض وله زيادة ونقصان.

•الإيمان باطنه اليقين ومعرفة اللّه تعالى، وظاهره الاسلام والطاعات والخلق الحسن.

•الإيمان ضده الكفر.. والكفر نوعان.. اعتقادى إلحادى.. وجحود ومكابرة.

• الإيمان يزيد بالطاعات.. والطاعات تزيد فى الإيمان.

• الإيمان قد يسبق إلى القلب.. وقد يسبق الإسلام كذلك إلى القلب والجوارح.

• الإيمان هو الفطرة السليمة.. وكل الأرواح مؤمنة باللّه تعالى عالمة بربها أصلا.

•من أمراض الإيمان.. النفاق.. والرياء.

•أعلى الإيمان هو إيمان الأنبياء.. ثم إيمان صحابة رسول اللّه ﷺ.

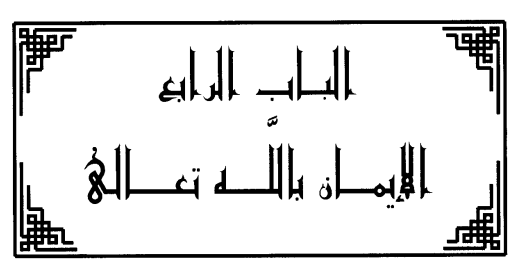
•الإيمان بالغيب هو أعلى درجات الإيمان لما فيه من تسليم مطلق للّه تعالى.

* * *

اللّهم أنت المؤمن.. ورسولك مؤمن.. ويؤمن باللّه.. ويؤمن للمؤمنين.. وكل عبد من عبادك الصالحين مؤمن.. اللّهم فاجعلنا من المؤمنين لك وبك ومنك.. وهبنا من لدنك إيمانا يباشر قلوبنا ويقينا صادقا.. واكشف لنا الحجاب يا مشرق البرهان. يا دائم الإحسان. يا رحمن يا ديان يا حنان يا منان.. وصل وسلم وبارك على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة المقربين.. وعلى عبادك الصالحين أجمعين من أهل السموات وأهل الأرضين.. وارضَ اللّهم عن ساداتنا ذوى القدر الجلى.. أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعن سائر أصحاب رسول اللّه أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. واهدنا وارحمنا واحشرنا معهم برحمتك يا ارحم الراحمين يا ربنا يا واسع المغفرة لا اله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك اللّهم آمين...

* * *


الباب الرابع


الإيمان بالله تعالى



ما بسطناه لك فى الأبواب السابقة ما قصدنا منه إلا إخراجك من حيز نفسك المادية ومنطقك العقلانى البحت لتعلم بعض خفايا عالم الغيب .. وقدرات نفسك الغيبية، وكيف أن المعرفة الحقيقية لا تكون إلا بمظاهرة نور شرع اللّه تعالى فى عقلك ولنور إلهامه جل شأنه فى نفسك، فترى بعض الحقائق الكونية بعيدا عن مقاييس المادة وأحكامها التى تقيد تفكيرك..

فالنفس البشرية كما أسلفنا هى بين الحيوان .. والملَكْ، فالحيوان رهين بحواسه وشهواته .. والملك يحكمه عقله وروحه، والإنسان بينهما:

إمَّا أن تتحكم فيه ادياته وشهواته البهيميّة فهو كالأنعام بل أضل وإمَّا أن يتغلب عليه عقله وروحه فيصير كالملائكة وأفضل من بعضهم ..،

وإما أن يظل فى جهاد بين الدرجتين نزولا وصعوداً ..

وقول اللّه تعالى فى سورة الذاريات : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، فسره غالب المفسرين أن المقصود هو إلا ليعرفونى، فالعبادة الحقة لا تكون إلا بالمعرفة الحقة، فإن النفس البشرية بطبعها عدوة لما جهلت، ومعرفة اللّه تعالى لا تدرك بحبس النفس فى حواسها المادية أو شهواتها الدنيا، بل لابد لك من معرفة نفسك وقواها وطاقاتها المخزونة فيك والتى تستطيع أن تتعامل بها مع عوالم الغيب، ولعلك بهذا تستطيع معرفة باللّه تعالى على قدر ما هيأك اللّه له.، يذكر الترمذى أنه سألت السيدة عائشة رضى اللّه عنها رسول اللّه ﷺ بم ينعَّمُ الناس فى الآخرة!! فقال لها ﷺ.. ينعمون على قدر عقولهم .. قالت أو ليس على قدر أعمالهم !! ؟ . فقال ﷺ وهل يعملون إلا على قدر عقولهم!!.

فالعقل .. أو المعرفة .. أو الروح في الإنسان هي باب العمل والمعرفة بالله تعالى.

واعلم رحمك الله بأن ما نقوله هنا ما هو إلا ذرة من رمال صحراء شاسعة فلا تعجب إذا رأيت خلافه في كتاب آخر.، فلا نهاية للعلم بالله تعالى وفوق كل ذي علم عليم .، فإن العبد كلما علم شيئا عن حضرة الله تعالى وأيقن أنه حق ثم ترقى بعلمه وعبادته وازدادت معرفته بالله تعالى وجد أن علمه السابق كان ناقصا أو خطأ بالكلية، فلا نهاية للتقوى .. ولا نهاية للعلم بالله تعالى، ولا يعلم الله إلا الله، ولا يحيطون بشيئ من علمه إلا بما شاء .. وكيف شاء.. ومتى شاء ..،

ولكننا بكتابنا هذا إنما نخاطب الإنسان العادي في أول درجات علمه ومنطقه وإدراكه ..، فإن انتفع بهذه المبادئ البسيطة فلعل الله تعالى يفتح عليه بأسرار ملكه وملكوته فيعرف ما لا يكتب في كتاب وما لا يقال في بيان ..، فإن العلم بالله تعالى لا ينقل إلا من قلب إلى قلب .، أما ما يكتب ويقال فما هو إلا تمهيد وتذكرة للنفس البشرية حتى يصدق التجاؤها إلى الله وجهادها فيه فتفاض عليها المعارف والعلوم فيضاً من العليم الخبير ...

- **توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية له وحده :**

يقول الله تعالى في سورة محمد-١٩ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ ويقول ﷺ في تعريف الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله. والشهادة والشهود والمشاهدة كلها مشتقة من الفعل " شهد " أي رأى، فالرؤيا بالبصر هي المشاهدة، والرؤيا بالبصيرة هي الشهود ..

فالتوحيد فى أبسط معانيه هو إفراد اللّه تعالى بالعبودية له وحده.. والإقرار له جل شأنه بوحدانيته .. وبأسمائه وصفاته التى ذكرها على مراده جلّ شأنه وبالكيفية التى تليق بجلاله ...

فاللّه تعالى لا إله إلا هو .. الفعّال لما يريد .. القاهر فوق عباده .. خلق كل الموجودات .. وسخرها بحكمته .. لا شريك له فى ملكه .. ولا منازع له فى جبروته .. له الحكم فى الأولى والآخرة .. وإليه يرجع الآمر كله..، لا تدركه الأبصار .. وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، كل يوم هو فى شأن ولا يشغله شأن عن شأن .. ولا تأخذه سنة ولا نوم..، وسع كرسيه السموات والأرض .. ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .. يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ويعلم مستقرها ومستودعها.. يسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .. وتسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ..، أحد .. صمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..، له الأسماء الحسنى .. والصفات العليّة .. وهو الأول بلا ابتداء .. والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا عناء والباطن بلا خفاء .. جل جلال اللّه.

يقول تعالى فى سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ ﴾

والربّ هو السيد مربى الأجساد ومغذيها ومدبرها .. تقول رب البيت .. وربة البيت أى الرجل والمرأة القائمان على خدمة الدار ومن فيها.

والملك هو مالك الرقاب .. والمتصرف فى الرعية كما يريد بقوانينه وأوامره .. وأحكامه .. فعلى الملك الأمر وعلى الرعية السمع

والطاعة ..

والإله هو المتصرف فى القلوب والأرواح .. يقلّبها كيف يشاء.. ويصرفّها حيث شاء.

ولفظ الجلالة هو عَلَم على الذات .. تنسب إليه باقى الأسماء والصفات، فتقول اللّه الرحيم .. اللّه اللطيف .، والرحيم واللطيف اسمان أو صفتان من أسماء اللّه تعالى وصفاته،

يقول ﷺ فيما رواه مسلم "إن للّه عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، إنه وتر يحب الوتر من أحصاها فقد دخل الجنة" .

فالألوهية للّه تعالى وحده لا شريك له ..، فهو رب الأجساد ومالك الملك والملكوت والمهيمن على القلوب والأرواح .. وله الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله .. والطاعة له جل شانه .. والرجاء فيه .. والخوف منه .. والحب له .. والشكر له تعالى ...

والعبودية بمعناها العام هى الرق والاستسلام الكامل والخضوع التام للأوامر والنواهى بل هى امتلاك السيد لعبده.

أما العبودية للّه تعالى فلا تتحقق إلا بالإيمان والإسلام .. والطاعة لما أمر اللّه ورسوله .. والابتعاد عما نهى اللّه ورسوله .. والرغبة والرجاء فى اللّه تعالى والخوف والرهبة منه جل شأنه .. والحب والشكر له سبحانه...

لكن اللّه تعالى يقول فى سورة الفرقان:﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ ، ويقول فى سورة الجاثية : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ

وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

ويقول ﷺ "تعس عبد الدرهم .. تعس عبد الخميصة " والخميصة هى الثوب الحسن)، رواه البخاري و وفي رواية الترمذي " لُعِنَ عبدُ الدينار، ولُعِنَ عبدُ الدرهم "

إذا فمن الناس من يعبد الدرهم .. ومنهم من يعبد الهوى !!، وليس المقصود بالعبادة هنا هو السجود والركوع للمعبود، ولكن المعنى واضح ألاَ وهو الحب الشديد والطاعة العمياء والميل الجارف حتى يسيطر على قلبه ونفسه ما يحب .. فكأنما يعبده ..

فمن يحب المال حبا شديداً تراه حريصا كل الحرص على جمعه بأية وسيلة حراما كانت أو حلالا ..، وقد يبذل فى سبيل ذلك عزة نفسه وكرامته ويستهين بهما، ويبالغ فى حفظ ماله وعدم إنفاقه حتى على نفسه. فيومه مشغول بجمع المال .. وليله مشغول بالحفاظ عليه .. وقلبه مشغول بحبه . وجسده مشغول باكتنازه وحفظه .. وروحه متعلقة به وهو مسيطر عليها .. فأى عبودية أكثر من هذه !!!.

ومن أحب شخصاً فإنك تراه حريصا على رضاه .. يأتمر بأوامره .. ويبذل ما فى طاقته للوصول إليه .. وعقله وقلبه مشغول بحبه .. ولا يعصى له أمرا .. وقلبه مشغول بموعد وصله ولقائه .

وهذه عبودية .. ورقّ .. فسيطرة ما يحب على قلبه تجرِّده من كل حول له وقوة، وتصيِّره مطيعا له فى كل أمر.

فإن كان الهوى .. وشهوة النفس .. وزينة الحياة الدنيا هو ما امتلأ بها قلب الإنسان .. وانشغل بالتمتع بها .. والسعى إليها .. فإنما قد استرقته واستعبدته . وصار لها عبدا .. وهى له آلهة ..

أمـا العبوديـة للّـه تعـالى فهـي أن يكـون جـل شـأنه مـرادك .. ومقصودك.. وبه انشغال قلبك وفكرك .. ناظرا إلى رضاه .. مرتجيا كرمه.. محبا له .. شاكرا لأنعمه .. وبهذا تنتقل من درجة العبيد .. إلى درجة العباد ...

فاعلم أنك في الحقيقة عبد لما تحب ..، عبد لما تهوى، فما تهواه هو مرادك ومقصودك ..، يقول ﷺفي الحديث المتفق عليه كما روى البخارى" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها .. فهجرته إلى ما هاجر إليه"،

فأنت ونيتك .. وأنت وقصدك وتمام عملك في كمال نيتك ..

فمن أحب اللّه .. وارتجاه وقصده .. فهو عبد للّه .. حتى وإن زلّ وأخطأ .. فهو عبد للّه مذنب بحكم بشريته وضعفه، أما من قصد غير اللّه تعالى في سعيه في الدنيا .. فإنما هو عبد لما يحب أو لمن يحب ..

حتى من عبد اللّه تعالى حبا في جنته فسوف يجزيه اللّه الخير ويدخله جنته كما وعد، ومن عبد اللّه تعالى خوفا من عذابه فسوف يقيه اللّه تعالى عذاب جهنم بفضله وكرمه، أما مَنْ عبد اللّه تعالى حبا للّه.. وقصداً لوجهه الكريم .. فسوف يجزيه اللّه تعالى النظر الى وجهه الكريم ..، أليس لكل امرئ ما نوى !!! ألم يقل اللّه تعالىفي سورة الليل : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ ﴾ ويقول في سورة الروم-٣٨:﴿ ... ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ ... ﴾ .

فنفس طبعها اللّه تعالى على حب النعيم .. ونفس طبعها على خوف الجحيم .. ونفس طبعها على حبه تعالى .. فأنعم وأكرم ..

فالشاهد ألا إله إلا الله وجب عليه إفراد الله تعالى بصفات الجلال والعظمة فلا يخاف سواه ولا يرجو غيره .. ولا يسأل دونه ..، ووجب عليه إفراد الله تعالى بصفات الجمال فلا يحب سواه .. ولا يبتغى غيره .. ولا يطمع فيما دونه .. يتأمل فى صفاته ويذكر أسماءه .. ويعيش فى تجليات أنواره ..

فإذا أنت آمنت بكلمة التوحيد فلا بد أن تشهد بقلبك بهذا التوحيد للخالق جل وعلا ولابد أن تعلم بعقلك حق التوحيد له جل شأنه، وقد سبق القول بأن القلب يمده الله تعالى بنور منه موهوب تكرماً.. مع نور الشرع في العقل مكتسباً بالعلم والتعلم .. فإن اجتمع نور الشرع مع نور القلب فى نفس المؤمن شاهد من المعارف مالا يوصف .. وعرف ربه بنور ربه على قدر وعاء قلبه وطاقته وقدر عطاء الله تعالى له..، وأولائك هم العارفون .. يقول تعالى (الفرقان-٥٩): ﴿ ... ٱلرَّحۡمَـٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ ﴾

• معرفة الله تعالى ومرآة القلب :

أسماء الله تعالى هى الدالة على صفاته، وصفاته هى التى يعامل بها خلقه، وقولنا إن التوحيد هو شهود وحدانية الله تعالى يؤكده قوله جل شأنه فى سورة آل عمران-١٨:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ...﴾ ، فانظر كيف جمع الله تعالى الملائكة وَأولى العِلْمِ فى معية الحق، وأولو العلم هم أولو البصائر.. أولو النور الإلهى .. فالعلم لا يكون إلا بنور الله تعالى .. لأنه علم بالله.. ولا يُعرف الله تعالى إلا بالله جل شأنه، ومعرفة الله لا يمكن أن تُشرح فى

كتاب ولا نصيحة، ذلك أن أدنى درجات المعرفة هى معرفة الصفات الدالة عليها الأسماء .. وأسماء الله تعالى الدالة على الصفات معلومة لدينا ومذكورة فى القرآن الكريم، ولكن كيف تجتلى هذه الصفات !!!،

إن غاية ما يمكن أن يقال فى هذا الشأن إنما هو شرح لمعانى الأسماء، فنقول إن الرحيم مثلا هو صيغة مبالغة من رحم .. وهو مشتق من الرحمة .. فاللّه الرحيم هو كثير الرحمة لعباده .. عظيم الرافة بهم، وهذا كلام يمكن أن تفهم معناه .. ولكن كيف يمكن أن تتذوق طعم الرحمة ومعناها !!!، فالعلم شئ والإحساس شئ آخر،

ولتقريب الأمر إلى عقلك فإنى أسألك سؤالا: هل تستطيع أن تصف إحساسك بحب شيئ ما ؟!

لو قلت إن قلبك يذوب حبا .. فهل قلبك قد ذاب حقاً .. وإن قلت إن الحب يسرى فى دمك .. فهل هو فعلا يسرى فى الدم !! إن كل ما تقوله ما هو إلا محاولة منك لنقل إحساسك إلى الآخرين .. ولكن هذا الشعور نفسه لا يمكنك نقله إلى قلب السامع بالوصف والكلام، فغاية ما تعبر به عن الفرح هو أنك تطير فرحا .. ولكن هل بربك رأيت من قبل فرحا يطير فى الهواء !!!

فالإحساس عموما لا يُنقل بالكلام والوصف ولكنك تتذوقه .. وتشعر به وتعيش فيه ولا يمكنك التعبير عنه، والسبب هو أن الشعور إنما يكون بالنفس .. بالقلب وهو ليس من الماديات المحسوسة بالحواس .. والكلام واللسان والأقوال والكتابة هى من عالم المادة ولا يمكن أن تتعامل مع عالم الملكوت نداً بند، لذلك أوجز ﷺ وصف الجنة بقوله " فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر " .. فإن غاية ما يشعر به البشر هى حواسهم المادية وزينة الحياة الدنيا وشهواتها.. ولذلك كان وصف الجنة من هذا القبيل لتقريب الأمر إلى أحاسيس القارئ ..، ففيها

النساء .. والأنهار .. والفواكه والقصور.. إلى آخره، ولكن الأمر فى حقيقته لا يتجاوز التشبيه وتقريب المعنى إلى الذهن كما نصف للطفل كل شئ جميل بأنه مثل " السكر " .. بل هو نفسه مثل السكر .. فكل حلو عنده وكل مرغوب هو مثل السكر ..

فخلاصة القول أن لكل عالم من العوالم مقاييسه وقوانينه، فإذا كان الناس قد تعارفت على أن تقيس الأطوال بالمتر والذراع وتقيس الأوزان بالجرام والرطل .. فكيف وماذا تفهم إذا قال لك قائل إن هذا الشارع طوله مائة رطل !!؟ الرطل لا يعبر به عن الأطوال ولذلك فلا تفهم منه شيئا ..

نعم يمكنك أن تستعير بعض الأوصاف لغير مسمياتها .. كأن تقول إن لون هذا الجدار باردٌ أو دافئٌ، فحينئذ يفهم عقل السامع أنه ليس المقصود بأنه لو وضع يده على الجدار لوجده ساخنا حارا . أو بارداً رطباً ولكن يفهم السامع ان لونه ينقل إليك إحساساً بالدفء المعنوى.. أو البرودة المجازية وهو ما يسمى فى اللغة بالكناية أو الاستعارة أو المجاز، وذلك فى محاولة لتقريب معنى معين إلى إحساس ملموس.

فأنت حين تقول إن اللّه رحيم .. فأنت لا تتذوق هذه الرحمة ولا تحس بمعناها إلا بقلبك وليس بعقلك، لذلك يقول تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ... ﴾(الروم-٥٠)، فالنظر والبصر إنما هما لآثار رحمة اللّه تعلى فى الكون وكيف يحيى اللّه الأرض بإنزال المطر عليها .. فما تراه بعينك هو آثار لصفات اللّه تعالى فى الكون، فأنت ترى أثر لطفه .وأثر عدله . وأثر رحمته . وأثر نعمته. وأثر هداه،

ويقول تعالى فىسورة الروم-٣٦ : ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً

فَرِحُواْ بِهَا ...﴾ ، ويقول فى سورة العنكبوت -٥٧: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

فالرؤية للأثر والتذوق للصفة أو الفعل ذاته فأنت ترى أثر الموت على الحىّ وتحزن وقد تتألم ولكن شتّان ما بين ما تراه أمامك وبين تذوقك للموت عندما يحين الأجل لك .

والسبب فى عدم معرفتك باللّه تعالى أو عدم تذوق صفاته إذا جاز لنا التعبير هو بُعْد المماثلة بين صفاتك وبين صفات اللّه تعالى، البعد بين صفاتك الحيوانية المادية والصفات العلية القدسية كما يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه "المقصد الأسنى"، أو كما سماها العلماء بالحجب الظلمانية.

ونقول بُعْد المماثلة ولا نقول " المثلية " فافهم

ولنزيدك إيضاحاً فلابد أن تعلم أن العلم والجهل صفتان فى النفس البشرية وأن حقائق الوجود موجودة فى الكون ومن الناس من يراها ومن الناس من لا يراها، والسبب هو الجهل الناتج عن حجاب قوى النفس عن هذه الحقائق، فإن رَقَّ هذا الحجاب وشَفّ عرفت النفس بعض الحقائق على قدر شفافية هذه الحجبْ . فكل شئ .. وكل حقيقة هى موجودة أمامك، أما قدرتك على الرؤية فتلك هى القضية..

ولتبسيط الأمر نقول أن النفس كالمرآة تماما . تنقل إليك صور الموجودات وتنطبع فيها الحقائق والمعانى الموجودة أصلا فى الكون، ولكى تنطبع أية صورة فى مرآة فإنه يلزم لها شروط، وإلا ما نقلت إليك صورة ذات معنى .. وأهم هذه الشروط هى :

●حسن صقل المرآة ونظافتها، فلو كانت غير مصقولة أو غير لامعة لم تنقل إليك إلا صورة مشوشة لا تطابق الحقيقة .. وإن كان عليها قذر

ووسخ خرجت الصورة منها بنفس القدر من القذر والوسخ.

ونفسك كذلك إن لم تكن مصقولة معدة السطح وذلك باعتدالها وحسن تفكيرها واستعدادها الفطرى لقبول الحقائق .، وإذا لم تكن نظيفة السطح من الأقذار الحيوانية والشهوات والمعاصى فإن الصور الكونية التى تنطبع فى نفسك تكون بنفس القدر من الوسخ والقذر من المعاصى .. ولا تعطيك أبدا صورة واضحة المعالم .. ولا تكاد تعرف الحقائق التى تنطبع فى نفسك لا يقظة ولا مناما .. لأن الاستقبال عندك تالف بدرجة ما .، لذلك كل صورة كونية تراها إنما تراها وفيها كل قاذورات نفسك وشهواتك، فأنت لم تر إلا نفسك حقيقة.

●صحة اتجاه المرآة إلى الهدف المراد رؤيته، فإنك إذا وجهتها وجهة أخرى فلن تراه ولن ترى صورة أصلا، وهذا مثاله فى النفس صدق الاتجاه إلى اللّه تعالى ودوام النظر فى ملكوته والتفكر فى آياته.. فالنفس إذا لم تكن مشغولة بهذا الأمر وكانت مشغولة بدنياها وشهواتها.. فلا ترى فى مرآة ذاتها إلا هذه الشهوات ولا يمكن أبدا أن ترى من التجليات الإلاهية أى شئ لأنها غيرمتوجهة إليها أصلا . بل مرة أخر ترى شهواتها وحيوانيتها وتظن أنها ترى حقائق الكون.

●قدرتك أنت على رؤية الصورة التى بالمرآة .، فإذا كان فى العين مرض .. فلن ترى صورة .. كذلك النفس إذا لم تكن لديها قوة إدراك بنور اللّه تعالى .. وإذا لم تهتم بما ينطبع فيها من أسرار ليل نهار .. فإنها لا تفهم ولا تدرك هذه الحقائق رغم وجودها أمامها .. ويكون حجابها هو جهلها وضعف بصيرتها .

فموجز القول بأن النفس البشرية تنطبع فيها الصور الكونية فإذا صُقِلت وهُذّبَت وتخلصت من كدوراتها البشرية وأحسن توجيهها إلى اللّه تعالى، وصَفَتْ ورَقّتَ وانتقشت فيها الصور الكونية بكيفية ما رأت من

أنوار التجليات الإلاهية ما شاء اللّه لها، وخوطب العبد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، فالحقائق كانت أمامك ولم تحجب عنك، ولكنك لما أحسنت تربية نفسك انقشعت الحجب ورأيت ما كان محجوبا عنك..

فإن عجبت من قولي هذا ... فانظر إلى حديث رسول اللّه ﷺ "المؤمن مرآة المؤمن" كما رواه الطبراني والبخاري وأبي داود وهو حديث حسن، وكيف فسروهُ بان المسلم يجب أن يكون ناصحاً لأخيه المسلم مظهرا له عيوبه بالصدق والإخلاص .. كأنه له مرآة ..، وهذا تفسير حسن، ولكن أليس من صفات اللّه تعالى وأسمائه " المؤمن" !!. ألاَ يصح أن تفهم المعنى على أن المسلم المؤمن باللّه حقا هو مرآة تنطبع في قلبه وروحه حقائق المؤمن جل وعلا!!.

يقول تعالى:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ .. ﴾ (البقرة-١١٥)

وصدق اللّه تعالى فإن المؤمن الحق يجب أن يتذكر اللّه تعالى وينظر إلى عبره وآياته في كل اتجاه، يراه في نفسه .. وفي أهله .. وفي عمله .. وفي نومه .. وفي يقظته .. في كل وقت وفي كل اتجاه لا يقع بصره إلا على آية وحكمة من آيات اللّه تعالى.. فأينما تولوا فثم وجه اللّه.. فافهم..

ولتقريب المعنى إلى عقلك أقول : رجل بخيل سيطر حب المال على قلبه وتفنّن في جمعه واكتنازه وهو بالطبع مقتنع أن ما يفعله هو عين العقل والحكمة، فإذا رأى رجلا كريما ينفق على المحتاج والسائل فماذا يكون حكمه عليه؟؟؟

سوف يقول أن هذا الرجل إما معتوه لأنه يفرّط في ماله الثمين، وإما له غرض خفي في نفسه يدفعه للإنفاق .. فهو لم ير الكريم كريما

يقصد وجه اللّه ولكن رآه معتوها أو ذا غرض خفى. فبخله حجب عنه حقيقة كرم الكريم وظن به ظن السوء.

فهذه الحجب الظلمانية التى تحجب عن اللّه تعالى هى حبس النفس فى إدراكاتها المادية وشهواتها الأرضية، فإذا تحدثنا مثلا عن عذاب القبر .. تساءل الناس . وكيف يعيش الميت فى قبره.!! وكيف يحس ويتألم !! وقد تأكله السباع والهوام ويتحلل فى الماء والأرض فكيف يستمر العذاب !!، وهذه أسئلة السذج من الخلق أو جهال الناس الذين حبسوا أنفسهم بالقوانين الأرضية .. فلا حياة إلا بالماء والهواء، ونسوا بأن كل عالم من العوالم الغيبية له قوانينه الخاصة.

بل إن الإنسان نفسه وهو على الأرض يتعامل بقوانين الأرض، وعندما كان فى بطن أمه لم يكن يشرب ولا يأكل ولا يتنفس إلا بكيفية خاصة تليق بعالمه ... وكان يحس وينمو .. ويضرب برجليه .، هو الآن قد نسى ذلك العالم وقوانينه، وقبل نزوله فى الرحم ويوم ألست بربكم.. يوم أخذ اللّه عليه العهد وهو روح .. كيف كان يعيش فى ذلك العالم !!! وأى قوانين كانت تحكمه!! ولكنه الآن نسى كل العوالم التى مرت به ولم يذكر إلا قوانين عالمه الحالى فى الدنيا.

فحبس النفس بالقوانين البشرية وتحجير إدراكها بالمحسوسات البشرية يضيع عليها تفهم العوالم الأخرى الموجودة حولها فعلا ...، وانظر مثلا كيف لو علم العرب فى جاهليتهم بأن هناك طائرات من الحديد سوف تطير فى السماء بسرعة ثلاثة آلاف كيلو متر فى الساعة أو تزيد وأنها تقطع المسافة بين مكة والقدس فى أقل من ساعة ذهابا وساعة عَوْداً لما عجبوا من إسراء رسول اللّه ﷺ... ولكنهم حبسوا إدراكهم على قدر محسوساتهم وإبلهم وأنعامهم .، فلا هم عرفوا حقائق الكون المادية الخافية عنهم .. ولا هم عرفوا اللّه حق معرفته وسلموا الأمر إليه وهو

الذى يسير الرياح ويسخر الشمس والقمر فأى عجب فى أن يسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى!!!

ولقد جعل اللّه لك فى منامك آية على عوالم الغيب وقدرتك على التعامل معه، فأنت إذا نمت .. نامت مداركك المادية .. فلا شعور ولا حس. ونشطت فيك بعض قوى الإدراك الداخلى فى النفس .. وبهذا الإدراك تسبح بك روحك إلى عوالم الملكوت، فالفرق بين النوم واليقظة ليس إلا نوم حواسك البشرية ومشاعرك الحيوانية فأنت فى النوم لا تشعر بمن وما حولك وكذلك لا تحب ولا تكره ولا تنافق ولا تتكبر ولا تظلم ..، فنفسك الحيوانية غير مسيطرة على روحك خلال النوم .. لذلك فروحك تنطلق فى العوالم الأخرى فتطير .. وتأكل وتشرب وتأتى بكل ما يخالف عقلك المادى ..

ولو استطاع الإنسان بطريقة ما أن يكبت وهو يقظان هذه الإدراكات الحيوانية والشهوات الأرضية .. أو يجعلها فى ركود وخمول كأنها نائمة .. فهل يا ترى سوف يستطيع أن يرى فى يقظته هذه ما يراه وهو نائم ؟؟ نعم بلا شك .. فالمشكلة فى الشهوات الأرضية والإحساس المادى .. فإن تغلبت عليهما فد دخلت فى العوالم الأخرى .. ألم يقل ﷺ "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " ..!! أو ليس الموت والنوم صنوان متقاربان"!!.

وقد سبق التعرض لتعريف اللّه تعالى للميت والحى .. وأن حياة القلوب بذكر اللّه وأن الميت هو الغافل عن ذكر اللّـه (الأنعام-١٢٢) : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ ...﴾ ويقول تعالى (النور-٤٠):﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

فالجهل والعلم والنور والظلام .. والحياة والموت كلها مترادفات للإيمان والكفر، والعلم بالله لا يكون إلا بنوره وهداه .. وبهذا يتفاوت البشر عند الله تعالى فليس علم كعلم ولا معرفة كمعرفة.

فإذا عرفت أن من صفات الله تعالى السميع والبصير فقد يتبادر إلى ذهنك قوى السمع والبصر البشرية .. وطاقة البشر وإمكانيات السمع والبصر، وتعالى الله عما تقول علوا كبيرا، فإذا قلنا لك إن الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. وإنه يسمع الهمس والسر وما هو دون السر .. وإنه جل شأنه يعلم بجميع حالات خلقه في ذات الوقت وذات اللحظة كما سوف يحاسب عباده جميعا يوم القيامة في وقت واحد.. فإن تفكيرك البشري يتوقف ولا يستطيع أن يدرك المقصود .، وأنت معذور في توقف عقلك لأنك بشري لا تعرف إلا حدود بشريتك ..

وغير معذور لجهلك بأن الله تعالى ليس كمثله شئ.. ولا يُضرب له ولا به مثل .. وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.، إن عقلك وإدراكك لا يكاد يفهم نفسه ولا يفهم البشر مثله.. فكيف يتطلع إلى فهم من لا تدركه العقول ولا الأفهام .. جل شأنه !!،

وهكذا باقي الصفات العليّة .. فالكلام غير الكلام... والوجه غير الوجه .. واليد غير اليد، تعالى الله عما نقول علوا كبيرا ..

يقول تعالى في سورة الكهف :﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾، فلا تظن أن الكلام مثل كلامنا .. فإنما كلام الله هو خلق الله تعالى فعيسى بن مريم كلمة منه ألقاها إلى مريم والموجودات ظلال .. مدها الله تعالى في الوجود...

وحذار أن تتصور أن سيدنا موسى عليه السلام عندما كان يناجي

ربه أنه كان يسمع صوتا وحروفاً ومقاطع وكلمات، تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا .. ولكن الأمر غير ذلك تماما .. وليس الكلام ككلامنا وليس له جهة صادر منها ... ولم يسمع موسى بأذنيه كما يسمع كلام البشر وأصوات المخلوقات...

ورسول اللّه ﷺ لم يناج ربه فى ليلة المعراج فى مكان ما فوق السموات السبع كما قد يتبادر إلى الذهن مفهوم الفوقية المكانية .. فاللّه تعالى منزه عن المكان والزمان، فقد كانت هذه المناجاة حيث لا زمان ولا مكان ..

وقول رسول اللّه ﷺ كما ورد في البخاري ومسلم عن أبي ذر بأنه قد عُرج به صلّ اللّه عليه وسلم من سماء إلي سماء حتى بلغ سدرة المنتهي لا يقبل شكاً ولا جدلا ولكن يجب أن نؤمن به علي مراده ﷺ وبالكيفية التي تناسب الحال والمقام ونحن لا ندركها بعقولنا البشرية.

وانظر كيف صلى رسول اللّه ﷺبالأنبياء والرسل فى بيت المقدس .. ثم وجد بعضا منهم فى السموات كإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويحيى وإدريس ...، ولا تظن أنهم قد صلوا معه ﷺ ثم سبقوا ليكونوا فى استقباله .. ولكنهم كما صلوا معه فى بيت المقدس هم كذلك موجودون فى السموات .. بكيفية ما تستطيعها الأرواح القدسية التى لا يحدها مكان ولا زمان ..

واللّه تعالى وسع كرسيه السموات والأرض، وهو سبحانه على العرش استوى، فلا العرش كالعرش الذى تعرفه بشريتك .. ولا الكرسى كالكرسى الذى يتبادر إلى ذهنك، وكما كان يقول السلف الصالح : الاستواء معلوم.. والكيف مجهول .. والسؤال عنه بدعة ... وكانوا يقولون: آمنا بما جاء به اللّه.. على مراد اللّه.. وبالكيفية التى أرادها اللّه..

فإن قال ﷺ" ينزل ربك إلى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له .. هل من تائب فأتوب عليه ... " إلى آخر الحديث المعروف ..، فإياك أن تتصور فى الأمر نزولا كنزولنا. وصعودا كصعودنا، تعالى الله عن ذلك، واعلم أنه عندما يكون الوقت هو السحر أو ثلث الليل الأخير كما يقال فى الهند مثلا .. فإنه سوف يكون سحرا بعد ساعة فى إيران .. وبعد ساعة فى السعودية .. وبعد ساعة فى مصر.. وهكذا على مدار الأربع والعشرين ساعة على الكرة الأرضية فأى سحر وأى نزول إن كنت تفهم !!! جل جلال الله عن التشبيه والمثال.

ونحن نؤمن أن الحديث صحيح وما جاء به حق أما الكيفيّة فلا تُكيّفُ بعقولنا البشرية، يكفينا أنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لنقول آمنا وسمعنا وأطعنا.. سواء فهمنا أم لم نفهم.

اطرح عنك جميع الأفكار البشرية .. والإدراك الحسى الذي يحبس عقلك ومفهومك .. وانظر فى آيات الله تعالى فى الكون وفى كتابه.. واستبصر فلعلك تبصر بإذن الله .. واستلهم الله تعالى الحكمة وتأدب لها وتجمل للقياها عسى الله تعالى أن يمن عليك بها لتفهم وتعرف مالا يقال فى بيان.

- <u>الأسماء والصفات والتجليات :</u>

الاسم غير الذات، فإن اسم زيد ليس هو عين زيد .. ولكن الاسم يدل على المسمى .. فإن قلنا زيد بن عمرو فلا يوجد إلا زيد واحد هو ابن عمرو واحد .. فالاسم يدل على ذات المسمى ..

والصفة كما تعلم من خواص المسمى .. فزيد طويل أو قصير..

ولكنها لا تغنى عن الاسم فى التعريف فإن قلت الطويل أو القصير فقد يكون زيدا وقد يكون غيره .. فالاسم دال على المسمى والصفة مضافة إليه أو خاصة به.

والصفة تحيط بها علما .. ولكنك تدركها بالإدراك والحواس.. وعلمك بها غير إحساسك بها .. كما ضربنا مثلا فى العلم واليقين ولكن بطريقة أخرى.

يقول تعالىفى سورة الشورى-٤٨:﴿ ... وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ... ﴾!! فالرحمة تذاق، ويقول تعالىفى سورة الأعراف-١٨٠: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ...﴾.

ويقول فى سورة الأعلى:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾، وفى سورة المزمل : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ ﴾، ويقول ﷺ "إن للّه تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة" أى من دعا بها وسبح بها وذكر اللّه تعالى بها .. فاللّه تعالى هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور .. إلى آخر الأسماء المعروفة والتى سنذكرها فيما بعد، فأسماء اللّه تعالى هى الدالة على صفاته جل شأنه ..، وأنت تعلم الاسم الدال على الصفة فالرحيم يدل على الرحمة ولكن لا ترى الرحمة.. ولكنك تدركها برؤية آثارها حيث يقول تعالى:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ... ﴾ ، فالنظر إلى الأثر، أما الإدراك فهو بالقلب ..،

فأسماء اللّه تعالى وصفاته ليست أسماء وصفات مجردة المعنى

ذات دلالة فقط، ولكنها الصفات والأسماء التى يعامل بها خلقه أجمعين، فصفته تعالى أنه الخالق مثلا تجد فيها أسرار خلق اللّه تعالى لكل الكائنات، وصفته تعالى الرزاق تجد فيها أسرار توزيع رزقه على خلقه، وصفته تعالى القهار تجد فيها أسرار قهره لجميع الموجودات، وهكذا مما يضيق الكلام عنه ..

فإذا تجلى اللّه تعالى على قوم باسمه تعالى الرحيم فإنك تجدهم قد تراحموا وتحابوا وتواصلوا وكانت الرحمة فى قلوبهم .. والمودة بينهم وهم أنفسهم لا يدرون لذلك سببا .. ولكنها تجليات اللّه عليهم باسمه تعالى الرحيم، انظر إلى قول رسول اللّه ﷺ فى الحديث المتفق عليه من رواية أبى هريرة رضى اللّه عنه، وكذلك رواه الإمام أحمد والإمام مسلم عن سلمان وعن أبي سعيد أن اللّه تعالى قد قسّم رحمته إلى مائة جزء فانزل منها فى الأرض جزءا واحدا .. وأخّر تسعة وتسعين جزءا إلى يوم القيامة يوم غضبة الجبار .. فمن هذا الجزء من مائة يتراحم الناس والبهائم حتى أن البهيمة ترفع رجلها عن وليدها أن يصيبه مكروه.. فانظر كيف يتراحم الناس والخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وعلى كافة عصورهم من تجليات اللّه عليهم بجزء من مائة جزء من رحمته جل شأنه ..

وقس على ذلك كل الصفات، فإدارة الكون وكل ما فيه من الكائنات إنما هى تجليات من صفاته تعالى، فلا يشفى مريض إلا إذا كان له حظ من تجليات اسمه تعالى الشافى، ولا يموت ميت إلا بتجليات اسمه تعالى المميت، ولا يصل رزقك إليك إلا بتجليات اسمه تعالى الرزاق، إلى آخره ..

ألا ترى أن اللّه تعالى هو : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾

(النجم – ٤٣: ٤٥)، فحتى الضحك والبكاء بأمر الله تعالى وتجلياته على عباده فافهم رحمك الله...

وترى مما تقدم أن الأسماء فى الحقيقة هى غير الصفات، كما أن الصفات غير التجليات..، والتجليات غير الأنوار وغير الأسرار..، فلكل مسمى معنى دقيق مقصود لذاته وليست كلها متساوية فى المعنى، كما تقول النفس والروح والقلب والبصيرة وتقصد بكل هذه المسميات النفس، وفى الحقيقة أن لكل مسمى معنى وخاصية، ودرجة كما سبق بيانه ولنضرب لذلك مثلا .. ولله المثل الأعلى ..

هب أنك رجل فقير محتاج لا حول لك ولا قوة .. ودخلت مدينة لا تعرفها ويحكمها مَلِكٌ لا تعرفه .. فوجدت المدينة نظيفة .. جميلة .. منسقة .. وأهلها آمنين راضين وفى غنى ويسر من هبات الملك وعطاياه.. والجنود فى الشوارع وحول المدينة يحفظون النظام ويحافظون على أمن المملكة.

فسوف يتبادر الى ذهنك أن هذا الملك عادل .. ورحيم وغنى.. وكريم .. وقوى .. وكيف عرفت هذه الصفات .. عرفتها من آثار عدله وآثار رحمته .. وآثار غناه .. وآثار كرمه .. وآثار قوته .. فمما رأيت من أفعال الملك وآثارها فى أهل مملكته عرفت صفاته .. وأطلقت عليه أسماء القوى .. الغنى .. الكريم .. الخ .

فالدرجة الأولى فى المعرفة هى معرفة الأسماء والأفعال .. والعلم بالصفات،

فإذا ما قربَّك الملك.. وعلم فقرك فأعطاك حتى أغناك.. فأبدلت ثيابك بالجديد.. وأطبت مطعمك ومشربك.. وارتقيت بمركبك وبيتك.. فحينئذ نقول إنك قد نلت من بعض آثار صفات الملك ما تبدل به حالك وتغيرت معيشتك وذلك من أثر نعمته عليك وأثر غناه وكرمه عليك..

حينئذ تكون قد انتقلت إلى المرتبة الثانية وهي تذوق الصفات.. فذقت من كرمه .. ومن غناه.

فإذا زاد إكرام الملك عليك فأعطاك ثم أعطاك .. وبدأت أنت نفسك تصبح غنيا وبدأت تبحث عن الفقير لتعطيه .. والمحتاج فتغنيه., فقد تغيرت صفاتك وصار فيها قبس من صفات الملك وسرت فيك آثار صفاته وصرت مثله كريما .. غنيا .. مع بعد المفارقة بين غناك .. وغنى الملك وعطاياك .. وعطايا الملك .. ولكنك على أي حال تغيرت صفاتك الى صفاته .. وسرت فيك صفاته الى من حولك من الخلق..

عندئذ تكون قد وصلت الى مرتبة التجليات .. تُفاض عليك وتفيض أنت على غيرك..

فإن ازداد عطاء الملك .. وغناك منه .. فصرت لا تعطى من مالك فقط بل تدعو كل غنى بأن يعطى الفقراء .. فلا يسمع كلامك بخيل إلا تبدلت حاله بكلامك وصار كريما مثلك ومثل الملك، إذا فقد سرت فيك سر قوة الغنى والمنح من الملك إليك ومنك الى الناس فذلك فيض من الملك إليك ومنك الى الناس .. فعندها تقول إنك في المرتبة الرابعة .،، وهى سريان سر التجليات فيك .

فالأولى أنك عرفت الأسماء والأفعال .، والثانية أنك قد تذوقت الصفات، والثالثة أنك قد سرت فيك عرفت التجليات .، والرابعة أنك دخلت في أسرار التجليات.

ورغم أنك اتصفت بصفات الملك فما أبعد المشابهة والمماثلة بينك وبينه .. ففرق بين من يعلم .. وبين من يتذوق .. ومن يقرأ ويسمع.. ومن يخشع ويتبدل .

وكلنا نعلم أن اللّه تعالى قد خلق سيدنا آدم ليكون خليفة في

الأرض.. لا فى الجنة فلماذا أسكنه الجنة !!! .﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾(البقرة –٣٥).

نقول وبالله التوفيق إن الخلافة تستدعى العلم الكامل للخليفة والإدراك المعتدل كما قلنا سابقا ..، حيث إن الخلافة الحقة لا تكون إلا إذا كان الإنسان فى أحسن تقويم .. علما وإرادة فلما خلق الله تعالى آدم وعلّمه أسماء الموجودات والكائنات وخواصها وأسرارها واستخدامها صار له نصيب من العلم ..، فلما أسكنه الجنة ورأى ملك الله العظيم وقدرته وحكمته وعظمته .. وجلاله .. وتدبيره وجماله، ازداد علمه بالله تعالى بأنه الخالق .. البارئ المصور العظيم .. الجليل.. الرازق.. إلى آخر صفات الخلق والإيجاد والعظمة والجلال.

عرف هذا من رؤيته لآثار صفات الله تعالى وأفعاله فى الجنة ..، ولكنه لم يعرف الجانب الآخر من صفات الرحمة والتوبة والمغفرة،

فلما ذاق الشجرة .. واستغفر ربه وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه استكمل معرفته بصفات الله تعالى وعرف قهره وجبروته ورحمته.. وغفرانه..،

فلما تمت له المعرفة بالله استحق الخلافة فأنزل على الأرض..

وإلا فكيف تتصور أن يكون الخليفة فى الأرض وهو لا يعلم صفات مليكه وخالقه . فالخلافة لا يستحقها إلا العالم الخبير بالله تعالى الذى علم وعرف وذاق أسماءه وصفاته جل وعلا .

واعلم أنه كما أن لله تعالى آثاراً ظاهرة لصفاته وتجلياته فى أكوانه. فإن له تعالى آثاراً غير ظاهرة إلا لمن هو أهلها من التدبير واللطف والقيومية...

وانظر فى قصتين من قصص القرآن الكريم جاءتا ذكرى لمن يعتبر.

الأولى عن سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام.

والثانية عن سيدنا موسى والعبد الصالح كما وردتا فى سورتى يوسف والكهف فى القرآن.

فقد ألقى سيدنا يوسف فى الجب .. وانتزع من أبيه عليه السلام.. واسترِقَّ عند عزيز مصر .. وأدخل السجن، فأى بلاء يتلوه بلاء يتلوه بلاء مثل هذا !!! ولكنك ترى فى النهاية أن كل ما حدث كان بتدبير اللّه تعالى وحكمته وكل واقعة أسلمته للأخرى حتى صار فى النهاية هو عزيز مصر وحاكمها، ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا...

فلو انقطعت سلسلة هذه الأحداث .. أو نقصت منها حلقة لما صار إلى ما صار إليه، ولذلك يقول سيدنا يوسف:﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ (يوسف-١٠٠)، فعلم اللّه تعالى وحكمته ولطف تدبيره جل شأنه لم يظهر لسيدنا يوسف إلا فى نهاية الأمر ..، وإلا فهل كان يعلم وهو يباع رقيقا .. ويدخل السجن أنه سوف يصير عزيز مصر !!! اللّه وحده هو الذى كان يعلم وهو العليم الحكيم واللّه وحده هو الذى دبّر وأنفذ مشيئته والناس لا يعلمون ...

أما قصة العبد الصالح مع سيدنا موسى والتى وردت فى سورة الكهف فقد جازى أصحاب السفينة على إكرامهم له ولسيدنا موسى بإركابهما دون أجر بأن خرقها لهم !!! فأصبحت تحتاج الى ترميم.. وصلاحيتها صارت محل نظر .. فهل جزاء إحسان أصحاب السفينة هو أن يتلف لهم سفينتهم !؟! . أم أن جزاء الإحسان هو الإحسان!!!،

ثم قتل العبد الصالح غلاما جميلا زكيا، لا يبدو منه شر ولا أذى.. أزهق روحه .. مع ما سببه لوالديه من حزن وغم وألم لموت الطفل البرئ .. فهل يبدو فى قتل النفس الزكية البريئة أى رحمة !!؟، وهل

هناك أبشع ولا أشد جزاء عند اللّه تعالى من قتل النفس البريئة .،

ثم يزيد العبد الصالح سيدنا موسى عجبا واستغرابا حين يدخلون قرية فيرفض أهلها إكرامهما بطعام أو شراب وهما من بسائط واجبات المروءة والشهامة .. وإذا بالعبد الصالح يرى جدارا يوشك أن ينهدم فيشمر عن ساعديه ويرممه ويصلحه ليبقيه على حاله .. فهل يستحق أهل المدينة هذا العناء والتعب!!! .

فلما بلغ العجب أقصاه بسيدنا موسى .. فسر له العبد الصالح ما خفي عليه من أسرار، وأظهر له حكمة اللّه تعالى فيما فعله، فعله بالأمر وليس على هواه بما أعلمه اللّه تعالى من بواطن الأمور وأسرار جريان القدر والقضاء على عبيده.

فلولا أنه قد خرق السفينة لكانت قد أخذت من أهلها غصباً منهم وظلما .. فهذا الخرق الظاهر المضر في نظر سيدنا موسى كان هو عين المصلحة لأصحاب السفينة حيث حال بينها وبين الاغتصاب والسلب منهم،

أما الغلام فقد كان مقدرا له أن يكون كافرا إذا شبَّ وكبر عاقاً لوالديه مع كبر سِنِّهما وضعف شيخوختهما .. فأراحهما اللّه من كفره وعقوقه بموته مع فضل من اللّه أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما لهم وهما لا يعلمان .. ورحم اللّه الغلام بموته طفلا لم يبلغ الحلم فلا يحاسب على كفر لذلك فقد كان مقتل هذا الطفل رحمة للجميع .. له ولوالديه،

أما الجدار فقد حفظ العبد الصالح بترميمه ثروة كانت تحته ليتيمين في المدينة، فلو انقض الجدار وظهرت الثروة لاستولى عليها أهل المدينة اللؤماء وحرموا اليتيمين .. لذلك فقد كان عين العدل أن يرمم الجدار لا شكرا لأهل المدينة ولكن حفاظا على كنز اليتيمين..

واليتيمان لا يشعران وأهل المدينة لا يشعرون.

فانظر كيف كان اعتراض سيدنا موسى على ظاهر الأمور.. لأنه لم يدرك حكمتها، ولكن العبد الصالح المكلف من اللّه تعالى بهذه الأمور قد أعلمه اللّه تعالى بسرها وحكمتها.

ولا تحسبن العبد الصالح أعلى درجة من سيدنا موسى نبى اللّه ورسوله وكليمه ولكن لكل منهما علم يناسب مهمته .. فسيدنا موسى فى شأن مع اللّه ومع خلق اللّه غير شأن هذا العبد الصالح مع اللّه ومع خلقه.. وكل "ميسر" لما خلق له.

يروى أبو داوود والنسائي والحاكم قوله صلّى اللّه عليه وسلم "رحمة اللّه علينا وعلى موسى، لو صبر لرأي من صاحبه العَجَبَ" وفي رواية "العَجَب والعُجَابَ"

ومقصودنا من عرض القصتين هو أن نريك كيف أن للّه تعالى حكمة عليا فى كل ما يقع للعباد .، و البلاء.. أو المصائب بتعبيرنا نحن التى تعرض لها سيدنا يوسف عليه السلام.. ومن تعرضوا لها مع العبد الصالح لم تكن إلا رحمة اللّه تعالى بعباده ومعرفته جل وعلا بما يصلحهم .. فكلها خير لهم .. وهم يتصورن أنها بلاء أو مصائب.

لذلك يقول اللّه تعالى فى سورة التغابن:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾، أى من يصدق إيمانه ومعرفته باللّه تعالى فاللّه جَل شأنه يطمئن قلبه ويجعله مطمئنا باللّه شاكرا له غير جزوع ولا هلوع، فهو دائما مطمئن باللّه تعالى .. مدرك للطف تدبيره وخفى حكمته ..

ولعل هذا يسوقنا الى قول اللّه تعالىفى سورة النساء:﴿ أَيْنَمَا

تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾

ويقول تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾

فهل المصيبة من النفس .. أم هى من اللّه تعالى !!!.

اعلم رحمك اللّه أن كتاب اللّه تعالى هو خطاب لكل المؤمنين على اختلاف درجات إيمانهم قوة وضعفا .. فمنهم قليل الإيمان الذى يقيس النتائج بالمسببات .. ومنهم عظيم الإيمان صاحب التسليم المطلق للّه تعالى .، فالإنسان إذا أصابته مصيبة فاعتبرها مصيبة . واحتسبها فى سبيل اللّه .. وصبر عليها .. فهى مصيبة ويؤجر على صبره وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فالصبر لا يكون إلا على قدر إحساس العبد بالبلاء والمصائب.

هذه حالة أما إذا نظر إليها .. وعقلها فى قلبه ونفسه وأدرك أن اللّه تعالى لا يأتى منه إلا الخير ... إلا ما هو لصالح الإنسان فى دنياه وآخرته معاً .. وأيقن يقينا جازما أن ما أصابه هو الخير .. وأن الملك للّه .. والأمر للّه يصرفه كيف يشاء .. وهو شاكر فضله فهذا المؤمن لا يرى المصيبة أصلا .. بل يراها خيرا .. وبدلا من أن يصبر عليها فإنه يشكر اللّه تعالى على هذا الخير، وفرق بين الصابر والشاكر... يقول تعالى: ﴿ .... وَقَلِيلٌ

مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ (سبأ-١٣).

ويقول في الحديث القدسي كما يرويه الطبراني والحاكم "أنا عند ظن عبدي بي".

فالمصيبة إنما صارت مصيبة بتقويم النفس لها .. وتقديرها لما وقع.. فتكون في هذه الحالة من النفس،

والدليل على قولنا هذا أن رسول الله ﷺمر برجل قد أصابته مصيبة وهو ينتحب ويبكي فقال له ﷺ إن تصبر فهي خير لك.. فرد الرجل على رسول الله ﷺ.. أي خير وهي مصيبة فقال له ﷺ: هي إذا!!. أي هي إذن مصيبة كما قدرتها أنت..

وانظر إلى قول الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾

فأي مصيبة أكبر من أن يجتمع الناس لقتالهم وهم فئة قليلة لا حول لهم ولا قوة .. وهم هالكون لا محالة ولكن انظر إلى قوة إيمانهم بالله تعالى وصدق يقينهم .. فمن الوهلة الأولى لم يهتزوا ولم يجزعوا بل زادهم إيمانا وثقة بالله نابعة من قوة إيمانهم وقالوا الله حسبنا ووكيلنا.. وأي وكيل أعظم وأقوى منه جل شأنه، فكانت النتيجة أن الله تعالى أثابهم بنعمة ... وفضل لم يمسسهم سوء والله ذو الفضل العظيم...

فهكذا يكون استقبال شديد الإيمان للمصائب وتقديره لها..

وهناك تفسير آخر نورده مجملا، ذلك أن النفس بجهلها قد تطلب

ما يطغيها .. أو تفعل ما يؤذيها وهي غافلة عن نتائج ما تفعله أو تطلبه.. فقد تطلب النفس البنين والمال .. فإذا كان لها ما أرادت كانوا فتنة لها ومصيبة. فإن النفس لا تطلب أمرا من شهوات الدنيا إلا كان عليها نكبة وانشغالا عن الله وزيادة معاناة وكبد لها،

ويقول ﷺفيما يرويه أحمد والنسائي وغيرهما عن ثوبان رضي الله عنه " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " فإنما كان حرمانه نتيجة عصيانه .. وكانت مصيبة نتيجة لطلب نفسه البنين والمال..

واعلم أن هناك تفسيراً ثالثاً ولكن يصعب عرضه بالبيان واللسان لأنه من باطن النفوس وافتتانها ببعضها البعض وقد قيل "اتقوا غيظ القلوب ولو من دابة " .

ومقصودنا من كل ما تقدم هو أن نقول إن الإيمان بأسماء الله تعالى وبصفاته يستلزم الرضا بالقضاء وحسن الإدراك بحكمة الله . ما بين صبر وشكر حيثما يرزقه الله تعالى فَهْماً، كما يقول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الترمذي عن فضالة بن عبيد " لو تعلمون مالكم عند الله لأحببتم ان تزدادوا فاقة و حاجة" حديث صحيح. فإذا كانت الفاقة والاحتياج يعتبره الناس من البلاء فقس علي هذا كل بلاء آخر لأن المؤمن مثاب علي كل بلاء او بمعنى أدقّ على كل هم وغم يصيبه ومحاسب على كل نعمة من نعم الدنيا تأتيه فافهم رحمك الله.

وما نهدف إليه هو أن نوضح لك بأن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته ... تستلزم أن تنظر إلى كل ما يجرى فى الكون على أنه من تدبير الله تعالى . بل إن العباد أنفسهم يجرى عليهم حكم القضاء والقدر.. وأفعالهم كلها إنما هى منسوبة إليهم نسبة إضافة كما ذكرنا من قبل.. فالرزاق هو الله تعالى ولكن قد يضع سر الشفاء فى دواء، فالأسباب لها دور ونشكر من أجرى النعمة لنا على يديه يقول تعالى

(لقمان-١٤):﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾، فاللّه تعالى هو الفعال لما يريد حسبما يريد وكيفما يريد .. ولكنه جل شأنه جعل جنودا، وأسباباً للخير .. وجعل جنودا وأسباباً للشر فافهم ...

وحقيقة الأمر .. واللّه ورسوله أعلم . هو أنك والخلق أجمعين .. وفى كل حالة من حالاتك .. فى نومك ويقظتك .. فى غناك وفقرك.. فى بكائك وضحكك .. فى صحتك ومرضك تحت تجليات اللّه عليك وتحت تجليات اللّه على الموجودات التى تتعامل معها فتتصرف معك بتجليات اللّه عليها، فأنت بين تجليات اللّه عليك وتجليات اللّه إليك.. وسبحان اللّه الذى لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء..

ولذلك يعلم رسول اللّه ﷺأصحابه أصول التوحيد للّه تعالى فيقول لسيدنا معاذ رضى اللّه عنه "احفظ اللّه يحفظك .. احفظ اللّه تجده تجاهك .. إذا سالت فاسأل اللّه .. وإذا استعنت فاستعن باللّه.. واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه اللّه لك .. وأن الأمّة لو اجتمعت كى يضروك بشئ ما ضروك إلا بشئ قد كتبه اللّه عليك... رفعت الأقلام ... وجفت الصحف "

وصدق رسول اللّه ﷺ... فإن الأمر كله للّه .. وباللّه .. وإلى اللّه ولن يصيبنا إلا ما كتب اللّه لنا.. وصدق اللّه إذ يقول فى سورة آل عمران :﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

• التعلق .. والتخلق بصفات الله تعالى :

ذكر الإمام الغزالي في كتابه المقصد الأسنى قوله ... ﷺ" تخلّقوا بأخلاق اللّه تعالى " وروى الطبراني في الأوسط قوله عليه الصلاة والسلام " إن للّه تسعة وتسعين خُلُقاً من تَخلق بواحد منها دخل الجنة ".

وقد سبق القول بأن الإنسان في الأرض يكون بين درجتي أحسن تقويم وأسفل سافلين ... وأن التفاضل بينهما والتدرج ليس إلا بقدر ما اكتسب من الصفات العلوية وبقدر ما تخلص من شهواته الحيوانية، فأحسن تقويم هو الاتصاف بصفات اللّه تعالى المأمور بها .. وعلمه الكامل بخصائص هذه الصفات .. وتذوقه من تجلياتها وأنوارها، أما أسفل سافلين فهو غفلته عن هذه الأسماء والصفات وبعده عن تجلياتها.. وهذا البعد يثمر المفارقة والمباينة بخلاف قربه منها فإنه يثمر المماثلة، ونؤكد مرة أخرى أن المقصود المماثلة على قدر الطاقة البشرية وليست المثلية وفرق بين المماثلة والمثلية والمَثَل والمِثْل والمثال.

والبعد هو بالحجب عن اللّه، والقرب إنما يكون بشفافية هذه الحجب البشرية والكونية .. وهذا لا يكون إلا بمجاهدة النفس والترقي بها من عالم الشهوات إلى عالم الملكوت وصقلها وتهذيبها بالطاعة وذكر اللّه ثم بفضل فيوضاته جل وعلا أولا وأخيرا..

وصفات التخلق باللّه تعالى هي صفات الرحمة والكرم والرافة والعفو وما ماثلها فاللّه تعالى كريم ويحب الكريم .. ورحيم ويحب الرحيم.. وعفّو ويحب العافين عن الناس يقول اللّه تعالى:

﴿..وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(آل عمران-١٣٤) ، ويقول ﷺ "الراحمون يرحمهم الرحمن" ويقولَ فيما يرويه الترمذي عن أبي هريرة أن السخيّ قريب من اللّه قريب من

الناس قريب من الجنة ويروى الطبراني في الأوسط قوله ﷺ."إن للّه ثلاثمائة خُلُق من تقّرب إليه بواحد منها دخل الجنة، وأحبها إليه السخاء"، وفى رواية "تقّرب إليه بواحد منها دخل الجنة، وأحبها إليه السخاء"، وفى رواية ثلاثمائة وبضع عشر وروي البيهقي والترمذي عن عثمان بن عفان قوله صلى اللّه عليه وسلم "إن للّه تعالى مائة خُلق وسبعة عشر خُلُقاً . من أتاه بِخُلُقٍ منهما دخل الجنة" حديث حسن، ويقول صلّى اللّه عليه وسلم " بينما رجل يمشى فى الطريق إذ اشتد به العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب فخرج منها .. فوجد كلبا يكاد يأكل الثرى من العطش.. فقال لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثلما بلغ بى ..فأتى البئر فنزل فيها فملأ خفه وأمسكه بفيه ورقى فسقى الكلب فشكر اللّه له فغفر له فدخل الجنة " قالوا يارسول اللّه " أئن لنا فى البهائم لأجرا!!. قال فى كل ذات كبد رطبة أجر".

فهذا الرجل قد لامست الرحمة قلبه .. فصار رحيما .. وظهر أثر رحمته على القلب وهى من خُلُقِ اللّه تعالى .. فدخل الجنة لأنه اتصف بصفة من صفات اللّه ذلك أن المجانسة تستدعى المجالسة .. والمجالسة تستدعى المؤانسة .. فافهم هذه الإشارة ..

وأنت لا تفهم صفة من صفات اللّه تعالى إلا إذا أجراها ذوقا على قلبك وإحساساً فى نفسك وليست شرحا بألفاظ وكلام ..

أما صفات التعلق وهى الصفات التى هى مطلوب منك أن تحبها وتقدسها للّه تعالى وأن تتصف بضدها وليس بها، فهى صفات العظمة والكبرياء .. والجلال ... فاللّه تعالى هو المتكبر .. ولا يحب الكبرياء فى عباده.. وهو القاهر ولا يحب من عباده من يقهر خلقه بجبروته.

فإذا اتصف العبد ببعض صفات الجلال والجبروت فإن هذا يكون حجابا بينه وبين اللّه تعالى. ويضله ويعميه. ويقول تعالى عن فرعون فى

سورة النازعات : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾، ويقول تعالى فى الحديث القدسى : "الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار "

والله سبحانه وتعالى قد جعل لك سبيلا إلى معرفة صفاته والاتصاف بها .. وذلك بذكر الله تعالى بأسمائه والاجتهاد فى تدبر معناها، فإن ظل لسانك رطباً يذكر الله تعالى وباسم من أسمائه فإن معانى هذا الاسم تلامس قلبك وروحك مع كثرة ترديده وتكراره .. وتنير تجلياته بصيرتك لانفعال قلبتك بالمعنى، لذلك يقول تعالى فى سورة الإنسان : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾ ويقول فى سورة الأحزاب-٣٥: ﴿ ... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ... ﴾، فكثرة الذكر لها أثر فعال على القلب وكشف حجبه، ذلك أن انشغال القلب مع اللسان بذكر الله وأسمائه وصفاته يقطع عن القلب شواغل الدنيا وشهواتها .. ويتجه القلب إلى الله تعالى خالصا مخلصا، ومن استغرق قلبه فى ذكر الله بالكلية ولم تشغله الأغيار ولا الأنوار عن الله تعالى شاهد وشهد مالا يقال فى بيان ..

واعلم أن النفوس متباينة متغايرة فى صفاتها وقابليتها . فما يصلح لنفس قد لا يصلح لأخرى .. بل إن ما ينفع نفساً قد يضر أخرى ..

لذلك تجد من النفوس ما يكون تهذيبها وصقلها وسعادتها بصفة خاصة لها من صفات الله تعالى، فنفس تصقل وتهذب بالكرم والجود، ونفس صقلها وتهذيبها فى العدل والحق، وأخرى سعادتها فى التعليم والأخذ بيد البسطاء .. وهذا ما قصدناه حين قلنا إنه يجب على كل إنسان أن يعرف ما يناسبه من أعمال الخير وما يستريح إليه أكثر من غيره.

نعم النفس المؤمنة تقبل كل الصفات الطيبة وتقوم بكل الطاعات، ولكنك ترى صنعة خاصة أو عملا خاصا تتجلى فيه قدرات النفس وتجد فيه مفتاح بصيرتها وسر سعادتها .. يقول صلى اللّه عليه وسلم : "اعملوا وكل ميسر لما خلق لَهُ " ويقول تعالى (الإسراء-٨٤) : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ... ﴾

لذلك فقد يكون لتسبيح اللّه تعالى وذكره باسم معين تأثير خاص على نفس معينة .. وقد يقل أو يزيد هذا الأثر على نفس أخرى.. وفى كلٍ خير بلا شك ولكن هذه غير تلك ..، ألا ترى إلى تفاوت الأنفس فى الدنيا حتى فى الصفات الدنيوية .. فنفس تحب الهدوء وأخرى تحب الحركة والضوضاء .. ونفس ميالة على الصمت والعزلة.. وأخرى إلى الاختلاط بالخلق والكلام.. فكذلك تجد باطن النفوس متباينا فى الاستعداد.

ويقال بأن لكل صفة من صفات اللّه تجليات خاصة .. وإن هذه التجليات لابد أن يكون لها قوة .. وجنود .. حيث أنها تؤثر فى القلوب وفى العباد.. وهذه الأجناد مختلفة الصفات .. ألا ترى أن ملائكة العذاب لهم صفات غير ملائكة النعيم !!. فالذاكر باسم معين أو بصفة معينة يتأثر بطريقة ما بهؤلاء الجنود .. واللّه أعلم.

واعلم أن نهاية المخلوقات كلها هو توحيد اللّه تعالى والإيمان به..

فالكافر الذى لم يؤمن فى الدنيا باللّه تعالى سوف يؤمن فى الآخرة يوم البعث والنشور بلا ريب، والسعيد من عرف ربه فى الدنيا .. وذكره وسبحه وأثنى عليه بما هو أهله .. وأنار اللّه بصره وبصيرته فى الدنيا والآخرة .. فإن المؤمن له الأمن والأمان فى الدنيا والآخرة وله نور فى الدنيا يهديه ويهدى به غيره .. وله نور فى الآخرة يسعى به إلى

الجنة .. واللّه تعالى وليه فى الدنيا والآخرة .. وتستغفر له الملائكة .. فلا يحزنه الفزع الأكبر ولا سؤال الملكين فى القبر.. وباختصار فإن المؤمن له ما يشاء عند ربه.

وانظر إلى من أحب اللّه تعالى وأحبه اللّه حيث يقول سيدنا رسول اللّه ﷺ إيذانا لسيدنا بلال بن رباح بإقامة الصلاة " أرحنا بها يا بلال " أرحنا بالصلاة .. افتح لنا باب المناجاة مع من نحب .. لنسجد ونقترب .. من المحبوب .. لنشكره ونسبحه بما هو أهله ..، لذلك يقول صلى اللّه عليه وسلم "وجُعلت قرة عينى فى الصلاة " وكيف لا وهى باب المناجاة مع المحبوب، وانظر إلى قوله صلى اللّه عليه وسلم "من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه" .. فإنما ذلكم هو المشتاق إلى لقاء اللّه والنظر إلى وجهه الكريم فتلك هى صفات المؤمن باللّه تعالى...

اعلم أن للّه تعالى أسماء أخرى غير الأسماء الحسنى وقد قيل إن أسماءه . تعالى تربو على أربعة آلاف اسم .. واللّه أعلم .. أما الأسماء الحسنى التي وردت في حديث أبى هريرة رضى اللّه عنه ورواه الترمذي وابن حبّان والحاكم والبيهقى، فهى:

هو اللّهُ الذى لا إلهَ إلا هُو الرحمنُ * الرَّحِيمُ * المَلِكُ * القُدُّوسُ * السلامُ * المُؤمِنُ * المُهَيمنُ * العَزِيز * الجَبَّار * المُتَكَبِّرُ * الخَالِقُ * البَارِىءُ * المُصَوِّرُ * الغفَّارُ * القَهَّارُ * الوَهَّابُ * الرَزَّاقُ * الفَتَّاحُ * العَلِيمُ * القابِضُ * البَاسِطُ * الخافضُ * الرَّافِعُ * المُعِزُّ * المُذِلُّ * السَمِيعُ * البصيرُ * الحَكَمُ * العَدْلُ * اللَّطِيفُ * الخَبِيرُ * الحَلِيمُ * العَظِيمُ * العَلّىُ * الكَبِيرُ * الغفُورُ * الشَّكُورُ * الحَفِيظُ * المُقِيتُ * الحَسِيبُ * الجَلِيلُ * الكَرِيمُ * الرقِيبُ * المجِيبُ * الوَاسِعُ * الحَكِيمُ * الوَدُودُ *

المَجِيدُ * البَاعِثُ * الشهِيدُ * الحقُّ * الوَكِيلُ * القَوِىُّ * المتينُ * الولىُّ * الحميدُ * المُحصى * المُبدىءُ * المُعيدُ * المُحيى * المُمِيتُ * الحىُّ * القيُّومُ * الواجدُ * الماجدُ * الواحدُ * الأحدُ * الصمَدُ * القادرُ * المُقتَدِرُ * المُقَدِّمُ * المُؤخِّرُ * الأولُ * الآخِرُ * الظاهِرُ * الباطنُ * الوال * المتَعال * البرُّ * التوَّابُ * المُنتقِمُ * العفوُّ * الرؤفُ * مالكُ الملكِ * ذوالجلالِ والإكرام * المُقسِطُ * الجامِعُ * الغنِىُّ * المُغنى * المانعُ * الضارُّ * النّافِعُ * النُّورُ * الهادِى * البديعُ * الباقِى * الوارِثُ * الرشيدُ * الصبورُ ....

واعلم أن ليس فى هذه الأسماء مترادفات ..فلا يوجد اسمان بنفس المعنى، ولكن توجد فروق دقيقة لا يدركها إلا أهل الخصوص ..

فالرحيم غير الرحمن.. فالرحيم كثير الرحمة .. أما الرحمن فعام الرحمة خفيها وظاهرها، والفرق واضح ..

والغفور كثير مغفرة الذنوب وإن تكررتْ من العبد نفس الذنوب . أما الغفار فهو كثير مغفرة الذنوب على تنوعها وتكرارها سواء كانت هى نفس الذنوب أو غيرها وهكذا.

* * *

موجز الباب الرابع

فإذا أردنا تلخيص ما سبق عرضه فى هذا الباب نقول :

● الإيمان الحق هو صدق العبودية للّه تعالى والتسليم له مع صدق العمل لنيل رضاه.

● النفس كالمرآة إن لم تصقلها وتوجهها إلى اللّه تعالى فلن تعرف حقيقة الإيمان.

● الحجب النفسية الشهوانية هى الحجاب بين العبد وربه لبعد المماثلة.

● أسماء اللّه تعالى هى الدالة على صفاته .. والصفات لها تجليات والتجليات لها أنوار وأسرار والعبد دائما بين تجليات اللّه عليه و تجليات اللّه إليه من حوله.

● النفس هى التى تصور القضاء مصيبة أو غيرها.

● صفات اللّه تعالى منها قسم للتخلق ومنها قسم للتعلق.

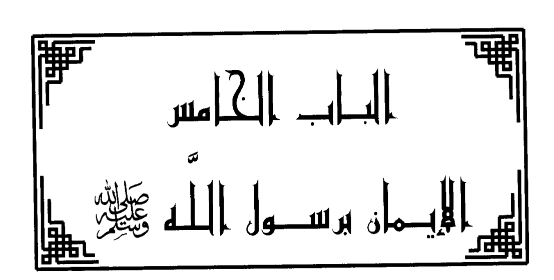
● لكل نفس ما يناسبها من الأسماء والصفات.

* * *

اللّهم إنك لا تُخلي أكوانك من ذكر لك حق .. وآية لك بينة.. سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .. سبحانك مهما سبحك المسبحون .. وذكرك الذاكرون .. فما سبحوك حق تسبيحك ولا ذكروك حق ذكرك .. ولكن بتفضلك جعلت قلوب عبادك خزائن فضلك وودائع فيوضاتك .. اللّهم فزدنا بك علما وإليك اهتداء.. وفيك فناء .. وبك بقاء .. وهب مسيئنا لمحسننا .. وهبنا جميعا لوجهك الكريم وصل اللّهم على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *





الباب الخامس

الإيمان برسول الله ﷺ



ما أكثر من كتبوا عن رسول اللّه ﷺ.. وما أقل من عَرَّفُوه لنا!! كتبوا عن صفاته.. وخلقه.. وأدبه.. وسيرته.. وغزواته.. وأفعاله.. وأقواله.. ولم يكتبوا عن قلبه وروحه ﷺ إلا أقل القليل!!! كتبوا عن رسول اللّه ﷺ كقائد عسكرى.. ومصلح اجتماعى.. رئيس دولة.. وزوج مثالى ومعلم فَذّ.. وأخيراً تمخضوا فقالوا إنه عبقرى فَذّ وجلسوا يشرحون عبقريته !!! ونسوا أو لم يدركوا أنه قبل كل ذلك وبعده هو نبى.. بل سيد الأنبياء والمرسلين روحه معلقة بالسماء.. وقلبه مشغول بربه هو مهبط الوحى.. ومركز التجليات وكنز الأنوار والأسرار.. ومنبع الهدى والإيمان.. فأية عبقرية يتحدثون عنها وعقلهﷺموصول بحبل إلى السماء نوماً ويقظة !!!

إن المتحدث عن سيرة رسول اللّهﷺيجب ألا يغفل لحظة واحدة عن أنه إنما يتحدث عن نبى مرسل.،، اصطفاه اللّه تعالى وشرح صدره.. ورباه.. وأدبه وعلمه.. وأيده.. واتخذه حبيباً..

ومن الذى يستطيع أن يكتب عن نبوة رسول اللّهﷺ!!! وأنىّ للحدادين ونافخى الكير أن يتحدثوا عن الملوك ؟!

نسأل اللّه تعالى أن يعصمنا من الزلل ونحن نتجاسر ونتحدث فى هذا الأمر ونسأله تعالى زيادة فى علمنا.. وفتحا فى قلوبنا.. وعفوا عن جهلنا حتى لا نفرط ولا نقصر...

لقد اصطفى اللّه تعالى الأنبياء والرسل من البشر كافة.. وجعلهم مصابيح الهدى والنور.. حيث اختصهم جل شأنه برسالاته وبكلامه.. وعصم نفوسهم من كل شر قبل البعثة وبعدها.. فلا نصيب فيها لهوى أو شيطان.. وجعلهم خزائن علمه.. وينابيع رحمته.. فهم خير البرية على الإطلاق عليهم صلوات اللّه وسلامه وتحياته وبركاته أجمعين..

ومن هؤلاء الأخيار المختارين..اصطفى اللّه تعالى محمدا ﷺ وبشَّر به آدم وإبراهيم وموسى وعيسى.. وأدبَّه وعلَّمه.. وشرح له صدره..

ووضع عنه وزره.. ورفع له ذكره.. وقرن اسمه تعالى باسمه فى كل وقت صلاة وإقامة.. وفى كل تشهد لصلاة.. إلى يوم الدين.. وأمر المؤمنين بالصلاة عليه كما يُصلي هو وملائكته عليه فقال فى سورة الأحزاب :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾.

وقال له :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأنبياء).

وطمأنه وبشَّرَهُ وقال له:﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾ (الطور-٤٨)، ومدحه بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم)،.. وجعله إماما لجميع الأنبياء والمرسلين.

اختار اللّه له أنقى النُطَف.. وأطهر الأرحام.. وأنشأه يتيماً بلا والد يرعاه ولا والدة تحنو عليه. لتكون التربية كلها والتأديب كله من اللّه تعالى.. وجعله أميا لا يقرأ ولا يكتب ليعلمه اللّه تعالى بعلمه علوم الأولين والآخرين.. وشرح له صدره.. وأظلَّهُ من حر مكة بالغمام.. وأنزل عليه وحيه وكتابه.. وجاهد فى سبيل اللّه حق الجهاد وعندما اشتد أذى المشركين له ولمن آمن معه قبض اللّه السيدة خديجة رضى اللّه عنها إليه وهى التى كانت تؤازره وتواسيه.. ومات عمه أبو طالب وهو الذى كان يناصره ويحميه حتى لا ينتصر رسول اللّه ﷺ بعشيرته.. ولا يأتنس بغير اللّه تعالى.. حتى عمُّه أبو لهب الشديد البأس كان من ألد خصومه.. فما نصره إلا اللّه.. وما أيده إلا رب العزة والجلال.. يناجى ربه العزيز به الحبيب إليه وقد دميت قدماه من قذف المشركين الحجارة عليه وهو بالطائف داعيا إلى اللّه.. ويقول فى نجواه" اللّهم إني إليك أشكو ضعف قوتى.. وقلة حيلتى.. وهوانى على الناس.. يا أرحم الراحمين أنت

رب المستضعفين وأنت ربِّى.. إلى من تكلنى!! إلى عَدُوٍّ يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى.. إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى.. ولكن عافيتك أوسع لى.. أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض وأشرقت له الظلمات. وصلُحَ عليه أمر الدنيا والآخرة.. أن ينزل بى غضبك.. أو يحِلّ علىّ سخَطُك لك العتبى حتى ترضى.. ولا حول ولا قوة إلا بك.."

فتهتـز ملائكـة الأرض والـسموات وتـضرع إلى اللّـه تعـالى أن ينـصر عبـده، وينـزل ملـك الجبـال بجبروتـه وبطـشه ويطلـب الإذن مـن رسول اللّه ﷺ بأن يطبق جبال مكة على من فيها من المشركين.. فلا يزيد قول رسول اللّه ﷺ عن " اللّهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون.." !! أىُّ رحمة وضعها اللّه تعالى فى قلب هذا النبى العظيم !!!

ويسرى به اللّه تبارك وتعالى إلى بيت المقدس.. فيصطف الأنبياء لاستقباله فيصلى بهم إماما وهم خلفه.. آدم وإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وسليمان ويونس وجميع الأنبياء.. هو إمامهم كلهم.. ويجتبيه اللّه تعالى بالمعراج إليه فيرحب به أهل كل سماء ويحتفون بمقدمِهِ عليهم.. ثم يتأخر سيدنا جبريل عليه السلام أمين وحى اللّه.. ويقول تقدم يا محمد.. فما منا إلا له مقام معلوم. فيتأخر جبريل.. ويتقدم محمد!! فيغيب فى الأنوار الإلاهية ويناجى ربه : التحيات للّه.. والصلوات والطيبات للّه. فيرد عليه رب العزة والجلال رب الملك والملكوت : السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته... فلا ينسى رسول اللّه ﷺ وهو فى هذه الحضرة العلوية أحبابه فيقول : السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين.. ويريه اللّه تعالى الكبرى من آياته. فيمجد ربه تعالى بخير كلام يقال ويقر بعبوديته للّه تعالى وهو فى هذا التشريف اللانهائى فيقول : أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ونبيه ورسوله..

ويكون ما قد كان.. ثم يشرع اللّه تعالى لحبيبه الصلاة لتكون فيها قرة عين له وللمؤمنين معه.. فهي مناجاة كل يوم وليلة لرب العزة والجلال... ويعود فيقابله سيدنا موسى عليه السلام فيرى الأنوار والأسرار تشعّ من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو حديث عهد بالمناجاة العلية.. والحضرة السنية.. فيتملى منه مَلياً.. ويستوقفه متمليا من الأنوار القدسية ويطيل معه الحديث عسى أن ينال من نوره.. ويقول له ارجع إلى ربك يا محمد. ارجع لتزداد نورا وإشراقا وسل ربك التخفيف، ويعود الرسول ﷺ إلى ربه ليشرق على قلبه مزيد من الأنوار والأسرار ويرجع فيستقبله موسى وقد ازداد نوره فيستوقفه ويتملى منه ويقول له ارجع إلى ربك فسله التخفيف.. إرجع يا محمد لتعود إلينا بما لا نحظى به إلاّ منك.. ومالا نراه إلا بك حتى يقول رسول اللّه ﷺ..استحييت من ربي..

ويهاجر ﷺ من مكة.. من أحب البقاع إلى اللّه وإليه، إلى المدينة المنورة.. مستخفيا عن عيون المشركين وهو يعلم علم اليقين أن اللّه ناصره و مؤيده.. و ينزل في الغار.. مطمئنا أبا بكر رضي اللّه عنه : لا تحزن إن اللّه معنا.. و يتفل على قدم أبي بكر وقد لدغه ثعبان فيشفى من فوره بترياق رسول اللّه ﷺ و يأتي الحمام.. ويأتي العنكبوت تريد أن تنال بركة القرب من رسول اللّه.. فيبيض الحمام في الغار.. وينسج العنكبوت خيوطه على باب الغار.. ثم يلحقه سُراقة بن مالك وقد أغرته مكافأة قريش التي رصدتها لمن يأتي بمحمد.. فيشير رسول اللّه ﷺ إلى فرس سُراقة.. فتسيخ قوائم الفرس في حجارة الجبل الصماء.. ويطلب سُراقة الأمان من رسول اللّه فيؤمّنه ثم يبشره الرسول ﷺ.. ارجع يا سُراقة ولك سوار كسرى !! مستخف من المشركين وهو يعلم أن ملك كسرى سوف يؤول إلى العرب المسلمين !!!

ويحلّ بالمدينة المنورة بالهدى والنور.. حتى الحرائر أشرفت من

فوق الأسطح ترحب وتغنى طلع البدر علينا.. وتتملى من نور رسول الله ﷺ ويتبارى القوم كل يمسك بخطام ناقته ليحلّ رسول الله ضيفا عليه فيقول لهم اتركوها فإنها مأمورة !!! ويبنى المسجد. وتشع المدينة المنورة بنور الإيمان.. ويجاهد المشركين والمنافقين.. وهو يعلم المنافقين.. ويدعو لهم.. ويرحمهم مع أذيتهم له ولأهل بيته وللمسلمين.. ويخيرّ الله نبيه بين أن يكون نبيا ملكا. أو أن يكون نبيا عبدا، فيختار ﷺ أن يكون نبيا عبدا.. يأكل يوما ويجوع يوما.. فيطلع الهلال ومن ورائه الهلال.. ومن ورائه الهلال ولا توقد فى بيت رسول الله نار !!! سريره إدم (جلد) حشوه ليف.. ينام فيؤثر الحصير فى جنبه ﷺ وتتوالى المعجزات.. يتفجر الماء من بين أصابعه الشريفة.. فيسقى الجيش كله.. ويرد عين سيدنا قتادة وقد سالت على خده إلى موضعها فتكون أحسن عينيه حتى يوم موته.. ويتفل على ساق ابن الحكم المكسورة يوم بدر فتصِحُّ لحينها.. ويتفِلُ فى عين سيدنا على الرمداء فتشفى لوقتها.. ويطعم من مُدَّى شعير أكثر من ثمانين رجلا.. ويسقى من كوب لبن كل أهل الصفة وهم قرابة السبعين ويتفل فى البئر المالحة مياهها فتصير عذبة سلسبيلا.. ويقع المخيط من يد السيدة عائشة بالليل فتلقطه على نور وجه رسول الله ﷺ وترى أم سليم العرق يتصبب من جبين رسول الله وهو نائم فتهم إلى قارورة تجمع فيها عرقه المبارك وريحه أطيب من ريح المسك.. ولا تمس طيبا ولا عودا ولا ندا ولا تتطيب إلا بهذا العرق الشريف وريحه لا يضاهيه أى مسك.. ويكلّم الضبّ.. والجمل.. والذئب.. وتشهد له الشجرة بالرسالة.. ويبكى الجذع الذى كان يستند إليه فى خطبه بمسجده الشريف عندما وقف على المنبر وترك الجذع.. وسمع له أنين ولم يهدأ إلا بعد أن ضمه الرسول ﷺ إلى صدره.. وتسابقت إليه النوق بأعناقها يوم النحر فى حجة الوداع لتتشرف بنحرها بيده الكريمة.. وخطب فى منى خطبة

سمعها كل المسلمين فى خيامهم فى منى.. وينصر بالرعب مسيرة شهر.. وتسخر له الريح وتؤمن له الجن..

وعندما يدخل مكة فاتحا هازما للشرك والمشركين.. يدخل على ناقته مطأطئا رأسه الشريفة حتى لتكاد تمس سنام ناقته.. ساجدا للّه شاكرا متواضعا.. فيحطم الأصنام.. ويعفو عمن آذوه وحاربوه ويدخل على أم هانىء جائعا سائلا هل من طعام فتقول إنْ عندى إلا كِسَرٌ يابسات !! فيقول هَلْ مِنْ إدام فتقول ما عندى إلا الخل.. فيقول هَلُمِّى.. ويأكل الخبز الجاف بالخل ويقول نعم الأدْمُ الخل.. كِسَرٌ يابسات.. وخل.. للقائد المنتصر.. لحبيب اللّه تعالى وصفيه وخير خلقه!!!

وعندما يحين الأجل وينتقل إلى الرفيق الأعلى.. يكشف أبو بكر عن وجهه الشريف ويقبله باكيا وريح المسك تنتشر منهﷺ ويقول: بأبى أنت وأمى يا رسول اللّه.. طبت حيا وطبت ميتا.. ويبكى أبو بكر.. ويبكى عمر.. وتبكى فاطمة.. وتبكى أمهات المؤمنين.. وتبكى الصحابة.. ويبكى المؤمنون.. وتبكى المدينة كلها.. وتبكى الأرض.. وتبكى السماء.. ويبكى بلال ولا يستطيع الآذان..ويهاجر إلى الشام سنة كاملة.. وعندما عاد رأى رسول اللّه ﷺ فى الرؤيا يقول له عام لم تزرنا فيه يا بلال!!! ويلح الصحابة على بلال أن يؤذن.. فيؤذن بلال رضى اللّه عنه.. فلا يبقى فى المدينة كلها رجل ولا امرأة ولا صبى إلا بكى حنينا إلى رسول اللّه ﷺ.

صلى اللّه عليك وسلم وبارك يا سيدى يا رسول اللّه..ﷺ وبارك عليك وعلى آلك وصحبك بكل ما أنت أهله يا حبيب اللّه.. أشهد ألا إله إلا اللّه وأنك عبده ونبيه ورسوله.. أشهد أنك قد أديت الأمانة.. وبلَّغتَ الرسالة وجاهدت فى سبيل اللّه حق جهاده.. وتركتنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.. لا يزيغ عنها إلا هالك.. فجزاك اللّه عنا

وعن الإسلام والمسلمين خير ما جازى نبيا عن قومه..

سماه ربى محمدا.. وأحْمَد.. وهو محمد الأخلاق.. وأحمد الشمائل والله تعالى هو المحمود فى الأرض والسماوات.. لم يخاطبه فى قرآنه باسمه مجردا وما خاطبه إلا بـ " يأيها النبى.. يأيها الرسول.. يأيها المزمل.. يأيها المدثر.." وما خاطب أنبياءه السابقين على اختلاف درجاتهم إلا بأسمائهم مجردة. وتأمل فى آيات الله التالية :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب:٤٥و٤٦)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (المائدة-٦٧)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ (التحريم-٩)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ ﴾ (الأنفال-٧٠)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾....(المزمل-١)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ المدثر-١و٢)

وعندما عاتبه ربه تعالى قدم العفو على العتاب فقال:

﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ (التوبة-٤٣)

وقال سبحانه﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (البقرة-٣٥)

﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ ﴾ (هود-٤٨)

﴿ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾ (الصافات١٠٤و١٠٥)

﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾
(الأعراف-١٤٤)

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (ص-٢٦)

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾ مريم-٧)

﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ﴾ (مريم-١٢)

﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾....(آل عمران-٥٥)

فهكذا كان خطاب اللّه تعالى لأنبيائه.. وخطابه لخاتم أنبيائه.. حتى معجزات أنبيائه ورسله السابقين أكرم اللّه بها رسوله بصورة أو بأخرى.

ورد فى صحيح مسلم أن أم سليم (أم أنس بن مالك) وكان رسول اللّه ﷺ يقيل عندها (أى ينام وقت القيلولة فى منتصف النهار)، فنظرت فرأت العَرَقَ يتصبب من جبينه الشريف فجاءت بقارورة وجعلت تجمع عرقه المبارك، فانتبه ﷺ، وسألها عما تفعل، فقالت أجمع عرقك فأتطيب به يارسول الله فأقرَّها ﷺ، وكانت رائحة عرقه الشريف أطيب من ريح أطيب مسْك.

وكان من يصافحه ﷺ تعلق بكفه من ريح رسول اللّه ﷺ مالا يضيع بغسيل ولا غيره لأيامٍ وليالٍ.

وروى البيهقى عن عائشة رضى اللّه عنها قالت : كان رسول اللّه ﷺ يخصف نعله وكنت جالسة أغزل، فنظرت إليه، فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولّدُ نورا قالت فبُهتُّ، فنظر إلىّ فقال : مالك بُهتِّ، فقلت: يارسول اللّه نظرتُ إليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقُك يتولّدُ نورا،

ولو رآك أبوكبير الهذليّ لعلم أنك أحقُّ بشعره. قال : وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذليّ ؟؟ فقلت يقول :

وإذا نظرت إلى أسِرَّة وجهه ∴ برقت كبرق العارض المتهلل.[1]

قالت : فوضع رسول اللّه ما كان بيده، وقام إليّ وقبّل ما بين عَيْنيَّ وقال: جزاك اللّه خيرا يا عائشة، ما سُرِرْت منى كسروري منك وقد ذكرها أبو حامد الغزالى فى الجزء الثالث من كتابه الإحياء.

وقد روى البيهقى حديث كلام الضبّ (وهو حيوان من فصيلة السحالى يعيش فى الصحارى) لرسول اللّه ﷺ، وروى البخارى تفجُر الماء من بين أصابعه الشريفة حين وضعها فى ركوة ماء صغيرة يوم الحديبية حتى سقى منها ألفا وخمسمائة من الصحابة، كما روى البيهقى والبخارى وأحمد واقعة انشقاق القمر له ﷺ وكان كل شطر منه على جبل فى مكة.

وقد جمعت كتب السيرة كثيرا من هذه المعجزات للنبى ﷺ وكثيرا من الكرامات لأصحابه عليهم رضوان اللّه تعالى، وذكر ابن كثير فى موسوعته "البداية والنهاية" الجزء السادس حديث الذئب للرسولﷺ، وتكثير الطعام فى وقعة الخندق والحديث مع جبل أحد، وحديث الذراع المسمومة لهﷺ، وحديث الطفل المصروع الذى شفاه اللّه ببركة رسوله ﷺ وخرج من فم الطفل مثل الجرو الأسود.

وأكبر وأعظم معجزاته ﷺ هو القرآن الكريم.. بأنواره وأسراره وحكمته.. فهو كلام اللّه للذكر والصلاة.. وهو آيات اللّه للتدبر والتأمل.. وهو كتاب اللّه الشامل على أنواره وأسراره.. تستجلى من آياته معانٍ ومعان لا نهاية لها.. كل على قدر ما وهبه اللّه فعندما نزلت:

(١) كتاب شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٠٧٤

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ (المائدة-٣)

استبشر الصحابة وعلى رأسهم عمر بن الخطاب بنعمة اللّه تعالى ورضاه وكان اليوم عندهم عيدا لهذه البشرى أما أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه.. فقد بكى.. فلما عجب الصحابة من بكائه فى هذا الفرح المبشر به من اللّه تعالى وسأله رسول اللّه ﷺ ما يبكيك يا أبا بكر!!؟. قال رضى اللّه عنه إن هذه الآية تنعيك فينا يا رسول اللّه!!!

فانظر إلى إدراك أبى بكر وكيف فهم أن كمال الدين يستتبعه انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى.. فقد تمت الرسالة.. وكلا المعنيين صحيح .. فبشرى الصحابة حق.. وبكاء أبى بكر حق.. والآية واحدة !! فكتاب اللّه أسراره لا تنتهى.. ومعانيه لا تفنى..

وإن كان اللّه تعالى قد علّم آدم الأسماء كلها فقد أنزل القرآن على محمد وقال له (النساء-١١٣) : ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ﴾

وقال له :﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه-١١٤)... وهل تُردُّ دعوة رسول اللّه ﷺ إلى ربه !!؟

واللّه تعالى قد أحيا الطير والموتى لسيدنا إبراهيم وسيدنا عيسى عليهما السلام.. وقد كلّمت الشاة المسمومة المطهية رسول اللّه ﷺ وقال عليه الصلاة والسلام" إن هذه الشاة لتنبئنى أنها مسمومة"..

وفجر اللّه تعالى لموسى الصخر فانفجرت اثنتا عشرة عينا لسقيا بنى إسرائيل. وتفجر الماء من بين أصابعه الشريفة ﷺ فى يوم الحديبية حتى شرب القوم كلهم وقضوا أربهم وكانوا أكثر من ألف وبضع مئات.

وألان اللّه الحديد لسيدنا داود وسبح الحصى فى كف محمد ﷺ..

وعلّم سليمان لغة الطير والنمل..

وعلّم محمدا لغة الجماد والوحوش والحيوان.. فكلّم جبل أحد وكلّم الناقة.. وكلّم الضب.. وكلّم الذئب..وكلّم الشجرة..

وأخرج اللّه الناقة لصالح وقومه... وانشق له القمر في مكة فكان كل نصف منه على جبل.. وأخّر اللّه مغيب الشمس صبيحة ليلة الإسراء حتى وصلت القافلة التي رآهاﷺ في الطريق إلى مكة فأخبر بأنها سوف تصل قبل المغيب..

وعندما كسر سيف عكاشة بن مُحصن في غزوة بدر ناولهﷺ عرجون نخل (جريدة) فصارت سيفا باترا وسماه"العون" وظل يحارب به طول عمره.

وشرب أهل الصفة وهم أكثر من سبعين رجلا من إناء واحد من اللبن ثم شرب أبو هريرة وشرب رسول اللّهﷺ.. والإناء كما هو..

وأكل المهاجرون يوم الخندق من مُدَّى شعير في كفهﷺ وهم أكثر من ثلاثمائة..

ورجمت الشياطين التي كانت تسترق السمع في السموات بالشهب عند بعثته فلم تعد تقعد منها مقاعد للسمع...

وأوتي من الجمال ﷺ فوق جمال يوسف.. وكلل بالمهابة والجلال فلم يفتن به أحد..

وكان ﷺ يرى من خلفه كما كان يرى من أمامه ويقول لأصحابه استقيموا في الصلاة فإني أراكم من خلفي..

وكان ﷺ يسمع عذاب أهل القبور وينبئ عن حالهم ويستغفر لهم ويطلب لهم الرحمة..

والآثار كثيرة ومن أراد الاستزادة ففى المراجع الكثير والكثير لمن أراد المعرفة والاستزادة..

يقول ﷺ " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأوّل شافعٍ وأوّلُ مشفَّعٍ" رواه مسلم، ويقول" كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم ولا فخر" رواه الترمذى وأحمد، وقال ﷺ " إن الجنة حُرِّمَت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم كلها حتى تدخلها أمتي" رواه الدار قطني.

وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب أن رسول اللّه ﷺ قال"لا تُطْرُونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد اللّه فقولوا عبد اللّه ورسوله"، فالإطراء الممنوع هو ما شابه إطراء النصارى حيث رفعوا المسيح إلى الألوهية فقالوا هو إله وهو ابن اللّه، وهذا هو الذى يحذرنا منه رسول اللّه ﷺ، وأما إذا قلنا عبد اللّه ورسوله اختاره واصطفاه وكرّمه واختصّه بما لم يختصّ به أحدا من خلقه سواه ﷺ، فنحن لم نتعدَّ الحد الشرعي المسموح لنا، فلا تحسبن أننا قد تجاوزنا الحدود فى مدح رسول اللّهﷺ بل إننا لم نذكر إلاّ اقل القليل.. ولم يتعدّ كلامنا إلا ما قالهﷺ ألا وهو أنه سيد البشر .. وسيد الرسل.. وسيد الخلق أجمعين..

يروى الدارمى عن جابر قوله ﷺ " أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبين ولا فخر، وأنا أول شافع ومشفع ولا فخر" حديث حسن، ويروى الطبرانى عن ابن عباس قوله ﷺ:" كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد"[1] حديث صحيح، وروى الحاكم فى مسند له عن أبى هريرة

(١) جاء فى"كنز العمال الإصدار ١,٤٣ – للمتقي الهندي" :
٣١٩١٧-"كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد". (أخرجه الترمذي كتاب المناقب باب فضل النبي=
=صلى الله عليه وسلم رقم (٣٦٠٩)، وقال: حسن صحيح غريب
وجاء فى مجمع الزوائد. الإصدار ٢,٠٥ – للحافظ الهيثمي

قوله ﷺ" إنما أنا رحمةٌ مهداة" حديث صحيح.

هو ﷺ من البشر.. ولكنه فوق البشر بما ميزه اللّه تعالى وأكرمه به من خصوصيات...

ولا تعجب ولا يضيق أفقك وإدراكك بعقلك المحدود كما يفعل جُهال العلماء.. الذين نقلوا العلم ميتا عن ميت وظنوا أنهم بما نقلوه قد صاروا أعلم العلماء فيقولون لا تسرفوا فى مدح رسول اللّه حتى لا يفتن الناس به.

فهل علموا هم قدره الحقيقى حتى يعرفوا حد الإسراف وحد التجاوز غير المحمود فى مدحه ﷺ.

ومتى افتتن الناس برسول اللّه ﷺ منذ ألف سنة ونصف ألف قبل أن يولد هؤلاء العلماء وأمثالهم !! ما سمعنا على اتساع الرقعة الإسلامية وانتشار الجهل بين المسلمين وتخلفهم العقلانى والإيمانى هذه الأيام وقبلها.. ما سمعنا بمن رفع رسول اللّه ﷺ عن مرتبة البشر.. ولا قال إنه إله ولا رب كما قال غير المسلمين فى أنبيائهم..

١٣٨٤٨- وعن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبياً؟ قال:"وآدم بين الروح والجسد".رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح.

كما جاء فى مستدرك الحاكم ، الإصدار ٢,٠٢

٤٢٠٩ / ٢١٩ - حدثنا أبو النضر الفقيه، وأحمد بن محمد بن سلمة العنزي قالا:حدثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن سنان العوفي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفخر قال:قلت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: متى كنت نبيا؟قال: (وآدم بين الروح والجسد).هذا حديث صحيح الإسناد، و لم يخرجاه.

أخرجه أحمد والبخاري في تاريخه والبغوي وابن السكن وأبو نعيم في الحلية وصححه الحاكم بلفظ كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.وفي الترمذي وغيره عن أبي هريرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت أو كتبت نبيا؟ قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد.وقال الترمذي حسن صحيح، وصححه الحاكم أيضا. وفي لفظ وآدم منجدل في طينته.وفي صحيحي ابن حبان والحاكم عن العرباض بن سارية مرفوعا إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته،وكذا أخرجه أحمد والدارمي وأبو نعيم، ورواه الطبراني عن ابن عباس قال قيل يا رسول الله متى كنت نبيا؟ قال وآدم بين الروح والجسد، ثم قال السخاوي كغيره

الدين محفوظ من اللّه.. وكتابه محفوظ من عنده.. وشريعته محفوظة بجنوده.. فعلى قدر ما مدح المؤمنون رسولهم.. وتفننوا فى الصلاة عليه.. وكتبوا عنه وعن سيرته.. فلم يعبده أحد.. ولم يؤلهه مسلم..

وهؤلاء الداعون إلى الاقتصاد فى مدح رسول اللّه ﷺ إنما دعاهم إلى ذلك جهلهم برسولهم.. وضيق أفقهم فى الإحاطة بقدره ﷺ.. وخوفهم من وَهْمٍ فى أنفسهم هم.. وزعمهم فى أنفسهم أنهم يحفظون على الناس إيمانهم.. واللّه تعالى يقول فى سورة البقرة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

فاللّه هو الحافظ لإيمان المسلمين.. وما دمنا نقول إن محمدا بشر.. يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق.. فأى خوف يتوهمونه.

فرسول اللّه ﷺ من البشر.. بشرى الخلقة والصورة والجسد ما فى ذلك شك. أما إكرام اللّه تعالى له فلا شك أيضا أنه فوق المدارك والعقول.

ويؤكد اللّه تعالى هذا المعنى فى كتابه الكريم.. ويمهد لانتقال رسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى واللّه تعالى أعلم بشدة هذا الأمر على نفوس المؤمنين فيمهد لهم ليثبتهم فى هذا الموقف الجلل فيقول فى سورة آل عمران-١٤٤ ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ﴾، ويقول فى سورة الزمر :﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

وعندما يطالب كفار مكة رسول اللّه بالمعجزات والخوارق يذكرهم اللّه تعالى بأنه بشر مثلهم. يوحى إليه.. يقول فى سورة الإسراء: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ

لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

ويقـول فى سورة فصلت-٦: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ **فرسول الله ﷺ بَشَرٌ أكرمهُ الله تعالى بالنبوة والرسالة.**

والحكمة من بشريته ﷺ وبشرية الأنبياء كافة والرسل هى أن يكونوا قدوة للبشر وأسوة حسنة لهم.. فلو كان الرسول مَلكاً من السماء لاعتذر الناس عن متابعته والتأسى به بأنه مَلَكٌ وهم بشر.. لذلك يقول الله تعالى فى سورة الأنعام: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ ﴾ **ويقول فى سورة الإسراء:** ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ ﴾

فسنة الله تعالى فى الأنبياء والرسل هى أن يكونوا من البشر ويرسل إليهم وحيا من لدنه، فالبشرية فى رسول اللهﷺ ضرورية حتى يأتنس به الناس ويأتنس بهم ويكون لهم مثالا حياً أمامهم وقدوة يحتذى بها قولا وعملا وفعلا..

وأنت لك من بشرية رسول الله ﷺ ظاهرها من أعمال.. وخلق.. وآداب ولك من البشرية ظاهر العبادات والطاعات.. فتعلم كيف تصلى

وكيف تصوم وكيف تزكى إلى آخر مظاهر الإسلام الأخرى أدبا وخلقا..

هذا هو ما تتعلمه من القالب البشرى للرسول.. وهو خير وبركة لمن تعلم منه واتبعه ولكن هل هذا هو كل حظك من رسول الله ﷺ!!!

إذا ما أهون ما أخذت.. من أعظم نعمة أنعم الله بها عليك !!! ولو كان هذا هو المطلوب فقط لما أكد الله وأكد رسوله على ضرورة حب رسول الله ﷺ حتى يكون أحب إليك من نفسك التى بين جنبيك.. ولما أمرك الله تعالى بالصلاة عليه دائما أبداً.. فأى صلة بين أن تنفذ الأوامر وتتبع التعليمات حتى ولو كانت مكتوبة فى كتاب ويعلّمك إياها أى شخص أو أى كتاب أو كاتب وبين أن تحب هذا الشخص أو هذا الكاتب وتنزله منزلة أعلى من نفسك !!!

يروى البخاري عن أنس رضى الله عنه قوله ﷺ" لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين"

و يروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قوله" ما اختلط حبى بقلب عبد إلا حرم الله جسده علي النار" حديث صحيح.

لابد أن هناك فى الأمر سراً آخر غير ظاهر وغير بشرية رسول الله ﷺ.

• حظك من نبوة ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم

سبق لنا القول عندما تحدثنا عن عوالم الغيب.. وقوى النفس.. وخلافة البشر فى الأرض أن قلنا باختصار أن أحسن تقويم هو الصورة الروحية المكرمة بعلم الله تعالى للنفس البشرية.. وأن النفوس درجات فى المعارف والإدراك.. وأن الله تعالى اختار صفوة خلقه وجعلهم أنبياءه ورسله.. وطهرهم وزكاهم وعلمهم.. وأوحى إليهم بخاصية خاصة فى أرواحهم تميزوا بها عن سائر البشر... فنفوسهم وأرواحهم ليست كنفوسنا

وأرواحنا.. بل اللّه تعالى حفظها وطهرها وزكاها وعلّمها وجعلها خزائن أنواره.. ومعادن أسراره.. فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين !!. ألا تكون نفسه هى النفس الأقدس. وروحه هى الروح الأعلى.. وقلبه هو القلب الأعظم وعقله هو العقل الأتم الأكمل !!!.

ولابد أن يكون ﷺ هو أعرف خلق اللّه باللّه وأشد خلق اللّه خشية للّه.. وأعظم خلق اللّه حبا للّه.. وأعلى خلق اللّه إيمانا باللّه.. إذ هو ﷺ متصف بأعلى ما أوتى الأنبياء من كمالات وأرقى ما خلع على الأولين والآخرين من صفات، إذ هو العبد الكامل المؤهل للتلقى الأكمل المناسب للرسالة الخاتمة.

ويقول ابن عابدين عميد الفقه الحنفى فى حاشيته أن نوم الأنبياء غير ناقض لوضوئهم عليهم صلوات اللّه وسلامه.

فهذه هى الخصوصيات التى تميزت بها الرسل عن البشر.. وتميز بها محمد ﷺ عن الأنبياء.. فهو أعظمهم إيمانا.. وأكثرهم علما باللّه.. وأعلاهم يقينا.. فإن كان اللّه تعالى قد أحسن خلْقَهُ وخُلُقه.. وأدّبه فأحسن أدبه.. فإن اللّه تعالى قد جعل قلبه وروحه كنز الأسرار الإلاهية.. ومركز التجليات النورانية.. ليلا ونهارا، يوحى إليه وهو نائم ويوحى إليه وهو يقظان.. لا فرق بين نوم ويقظة ولا بين حال وحال، دائم الترقى مع اللّه.. ودائم الاستزادة من أنواره فاللّه تعالى لا تنتهى أسراره ولا تنفد خزائن علمه.. ورسول اللّهﷺ يستمد من هذه الأنوار والأسرار.

وإذا كان إيمان أبى بكر يرجح ويزيد عن إيمان الأمة الإسلامية كما ذكر البيهقى عن ابن عمر عن رسول اللّهﷺ فكيف بإيمان رسول اللّهﷺ، وبماذا يوزن !!! فافهم...

وإذا كان سيدنا إبراهيم عليه السلام أمة قانتا للّه..﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ

كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ فكيف يكون إمامه محمد ﷺ!!!

فعظمة رسول اللّه ﷺ.. وفضله على سائر الأنبياء والبشر أجمعين ليس فى خلقه وتعاليمه وطاعته للّه فقط بل الأعظم من ذلك والأهم هو عظمة روحه.. وأنوار قلبه... وقدسية نفسه...

فإن كان لك من تعاليم رسول اللّهﷺ نصيب بإسلامك.. فتصلى كما كان يصلى.. وتصوم كما كان يصوم.. وتتمثل بمظاهر الإسلام كما علمها لك رسول اللّه ﷺ.. فأين أنت من إيمانه.. ويقينه.. ونور قلبه.. وقدسية روحه، وإذا كان لك نصيب من ظاهر النبوة فى رسول اللّه.. فأين نصيبك من باطن النبوة وأسرارها.

لعلك أدركت الآن أن كل ما أنت فيه من مظاهر الإسلام من طاعات وعبادات بدنية ظاهرة عليك هو من إسلام رسول اللّهﷺ وتعليماته وأوامره.. وكذلك كل ما يسرى فيك من نور الإيمان.. وكل ما فيك من يقين باطنى.. إنما هو يسرى فيك من إيمان رسول اللّه... ويقينه باللّه.. وأنواره وأسراره.. فإسلامك مستمد من إسلامه.. وإيمانك مستمد من إيمانه.. وبهذا يكون لك حظ من بشرية رسول اللّه.. ويكون لك حظ من نبوة رسول اللّه.. وظاهرك فيه من إسلامه.. وباطنك فيه من إيمانه.. تأخذ من هذا على قدرك.. وتأخذ من هذا على قدرك..

وحذار أن تفهم من قولنا هذا أن رسول اللّه ﷺ هو الذى يهدى الناس وهو الذى يجعلهم يؤمنون. فإن الهدى هدى اللّه. واللّه تعالى يقول فى سورة القصص-٥٦:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . فالهدى من اللّه والإيمان من اللّه.. وهو الذى يهدى عباده ويحبب إليهم الإيمان ويزينه فى قلوبهم ويكره إليهم الكفر

والفسوق والعصيان وهو جلّ شأنه الذى يلزمهم كلمة التقوى فنحن نؤكد لك قولنا مرة أخرى بأن الهادي هو اللّه تعالى لا شريك له ولكن ما يسرى فى قلبك من إيمان وحب للّه إنما هو من سر نبوة ونور إيمان محمدﷺ.. فافهم الفرق بين المعنيين فإنه دقيق إلا على من استبصر بنور اللّه تعالى.

يروى الطبرانى عن معاوية رضي اللّه عنه قوله ﷺ "إنما أنا مُبلِّغٌ واللّه يهدى وإنما أنا قاسم واللّه يعطى" حديث حسن. فالعاطى هو اللّه والهادي هو اللّه جل شأنه، ورسول اللّه ﷺ هو المبلغ والقاسم.

فلا ينبرى لنا جاهل مستعلم فيزعم أننا قد جعلنا للّه ندا والعياذ باللّه. ولكي نقرب الأمر إلى ذهنك.. فإن قلنا لك أن أباك قد أورثك مالا حتى أغناك فصرت غنيا بميراث ماله.. فهذا لا يتعارض مع أن اللّه تعالى هو الغنى المغنى وأن المال كله مال اللّه جعله لأبيك ثم جعله لك من بعده.. فاللّه هو الذى أغناك بلا شك والمال هو مال اللّه بلا شك.. وأنت قد صرت غنيا بما ورثك أبوك من ماله بلا شك.. يقول تعالى: ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ (التوبة-٧٤). فالرسول إذن يغنى بفضل اللّه تعالي كما نصت الآية.

لذلك يقول ﷺ " العلماء ورثة الأنبياء.. وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا"... فميراث الأنبياء هو العلم.. وأى علم. هو العلم باللّه وليس علم الدنيا والصناعات... فالعلم باللّه هو كنز الأنبياء.. وورثتهم من المؤمنين.. وهل العلم باللّه إلاّ الإيمان باللّه وخشيته ومحبته وطاعته !!! فافهم مقصودنا رحمك اللّه..

ومن هنا تعلم حِكمة إرسال اللّه الرسل إلى أقوامهم فقط.. لمن سمع منهم ورآهم.. وذلك على قدر قوة أرواحهم وطاقتها.. أما خاتم الأنبياء والمرسلين.. فلكل البشر ولكل زمان.. ولكل مكان.. على قدر

عظمة روحه وقوة إيمانه فافهم..

يقول تعالى فى سورة (التوبة-٦): ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.
فرسول الله تعالى يؤمن للمؤمنين.. وهو أذن خير لهم.. ورحمة للذين آمنوا.. يقول اللّه تعالى عنه (التوبة-١٢٨):﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾

..فالرسول ﷺ بالمؤمنين رؤف رحيم.. حريص على ما ينفع المسلمين فى الدنيا والآخرة.. وهل هناك حرص ومنفعة أهم وأعظم أثراً من منفعة الإيمان والفوز بالجنة والنجاة من النار.. ويقول ﷺ لأصحابه "من مات وترك مالا فهو لورثته.. ومن ترك دينا فأنا كفيله.." وكان ﷺ إذا أحضرت جنازة يسأل أصحابها هل عليه دين.. فإن كان عليه دين سدد عنه دينه ﷺ..وكان يضحى فى يوم النحر عن أمته..

ويؤكد اللّه تعالى هذه الكفالة والضمان للمسليمن فيقول جل شأنه:
﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ (الأحزاب-٦)..
فرسول اللّه ﷺأحنُ وأرحم بالمؤمنين من أنفسهم وذلك من فرط حبهﷺ للمؤمنين.. ويؤكد اللّه تعالى لك هذا المعنى بأنه حتى زوجات رسول اللّه ﷺ قد انتقل إليهم جزء من هذا الحب الذى فى قلب رسول اللّه للمؤمنين فصرن فى حبهن ورحمتهن بالمؤمنين كأمهاتهم.. بل هن أمهاتهم رحمة ورقة وعطفا..

ويتجاوز هذا السر حدوده المعنوية فيحرم اللّه تعالى على المؤمنين نكاح زوجات رسول اللّه من بعده.. لأن الأمومة قد تأصلت

فيهن وفى قلوبهن.. وهل يتزوج الرجل أمه !!!.

ثم يقول الله تعالى لرسوله:﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ (محمد- ١٩)، فالرسول ﷺ يستغفر الله للمؤمنين حبا فيهم ورحمة بهم.. حيا وميتاً.. فإنه ﷺ يقول" إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة.. فأكثروا من الصلاة عليَّ فإن صلاتكم معروضة عليَّ". فيتساءل الصحابة : كيف تعرض عليك وقد أرمت.. (أى أن الأرض تأكل جسد الميت) فقال ﷺ " إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء" رواه ابن ماجة وابو داود.. ويقول ﷺ" ما من أحد يسلم على إلا ردَّ الله عليَّ روحى حتى أردَّ عليه السلام.." رواه أحمد وأبو داود، وكم من عبد يصلى على سيدنا رسول الله ﷺ ليلا ونهارا.. سحرا ومساءً وصبحا وظهرا.. فى صلاة وفى غير صلاة..

يروى البخارى ومسلم عن أبي هريرة قوله ﷺ" أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى من المؤمنين فترك دينا فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالا فهو لورثته" حديث صحيح، ويروى ابن سعد عن بكر بن عبد الله قوله ﷺ"حياتى خير لكم تُحدِّثون ويحدثُ لكم، فإذا أنا مت كانت وفاتى خيرا لكم تعرض على أعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله وإن رأيت شرا استغفرت لكم" حديث حسن.

وقد رأى رسول الله ﷺ بعض الأنبياء السابقين يصلون فى قبورهم فلا تعجب من هذا القول فليس كل حياة هى مثل الحياة الدنيا بأكلها وشربها ومائها وهوائها.. ويقول ﷺ " من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة -أو كأنما رآنى فى اليقظة - لا يتمثل الشيطان بى" متفق عليه.. وكم من مسلم يرى رسول الله ﷺ فى نفس الليلة وفى نفس الوقت. تلك من أسرار الروح فلا تعجب.. فإن الرسول ليلة أسرى به رأى

الأنبياء فى قبورهم يصلون.. ثم أمَّهُم فى الصلاة فى المسجد الأقصى.. ثم استقبلوه فىالسموات كل فى مقام.. وهم بالطبع لم يُصَلُّوا معه ثم يسبقوه إلى السموات ليتخذ كل منهم مقامه.. فالأرواح غير الأجساد.. فالأجساد لا تُرى إلاَّ فى مكان واحد يحدها الزمان والمكان.. أما الأرواح فليس لها زمان أو مكان.. ولا نستطيع الخوض فى هذا الأمر أكثر من هذا..

يروى أبو يعلى في مسنده عن أنس قوله ﷺ "الأنبياء أحياء في قبورهم يُصَلُّون" حديث حسن، ويروى الإمام أحمد في مسنده وكذلك مسلم عن أنس قول ﷺ "مررت ليلة أسرى بى على موسى قائما يصلى فى قبره" حديث صحيح.

فنحن على الإجمال لم نتعسف فى شرح آية أو فى الاستدلال بحديث.. ولكننا استنبطنا منها مفهومات منطقية كل منها يؤكد الآخر.. فإن حجرت سعة عقلك وحبست نفسك وروحك بمقاييس الحياة الدنيا الأرضية وقوانينها المادية فلن تفهم من الأمور شيئا ولكننا نتحدث عن الأرواح وعوالم الملكوت وأسرار النفس فلا تخاطبنى بميزان أرضِك وماديَّتِك وقوانين الجاذبية الأرضية والحواس الخمس...

فرسول اللّه ﷺ روحه تسرى فى روحك بالإيمان... وظاهره يسرى فيك بالإسلام.. وتعرض عليه أعمالك.. ويرد عليك السلام والصلاة..، ويستغفر لك بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى.. فهل أدركت درجة رسول اللّه.. وقوة إيمانه.. وأنوار روحه.. وأسرار تجليات اللّه عليه.

ومن هنا كان لحب رسول اللّه فى قلبك.. وكثرة صلاتك عليه سر كبير ينفعك بإذن اللّه رغم أنف من اعترض جهلا وقصورا منه فى إدراكه..

سبق القول بأن الحب هو التقاء أرواح بكيفية ما وبدرجات متفاوتة.. وهذا الالتقاء بين الأرواح يُحدث تفاعلا فيما بينها.. فصفات الروح من صدق وإخلاص وطاعة أو أضدادها من الصفات السيئة تؤثر في النفس التي تعاشرها أو تلتقي بها ولو بدون تعامل فيما بينهما.. فمجرد التقاء الأنفس يحدث هذا التفاعل، ولذلك يؤكد ﷺ على ضرورة اختيار الجليس الصالح.. والخليل الصالح والمجتمع الصالح ويحذر من خلافهم فهم مثل بائع المسك ونافخ الكير فإنك تجد عندهما ريحاً طيبة أو ريحا خبيثة بمجرد مرورك عليهما.. دون معاملة معهم من بيع أو شراء.. فقوة الأنفس هي التي تؤثر في بعضها.. ومن هنا كانت حكمة التقاء المسلمين في الصلوات الخمس.. والجمعة والعيدين والحج فإن تلاقي أرواحهم وتقارب أجسادهم يحدث تفاعلا في الأنفس دون أن يشعروا..

وقد أجريت دراسات اجتماعية على سلوك المجتمعات المغلقة مثل الذين يعيشون في السجون أو بيوت الطلبة أو الملاجئ.. فظهر أن سلوك أفراد هذه المجتمعات تتوحد تقريبا على سلوك واحد. وهو إما أحسن الموجودين خلقا.. وإما أسوءهم خلقا.. وذلك تبعا لقوة الشخصية كما يسمونها عندهم.. أما نحن فنقول أن الروح القوية قد جذبت إليها الأرواح الأضعف.. إما بالشر.. وإما بالخير..وأثرت فيهم وطبعت صفاتها فيهم.. وهذا يحدث بمجرد تقارب الأجساد.. فما بالك بتقارب الأرواح.. وهي المؤثرة في الأجساد كما ذكرنا سابقا.

ولذلك يقول ﷺ فيما يرويه مسلم والبخاري عن أبي هريرة وعن عائشة رضي الله عنهما" الأرواحُ جُنُودٌ مجنَّدةٌ.. فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.." فالحب في الحقيقة هو الميل المجرد عن السبب المادي.. فلا تجد له سببا ولا علة.. لأن أساسه التقاء الأرواح..

والأرواح خارجة عن إرادتك ومفهومك فأنت تحس بأثرها ولا تعرف له سببا.. فالحب كما قلنا هو الميل المجرد عن السبب المادى..

وانظر إلى دعوة رسول اللّه ﷺ إلى الحب فى اللّه والأخوة فى اللّه وكيف أن المتحابين فى اللّه على منابر من نور يوم القيامة يغبطهم الأنبياء على هذه الدرجة الرفيعة.. وكيف أن الرجلين إذا تحابا فى اللّه واجتمعا عليه وافترقا عليه يُظِلُّهم اللّه تحت ظِلِّهِ يوم لا ظل إلا ظِلُّهُ.. ودعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب.. ويقف وراءه ملك يقول له ولك مثل ذلك.. أى ولك مثل ما دعوت لأخيك..

فإذا كان هذا جزاء من يحب أخاه المسلم فى اللّه.. وللّه.. فكيف بمن يحب رسول اللّه ﷺ.. وكيف بمن تتعلق روحه بروح رسول اللّه ﷺ..

قل لى أنت ماذا يستفيد من أحب رسول اللّه من حب الرسول له.. ومن روح رسول اللّه المتعلقة روحه بها حبا ومودة..

وإذا كانت الأرواح جنوداً مجندة.. وتعارفت روحك على مهبط الأسرار وكنز الأنوار .. روح محمد ﷺ.. فما الفائدة من ذلك.. هل يحتاج الأمر إلى إيضاح !!.

وإذا كان حبك لأخيك المؤمن العادى ينفعك فى الدنيا والآخرة.. فتستجاب دعوته لك فى الدنيا.. وتكون معه تحت ظل اللّه فى الآخرة.. وعلى منابر من نور. فكيف بمن يحب رسول اللّه ﷺ. وماذا يستفيد منه فى الدنيا والآخرة.

لذلك يؤكد ﷺ على هذا الحب ويقول "والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين" متفق عليه، ويقول "أحبوا اللّه لما يغذوكم به من نعم.. وأحبونى لحبكم اللّه" فالرسول صلوات اللّه وسلامه عليه يؤكد على المؤمنين ضرورة

حبهم لـه.. وإنمـا كـان ذلـك لفرط حـرص رسـول اللّـه ﷺومحبتـه لـك ورحمته بك لكى تنهل روحك من روحه العلية.. ويستفيد قلبـك مـن نـور إيمانه ﷺ.. وما هو بالمستفيد من حبك له.. بل أنت المستفيد بإذن اللّه من روحه القوية.. وقلبه مهبط الوحى.. فينقل إليك ألوانـا مـن الإيمـان.. وأنواعا من اليقين.. والأنوار.. من قلب رسول اللّه إلى قلبك.. ومن روح رسـول اللّه إلى روحـك لا قـراءة مـن كتـاب.. ولا تعليمـا مـن معلـم.. بـل تعليم من اللّه تعالى ورسوله.

وإذا كـان رسـول اللّـه ﷺ يُـشَبِّهُ المـؤمنين كلـهم فـى تـوادِّهِم وتـراحُمِهِم وتعـاطفهم بـأنهم كالجسد الواحـد.. إذا اشـتكى منـه عـضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.. فأين تظن قلب هذا الجسد الواحد.. إذا كان المؤمنون كلهم كالجسد الواحد.. فمن يكـون قلـبهم.. مـانحهم حيـاة الإيمـان.. ونـور الـيقين.. سـوى إمـام المـؤمنين وسـيد الأنبياء.. ومعدن أسرار اللّه تعالى. فافهم رحمك اللّه..

فأنت إذا لم تعرف كيف تحب رسول اللّه ﷺ فأنـت لم تـستفد مـن روحانيته ولا من نور نبوته.. ولا تكون استفادتك مـن نـوره إلاّ علـى قـدر حبك لـه.. وكـذلك يكـون حبك لـه هـو علـى قـدر إيمانـك بـه.. وتكـون أفعالك واتباعك لنهجه وسنته هى على قدر إيمانك به وحبك لـه.. فهـى دائـــرة دائمـــة الترقـــى.. بالحـــب تزيـــد الطاعـــة.. وبالطاعـــة يزيـــد الحب..وهكذا..

ولقـد كـان سـيدنا عبـد اللّـه بـن عمـر يـسير فـى طرقـات المدينـة ويقول"دلونى على أثر مَسير رسـول اللّـهﷺ فعسى أن توافـق قـدمى أثـر قدمهﷺ" فانظر رحمك اللّه إلى فرط هذا الحب الذى نقل أصحابه من اتِّباع رسول اللّه ﷺ... فـى العبـادات.. إلى اتِّبـاعه فـى العـادات والأمـور الدنيوية.. فإن سيدنا عبد اللّه بن عمر لم يقل إن ثواب من وافقت قدمـه

أثر مسير رسول اللّه كذا وكذا.. ولم يسأل الناس عن أثر مسير رسول اللّهﷺ ليؤجر على ما يفعله.. فليس الأمر أمْرَ ثواب وعقاب ولكن المحبون لهم فنون.. ولهم أسرار لا تهتك دونهم.. فهو فرط الحب وكفى..

فحب رسول اللّه ﷺ فى حد ذاته نعمة كبرى من اللّه عليك فالفضل كله للّه تعالى.. وهو مفتاح كل خير..وباب كل توبة..وأساس كل طاعة.

وإن قال الناس إن الحب هو الاتباع لرسول اللّه ﷺ.. قلنا لهم صدقتم ولكن بشرط أن تكون المتابعة ظاهرة باطنة بمعنى اتباع أفعاله وأحواله الباطنية ﷺ.. وما أصعبها إلاّ من يسرها اللّه له فاللّه تعالى يقول: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران-٣١) .. فمن أحب أتبع نهج من يحب.. صدق اللّه تعالى.. ولكن كم من حب فى القلب لا يعلل ولا تعرف له سببا.. وتضعف عنه قوة جسدك وطاقة روحك.

روى البخارى أن سيدنا النعيمان بن عمرو عليه رضوان اللّه فى بداية إسلامه.. وكان يحب اللّه ورسوله حباً كثيرا.. ولكنه كان لا يخلو من أمور تستدعى إقامة الحد عليه.. فلما تكرر منه ذلك لعنه بعض الصحابة فى مجلس رسول اللّه ﷺ وكرهوا منه مقارفته لما يستلزم إقامة الحد عليه.. وقالوا لعنه اللّه ما أكثر ما يؤتى به، فغضب عليه الصلاة والسلام وقال لهم" لا تلعنوه.. فإنه يحب اللّه ورسوله". أو قال" لا تلعنوه فو اللّه ما علمته الا أنه يحب اللّه ورسوله".

فحب اللّه ورسوله كان شفاعة له عند رسول اللّه فى أن لا يسبه أحد.. ولكن لم تكن هذه شفاعة فى حد من حدود اللّه.. فحدود اللّه ليس فيها شفاعة.. فهذا رجل يحب اللّه ورسوله.. ولكن ما زال فى نفسه

وقد سأل أعرابى رسول اللّه ﷺ.. متى الساعة.. فقال له رسول اللّه ﷺ.. وماذا أعددت لها.. فقال الأعرابى.. ما أعددت لها كثير صلاة ولا كثير صيام ولكنى أعددت لها حب اللّه ورسوله.. فيرد عليه ﷺ ويبشره بالبشرى العظمى :"المرء مع من أحب" وفى رواية أخرى أن أعرابيا كان يسير خلف ركب رسول اللّه وينادى يا محمد يا محمد ولم يسمعه أحد حتى لحق بهم فقال لرسول اللّه"المرء يحب القوم ولمّا يلحق بهم.. (أى إن المرء يحب القوم ولكن قوته وإمكاناته لا تمكنه من اللحاق بهم) فقال له رسول اللّه ﷺ.." المرء مع من أحب" وفى الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود :" جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال يا رسول اللّه كيف تقول فى رجل أحب قوما ولم يلحق بهم ؟؟ فقال عليه الصلاة والسلام"المرء مع من أحب" يقول الصحابة : ما فرحنا ببشرى من رسول اللّه ﷺ كما فرحنا بتلك البشرى،

فكلهم يحب رسول اللّه.. وكُلُّهم لا يستطيعون اللحاق به فى عبادته وطاعته فما العمل إذا حرموا منه يوم القيامة بقلة أعمالهم !!! فيطمئنهم رسول اللّه ﷺ وهو الصادق المصدوق.. بأن المرء مع من أحب يوم القيامة.. ولو قلّت قوته وضعفت همته.. فضلا من اللّه وكرما.. فما نقص من قوة الجسد فى الطاعة جبرتها قوة الروح فى المحبة.. يقول ﷺ " نية المرء خير من عمله" كما رواه الطبرانى أى أن المرء قد يتمنى أن يؤدى نسكاً أو طاعة وينوى حسن أدائها والإخلاص فيها فإذا فعلها ربما اعتورها شيئ من الغفلة أو من كدورات النفس البشرية فتأتى ناقصة عن كمال نيته.. كمن ينوى الصلاة ويرجو ألا يسهو فيها.. وألا تحدثه نفسه فيها بشئ فإذا بدأها غلبه الشيطان فكانت على غير ما عزم عليها من الكمال والتمام.

فالـذين يقيـسون حـب اللّـه ورســوله باتبـاع الأوامـر والطاعـات واجتناب المحرمات قد صدقوا.. ولكنهم حَجَّروا فضل اللّه تعالى على عباده.. وضيقوا رحمته التى وسعت كل شئ.

فالمؤمن قد يمتلئ قلبه بحب اللّه ورسوله.. ويتمنى فى كل لحظة أن يكـون متابعا للأوامر والنـواهى كاملـة خالـصة.. ولكنـه لأمر ما تعتـور عبادته كدورات ونقصان..

ولكنه ما زال يحب اللّه ورسوله وقلبه مشغول بهما ومتجه إليهما..

إن حب اللّه ورسوله إذا تمكن من قلب العبد المؤمن.. سرى فـى دمه وعروقه وتأثر به بلا شك.. فإن كان الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق كما يقول ﷺ ... فإن الإيمان باللّه ورسوله فى هذه الحالة يسرى هو أيضا بالإيمان والنور فى عروق ابن آدم.. والغلبة لما يريد اللّه تعالى.. فإن كان ظلام إبليس يسرى بالجهل فى العروق.. فنور الإيمان يسرى بالعلم فى العروق أيضاً..

وإنى أدعوك إلى حسن الإدراك لرحمة اللّه تعالى حيث يجازى الذين آمنوا بأحسن ما كانوا يعملون.. وليس بما كانوا يعملون.. فذلك فضل اللّه تعالى على العباد.. والنية هى أيضا من عمل العبد.. فالنية ثمرة الإيمان.. وتنبه إلى الفرق بين النية والتمنى.. فالتمنى لا يستند إلى نية ولا عزم.. لذلك يقول ﷺ"أن قوما غرتهم الأمانى وقالوا نحن نحسن الظن باللّه.. وخرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم.. وكذبوا.. فلو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.." وصدق رسول اللّه ﷺ.. فهؤلاء قوم تمنوا الأمانى ولم يجاهدوا أنفسهم ولم يعزموا على طاعة.. ولم يتهيأوا لها.. ولكنهم تكاسلوا واكتفوا بحديث النفس.. أما ما نتكلم عنه فهو حب فى القلب ونية على اللحاق بالحبيب المحبوب.. ولكنه بعمل غير متكامل لوجود كدورات النفس البشرية فيهم.. فهم فى جهاد بين

حبهم.. ونيتهم فى العمل الصالح.. وضعف قوتهم وهمتهم.. فالأمر جد مختلف فافهم فإن الأمر دقيق.، ولاحظ أن الآية السابقة قد جعلت الاتباع نتيجة للحب، فإن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله، ولكن نحن نتساءل كيف نَتَمَنَّى فى قلوبنا حب رسول الله ﷺ حتى يصدق اتباعنا له..؟؟

ولذلك.. ولكى يزيد حبك لرسول الله ﷺ شرع الله لك الصلاة عليه.. والسلام عليه.. لتكون هناك محادثة بينك وبين روحه.. فأنت تسلم عليه.. وهو يرد عليك السلام.. والملائكة تصلى عليه وعليك..

فمردود الصلاة على رسول الله ﷺ هو الائتناس بروحه ﷺ.. واستجلاب أنواره وقدس نفسه إليك.. فلا تزال تصلى عليه.. وهو يرد عليك والملائكة تصلى عليك حتى تتهيأ روحك ونفسك لأن تنهل من روحه وقدسه.. لذلك وجب أن تكون الصلاة على رسول الله ﷺ بالسكينة والوقار واستحضار روحه ﷺ فى مجلسك كأنك تخاطبه.. وأنت فعلا تخاطبه وليس مجازا...

ولذلك تفنَّنْ الصالحون فى صيغ الصلاة على رسول الله ﷺ.. كل منهم على قدر ما ينهل من روحه وما يشرب من أنواره..

يقول ﷺ " أنّ من صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا" كما رواه مسلم ويقول ﷺ " إن أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة" كما رواه الترمذى وابن حبَّان ويقول" أكثروا من الصلاة علىَّ يوم الجمعة".. كما رواه البيهقى وابن ماجه وقال" من صلى علّى صلّت عليه الملائكة ما صلّى فليقلل عند ذلك أو ليكثر" كما رواه أحمد وقال "إن فى الأرض ملائكة سيَّاحين يبلغونى عن أمتى السلام" كما رواه النسائى ويقول ﷺ " من صلّى علّى فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون

له ما دام اسمي في ذلك الكتاب" كما رواه الطبراني.

وقد قالوا إن الصلاة على رسول اللّه ﷺ مقبولة عند اللّه لا محالة إكراما لرسول اللّه ﷺ وقد تعرض ابن عابدين لهذه النقطة وغيره، وقالوا إن من أدب الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد اللّه والثناء عليه ثم يثني بالصلاة على رسول اللّه.. ثم يدعو بما شاء.. ثم يختم بالصلاة على رسول اللّه.. فإن اللّه تعالى يقبل الصلاة على رسوله.. وهو جل شأنه أكرم من أن يرد ما بين مقبولتين.

وعلى العموم فأسرار الصلاة على رسول اللّه كثيرة.. ولا تدرك بالكلام والبيان ولكن مما لا شك فيه أن كثرة صلاتك على رسول اللّه ﷺ تزيد من حبك له.. ومن حبه لك.. وهذا الحب تستتبعه قوة إيمانك.. ونور رسوله ﷺ...

ويكفيك الامتثال لأمره تعالى في قوله في سورة الأحزاب: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

اللّهم فصل وسلم وبارك على عبدك وحبيبك محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم سلام وأكمل بركات كلما ذكرك وذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكرك وذكره الغافلون في كل لمحة ونفس من الأزل إلى الأبد بعدد كل مخلوق لك يا مولانا يا عظيم..

ويعلمنا رسول اللّه ﷺ كيفية الصلاة عليه ويوصينا بأهله وأهل بيته فيقول" قولوا اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد"

ويوصينا رسول اللّه ﷺ بآل بيته فيقول" أذكركم اللّه فى أهل بيتى.. أذكركم اللّه فى أهل بيتى" وأهل بيته هم آل علىّ.. وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.. وكل هؤلاء محرم عليهم أخذ الزكاة فإنها لا تحل لهم..

وتأمل قول اللّه تعالى(الأحزاب-٣٣):...﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾، ويقول:﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (الشورى-٢٣)

فآل بيت رسول اللّه ﷺ لهم الإكرام والتبجيل والمحبة من المؤمنين الصادقين وحبهم من حب رسول اللّه ﷺ... يقول ﷺ " عن السيدة فاطمة رضى اللّه عنها إنها سيدة نساء أهل الجنة"، روى الحاكم قوله ﷺ "إذا كان يوم القيامة. نادى مناد من وراء الحُجُب : يا أهل الجمع غُضُّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر" ويقول عن السبطين الحسن والحسين" اللّهم أحببهما فإنى أحبُهُما" ويقول لسيدنا جعفر بن أبى طالب" أشبهت خلقى وخلقى"

وكذلك سبق الكلام عن وجوب محبة صحابة رسول اللّه ﷺ ونكتفى بحديثه ﷺ " اللّه اللّه فى أصحابى : لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم.. ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم.. ومن آذاهم فقد آذانى.. ومن آذانى فقد آذى اللّه.. ومن آذى اللّه يوشك أن يأخذه".

وخلاصة القول أن حب رسول اللّه ﷺ يستدعى حب آل بيته الكرام المباركين وأصحابه الغر الميامين رضى اللّه عنهم أجمعين.

وباللّه عليك كيف أنت بقوم يصلى عليهم جميع المسلمين فى كل صلواتهم فى كل زمان ومكان فأىُّ شرف لهم !!!

وصلنا إلى أن روح سيدنا رسول الله ﷺ هي الروح العظمى.. ونفس سيد البشر هي النفس الأسمى.. وهي محل تجليات الله تعالى في كل وقت وحين.. وقوله ﷺ " إن لي ساعة لا يسعني فيها إلاّ ربي" يدل - لمن كان له قلب - على أنها ساعة تجليات إلاهية مباشرة يعجز الملائكة عن إدراكها.. فهي خاصة لمحمد ﷺ.. تماما كما تخلف جبريل في المعراج وقال لرسول الله تقدم فما منا إلا له مقام معلوم.. ولو تقدمت أنا لاحترقت.. فهذا مقام جبريل.. وهذا مقام محمد.

ولأضرب لك مثلا على سبحات أرواح الانبياء في منامهم وكيف يكون الوحي إليهم في تلك الحالة على الصورة التي تسبح فيها أرواحهم..

قلنا من قبل إن رؤيا الأنبياء حق.. وهي وحي يوحى..

ولقد رأى سيدنا إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل.. ولكن ما حدث في نهاية الأمر أن الله تعالى أمره بذبح كبش فداء له.. فالمذبوح هو الكبش في الحقيقة فكيف رأى سيدنا إبراهيم أن المذبوح هو ابنه !!! نعم هو بلاء.. وامتحان من الله.. ولكن هذا لا يمنعنا من التساؤل بأن ما رآه سيدنا إبراهيم ليس هو ما حدث فعلا..

ونفس الأمر بالنسبة لسيدنا يوسف فقد رأى الشمس والقمر والنجوم تسجد له.. ولكن السجود كان في نهاية الأمر من أبويه وإخوته فلماذا جاءت الرؤيا بهذا الرمز!!!

يقولون والله أعلم إن الروح إذا سبحت في عالم من العوالم الكونية وجاء أمر الله تعالى إلى الروح بوحيٍ ما في تلك اللحظة فإنه يأتي بتأويل له من نفس ظواهر هذا العالم الذي تسبح فيه الروح..

فسيدنا إبراهيم سبحت روحه فى عالم الرحمة والرحيم والرحمن متأملا فضل اللّه عليه وإكرامه له على الكبر بسيدنا إسماعيل عليه السلام.. فلمّا جاء أمر اللّه إليه فى تلك اللحظة بالفداء.. جاءت الرؤيا من نفس العالم وكان الفداء، بالابن وكان الأمر بذبح الابن..

ولما سبحت روح سيدنا يوسف فى عالم الأفلاك وأراد اللّه أن يبشره بسجود إخوته ووالديه له.. جاءت الرؤيا بسجود بعض هذه العوالم التى تراها روحه.. فرأى سجود الكواكب له،.

فاحتياج الرؤيتين إلى التأويل سببه سبحات الروح فى عوالم اللّه المختلفة.

وقيام رسول اللّه ﷺ الليل كله كما ورد يردد الآية الكريمة من سورة المائدة : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١١٨) ﴾ يلقى بعض الضوء على هذا الأمر.. فسبحات روح رسولَ اللّه ﷺوتجليات اللّه تعالى عليه المتجددة على الدوام كانت تجعل لكل تلاوة لهذه الآية معنى جديدا.. وكلما كررها رسول اللّه كلما استجلى الجديد من أسرار أنوار اللّه تعالى،، وإلا فلا معنى للتكرار إذا كان بنفس المعنى..

وأنت تجد لآيات اللّه تعالى فى القرآن الكريم عدة معانٍ يذكرها المفسرون بل حتى ترتيب الآيات فى القرآن.. وهو ترتيب توقيفى من رسول اللّه ﷺ هذا الترتيب قد يضفى على بعض الآيات معانٍ جديدة بإضافتها إلى بعضها...

وقد أجمع الفقهاء على أن المطلوب هو قراءة القرآن بتَدَبُّر وتَفَكُّر، وهذا لا ينافى قول الرسول "من فسَّر القرآن برأيه ضل"، ذلك لأن التدَبُّر له أصول وقواعد لابد منها للتالى، ويقول اللّه تعالى: ﴿ .... إِنَّمَا

﴿ يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد-١٩)

والذى آثر الدنيا على الآخرة وانشغل بها وغفل عن آخرته ليس من ذوى الألباب قطعا، فأنّى له التدبر والتذكر!!!،

ويذكر البخارى عن علىّ كرم اللّه وجه عندما سُئل هل خَصّهُ رسول اللّه ﷺ بشيئٍ فقال :"ما أسرّ إلىّ رسول اللّه ﷺ شيئا كتمه عن الناس إلا أن يؤتى اللّه عبدا فهماً فى كتابه"، فلا حرج على فضل اللّه أن يهب لعبدٍ فهما فى كتاب اللّه غير ما ذكره المفسرون فى كتاباتهم فافهم.

فقد يسبق إلى قلبك معنى جديد لم يسبق لك معرفته من قبل.. فإذا كان مطابقا لشرع اللّه وأحكامه فهو خاطر حق.. وإن كان غير مطابق فلا يعتد به ولا يلتفت إليه.. يقول تعالىفى سورة محمد:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.. فالتدبر فى آيات اللّه واستجلاء معانيها مطلوب ومحمود..

غير أن فضل تلاوة القرآن ولو بغير فهم لها أجر عظيم.. فما السبب يا ترى !!! ما الحكمة فى فضل تلاوة القرآن الكريم ولو بغير فهم !!! نعم إنَّهُ كتاب اللّه تعالى.. وفضله على كلام البشر كفضل اللّه على البشر وهو كتاب ذكر وقربى إلى اللّه تعالى وليس كتاب استدلال فقط.. إذا فلا بد أن يكون هناك سر فى تلاوته بغير فهم.. ولابد أن يكون هناك نور فى تلاوته.. وكما قال ﷺ إن بكل حرف حسنة..، ألم ثلاثة أحرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف والحروف ليس لها معان.. فلماذا يكون لك ثواب فى تلاوة حروف لا تفهم معناها !!!

لابد أنك أدركت من هذا العرض أن هناك أسراراً وأنواراً وتجليات خاصة للروح تنالها بمجرد تلاوتها.. وهذه الأسرار قد يستجليها

بعض أصحاب البصائر إذا أراد الله لهم هذا.. وسبحان الفتاح العليم.. فالله تعالى لا يأمرك إلا بشئ فيه منفعتك سواء علمتها أم لم تعلمها.

لذلك يقول تعالى فى سورة الحجر:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ ﴾، القرآن العظيم فى كل شئ.. فى حروفه.. وألفاظه.. ومعانيه.. وأسراره.. وأنواره ويقول تعالى فى سورة الإسراء-٨٢:﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾، ويقول فى سورة فصلت-٤٤ : ﴿ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ ويقول فى سورة يونس- ٥٧: ﴿ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾. فهو شفاء بمعناه العام.. وشفاء خاص لظلام النفس وجهلها الذى سبق الكلام عنه فى الأبواب السابقة..

فإن قلنا لك إن وحى الله تعالى يأتى للأنبياء على حسب سبحات أرواحهم القدسية فى عوالم الله المختلفة فافهم إذاً معنى قوله تعالى فى سورة طه-١١٤: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾، فهنا معنى دقيق.. ومذاق عالٍ نمسك عن الخوض فيه ولكنه يشير على أية حالة إلى درجة رسول الله عند الله والفارق بينه ﷺ وبين أمين الوحى جبريل عليه السلام.. فالله تعالى يأمره ألا يعجل بالقرآن ولم يأمره أن يعجل أو يستعجل نزول القرآن.. فافهم الفرق بين المعنيين...

فالتالى لكتاب الله تعالى يسبح فى أنوار كلام الله تعالى.. ويسبح فى أنوار سبحات وروح رسول الله ﷺ الذى أنزل عليه القرآن.. وفى هذا القدر كفاية.

كذلك الصور التى رآها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به.. ومنها من يزرع فى يوم ويحصد فى يوم وهو لم يلبث إلا قليلا من الليل.. وعذاب أهل الجحيم.. ونعيم أهل الجنة.. ثم الصعود إلى السموات. وتنبه جيدا إلى أن الصعود لم يكن إلى جهة ولا اتجاه.. فالله تعالى لا يحده جهة ولا اتجاه.. نقول إن كل هذا لابد أن تفهم منه أن ما حدث قد حدث حيث لا زمان ولا مكان.. فالماضى والحاضر والمستقبل والمكان والزمان كل هذا من مدركات الجسد بشعوره وحواسه الأرضية.. بمعنى أنك لو غادرت المجموعة الشمسية التى يحدد اليوم فيها بغروب الشمس وشروقها.. فإذا أسقطنا الشمس من حسابنا وذهبنا إلى حيث لا شمس ولا قمر.. فكيف سنقيس الزمن !!؟

ولذلك ينبهنا الله تعالى إلى هذه المعانى بآياته الكريمة:﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (الحج - ٤٧)، ويقول: ...﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج-٤).. فالقياس عند الله تعالى ليس بالشروق والغروب.. فهذا قياس لبصرك وجسدك.. أما الروح التى هى من أمر الله تعالى فلا يحجبها زماننا ولا مكاننا.. فافهم...

فانكشاف هذه الصور والأحداث لرسول الله ﷺ.. وانعدام الزمان والمكان.. يدلك على أن الله تعالى قد أفاض عليه من علمه.. فرأى ﷺ ما قد كان وما هو كائن وما سيكون جميعا فى آن واحد بصورة لا تكيف بعقل بشرى..

ولأقرب لك هذا المعنى.. هب أنك مررت بحديقة وسألت عنها فقالوا لك لقد كانت منزلا من قبل فهدمها صاحبها واستزرعها حديقة.. فلما مررت بعد سنوات عليها لم تجدها.. ووجدت أن صاحبها قد بناها

مصنعا.. وبعد سنوات وجدت أن صاحب المصنع قد حوله إلى مدرسة مثلا ففى علمك البشرى أن الحديقة قد فنيت وأن المصنع كان موجودا ثم فنى.. والآن الموجودة هى المدرسة.. وكلها فى نظرك موجودات.. فانيات.. أما فى علم اللّه تعالى فالأرض هى الأرض وكل ما عليها إنما هو صور توجد وتتلاشى كالظلال ليس لها وجود حقيقى..

وكذلك جميع المخلوقات فى الكون بلا استثناء يكون وجودها وجودا مؤقتا..أما دائم الوجود فهو اللّه تعالى.. الثابت الذى لا يتغير ولا يتبدل..

ولذلك يطلق اللّه تعالى على جميع الكائنات اسم "الظلال" فيقول جل شأنه فى سورة الرعد :﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ (١٥) ﴾

.. فأنت مثلا ترى الناس تسجد للّه طوعا.. أما السجود بالإكراه فأنت لم تلمسه بعينيك.. فافهم هذه الدقيقة فتح اللّه عليك.. فسجود القهر باللّه سارى فى كل الموجودات سواء المؤمن أو الكافر.. فإن شئت أن تتعمق فى الفهم فانظر قوله تعالى فى سورة الرحمن : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ (٢٧) ﴾.. فالبقاء الحق.. للّه الحق وحده.. واسمه تعالى الباقى.. واسمه الحى.. فمن بقى فبه ومن حَيىَ فبه.. وأنت ظل من الظلال.. وحقيقتك هى روحك ونفسك.. أما جسدك فهو من الظلال ..

فرسول اللّه ﷺحينما يرى تلك الصور فى إسرائه ومعراجه إنما يطلعه اللّه تعالى على ما شاء من علمه جل شأنه فيرى فيه ما نسميه نحن بالماضى والمستقبل فى آن واحد.. وصدق اللّه تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ

بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ (البقرة-٢٥٥)

ولعلنا قد أجبناك عن تساؤلك السابق عن اللوح..والقلم..والله أعلم.

وقد سبق لنا القول بأن لفظ "الغيب" هو لفظ نسبى.. فغيب اليوم هو حاضر الغد بالنسبة للزمان. ومعجزات الرسول ﷺ فى هذا الشأن كثيرة .. فقوله لسراقة بن مالك "ارجع ولك سوار كسرى" يدل بلا شك على علم رسول الله اليقين بأن ملك كسرى سوف يؤول إلى المسلمين.. وأن سراقة سوف يكون حيا لم يمت بعد.. فوهبه ﷺ سوار كسرى وكتب له بذلك كتابا أنفذه عمر بن الخطاب.

وقوله ﷺ لزوجاته "كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب" كما رواه الإمام أحمد وغيره وهو المكان الذى وقعت قريبا منه موقعة الجمل بين سيدنا على وسيدنا معاوية عليهما رضوان الله، هو إخبار منه ﷺ بما حدث للسيدة عائشة رضوان الله عليها.. ولذلك طلبت الرجوع عندما سمعت نباح الكلاب فى ذلك المكان فى موقعة الجمل..

وقوله ﷺ لسيدنا أبى ذر رضى الله عنه.. تعيش وحيدا وتموت وحيدا.. كان من معجزاته ﷺ.. فقد مات فى الطريق.. ولم يكن معه إلاً ابنته .. فقال لها إن أنا مِتُّ فاخرجينى إلى الطريق لعل راكبا يرانى وقولى لهم هذا أبوذر صاحب رسول الله.. وقد فعلت كما أمرها أبوها..

وكذلك إخباره ﷺ بالفتن فى أمته وافتراقها على إحدى وسبعين فرقة.. وضعف المسلمين وتداعى الأمم عليهم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها وهذا ما نحن فيه اليوم. وكثير وكثير مما يضيق المجال عن ذكره..

فإن قلت لي إن الله تعالى يقول:﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ (الأنعام-٥٠)، أقول لك إنما هو يرد على المشركين الذين يطالبون بالخوارق والمعجزات عناداً ومكابرة.. وقد سبق التعرض لهذه النقطة في هذا الباب. أما قوله تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾... (النمل-٦٥)، فسبق لك أن علمت أن الغيب درجات.. منها الغيب النسبي.. ومنها الغيب المطلق.. وقد قال تعالى (الجن-٢٦و٢٧) :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ فالاستثناء موجود وهو بأمر الله تعالى ولمن يرتضي من عباده.. وعلى قدر الحاجة والحكمة من الإعلام بالغيب.. وهل قلنا نحن غير هذا !! ومن أحق من رسول الله ﷺ بهذا الاستثناء.

ولا تعجب من قولنا هذا.. فإذا كان الله قد أطلعه على خبر السماء وعوالم ملكوته وأراه من أياته الكبرى.. فماذا تكون الدنيا وأحداثها وغيبها وما عليها وهي لا تساوي عند الله جناح بعوضة !!.

ورسول الله ﷺ له الشفاعة الكبرى يوم القيامة..كما تواترت به الأحاديث...

ولقد وَهَمَ قومٌ فقالوا إن شفاعته ﷺ إنما هي لأهل الصغائر من أمته.. ونقول لهم.. وهل تحتاج الصغائر إلى شفاعة كبرى!!! يقول الله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾ فاللمم أي الصغائر مغفور بإذن الله تعالى دون شفاعة.. والناس تُعطى على قدر أقدارها.. والمواهب إنما تكون على قدر

معطيها.. وهل هناك أعلى ولا أعظم درجة من محمد ﷺ.. فشفاعته إنما تكون على قدره وإن جاهه عند الله لعظيم ﷺ. وإذا كان الشهيد يشفع في أهله... والصالحون يشفعون في ذراريهم.. فكيف برسول الله ﷺ!!!

ومن حديث الطبراني عن ابن عباس في حديث طويل ومنه قول رسول الله ﷺ "فما أزال أشفع حتى أعطى صكاكا برجال قد بُعث بهم على النار وحتى إن مالكا خازن النار يقول :يا محمد ما تركت النار لغضب ربك في أمتك بقية"

ويروى أحمد والحاكم والطبراني والنسائي وأبو داوود عن جابر وعن ابن عباس رضى الله عنهما قول رسول الله ﷺ "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"، ويروى الأمام أحمد عن ابن عمر قوله ﷺ "خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمؤمنين المتقين !! لا ولكنها للمؤمنين المذنبيين المتلوثيين الخطائيين"حديث صحيح.

فإن قلت إن المرء بعمله يوم القيامة.. وإن المرء يفرُّ من أخيه وأمه وأبيه قلنا لك إنما يفرُّ"المرء" ولا يفرُّ المؤمن.. فالكافر يقول ياليتنى كنت ترابا.. والمؤمن لا يقول ذلك بل إن المؤمنين لا يحزنهم الفزع الأكبر والكافرون أفئدتهم هواء بنص القرآن الكريم..

ويقول تعالى ... ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾ ... (البقرة-٢٥٥)، ويقول في سورة يونس-: ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ ﴾

ويقول في سورة طه:﴿ يَوۡمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾، فالشفاعة ثابتة وهي بأمر الله تعالى..

وهى استثناء وإكرام منه جل شأنه لعباده المؤمنين ولا ينكرها إلاّ جاهل متنطع..

روى ابن ماجة عن عثمان قوله ﷺ "يشفع يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" حديث حسن، وروى أبو داوود عن أبى الدرداء قوله"يشفع الشهيد فى سبعين من أهل بيته" حديث حسن ويروى أحمد ومسلم عن ابن عباس قوله ﷺ " ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون باللّه شيئا إلا شفعهم فيه" حديث صحيح

فإن قال قائل إن رسول اللّه ﷺ يقول لابنته السيدة فاطمة رضى اللّه عنها"اعملى فإنى لا أغنى عنك من اللّه شيئا"..

نقول صدق رسول اللّه ﷺ فإنه يعلّم الناس.. وإنما كانت رسالته ليعلم الناس ويحثهم على العمل.. وكذلك ليظهرﷺ عبوديته الكاملة للّه تعالى..فهو لا يغنى من اللّه شيئا.. إلا بأمر اللّه تعالى والمؤمنون يدخلون الجنة بفضل اللّه تعالى وبرحمته.. وإلا فمن ذا الذى يعبد اللّه حق عبادته.. ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ (يونس-٥٨).

بل إن رسول اللّه ﷺ يقول" لن يدخل أحدكم الجنة بعمله.. قالوا ولا أنت يا رسول اللّه قال ولا أنا إلا أن يتغمدنى اللّه برحمته.." أو كما ذكره مسلم عن أبى هريرة فى الحديث قاربوا وسددوا.. إلخ فما يغنى العمل عند اللّه إن لم يزكّه ويقبله فضلا منه و كرما.. ولكن رسالتهﷺ هى إنما لحث الناس علىالعمل فافهم .

ورغم هذا فإنك تجد فى الوجه المقابل ما ذكره ابن عابدين فى حاشيته عن عمر ابن الخطاب قول رسول اللّه ﷺ" كل سبب ونسب منقطع إلا سببى ونسبى" والمقصود به يوم القيامة، يقول عمر بن

الخطاب"لذلك تزوجت أم كلثوم بنت علّى بن ابى طالب"

ويروى ابن عساكر عن ابن عمر قوله"كل سبب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبى وصهرى" حديث صحيح

ويروى ابن منيع عن زيد بن أرقم ومعه بضعة عشر من الصحابة قوله"شفاعتى يوم القيامة حق، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها" حديث صحيح

و تكون الكرامةللأولياء من أتباع النبى(1) بحسن اتباعهم لمنهج نبيهم.. فحسن اتباعهم لنبيهم أنار بصائرهم.. وزكى أرواحهم.. وطهّر نفوسهم فأجرى اللّه على يديهم الكرامات لأنهم ما صاروا إلى ما صاروا إليه إلا بحسن اتباعهم والإخلاص فيه.. وهذا هو الميراث الذى تعرضنا له.. ميرات العلم باللّه وصفاء القلوب وهو ميراث الأرواح والنفوس.. ألا ترى إلى الوالد فى الدنيا كيف يربى أولاده ثم يورثهم من ملكه.. فكيف بالأب الروحى.. مربى الأرواح ومغذيها ومعلمها.. ألا يورثها من أنوار اللّه وأسراره.

فعمر بن الخطاب وهو فى المدينة يرى سيدنا سارية فى الشام يحارب فيحذره من التفاف الجيش حول الجبل.. ويقول : الجبل يا سارية الجبل.. ويسمعه سارية وهو فى الشام ويلتفت ليرى جيش الأعداء يلتف حول الجبل..

وعثمان بن عفان رضى اللّه عنه يدخل عليه رجلان فى رمضان

---

(١) ورد فى كتاب بستان العارفين للنووى :
فصل [كل كرامة لولي معجزة لنبي] قال القشيري رحمه الله تعالى: إن قيل كيف يجوز إظهار [هذه] الكرامات الزائدة في المعاني على معجزات الرسل؟.-قلنا: هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا [محمد] صلى الله عليه وسلم، لأن كل من ليس بصادق في الإسلام تمتنع عليه الكرامات. وكل نبي ظهرت له كرامة على واحد من أمته، فهي معدودة من جملة معجزاته، إذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقاً لم تظهر على من تابعه الكرامة. يعني التي هي الكرامة لهذا الواحد. [ص ١٦٤]

فيقـول لهمـا مفطـران فـى رمـضان !!! أرى أثـر الفتنـة علـى شـفاهكم.. فيتعجبان من أمره ويقولان أنبوة بعد رسول اللّه.. لقد تحدثنا عن فلان ونحن قادمان.. فيقول سيدنا عثمان.. لا.. ولكنها فراسة المؤمن..

ويذكر ابن كثير في الجزء السادس من موسوعته البداية والنهاية المئات من هذه الكرامات ومنها ما كان لأبى عيسى الأنصارى الحارثى حيث كانت عصاته تنير له الطريق ليلا، وكذلك عبّاد بن بشر وأسيد بن حضير عندما كانا يسيران ليلا ولهما ضياء ينير طريقهما فلما افترق كل منهما الى بيته صار مع كل منهما نور يضئ له. وكان خبيبا بن عدى أسيرا فى مكة وعنده قطوف من العنب وما فى مكة يومذاك حبة عنب، وكانت الملائكة تسلّم على عمران بن حصين وكان البراء بن عازب مستجاب الدعوة. وغيرهم كثيرون رضى اللّه عنهم أجمعين.

ولو قرأت سير الصحابة والصالحين لوجدت الكثير والكثير.. وكلها إكرام لرسول اللّه ﷺ ولمن اتبع هداه وسار على نهجه.. ولكننا نكتفى بالإشارة إليها حتى إذا رأيت رجلا صالحا أكرمه اللّه تعالى بكرامة فلا تتعجل بالإنكار عليه فإن هذه الكرامات هى إكرام لرسول اللّه ﷺ فى صورة أتباعه المخلصين ..

وبعد فإن كل ما ذكرته لك فى هذا الباب.. إنما خاطبتك فيه بمنطقك وعقلك.. وليس هذا ما كنت أريده.. ولكن اللّه تعالى ألجم لسانى عما سواه.. فاكتفيت بهذا القدر.. وما أهونه فى الحديث عن رسول اللّه ﷺ.. فإنه فوق العقول.. وفوق الإدراك.. وإن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب.. أو ألقى السمع وهو شهيد..

موجز الباب الخامس

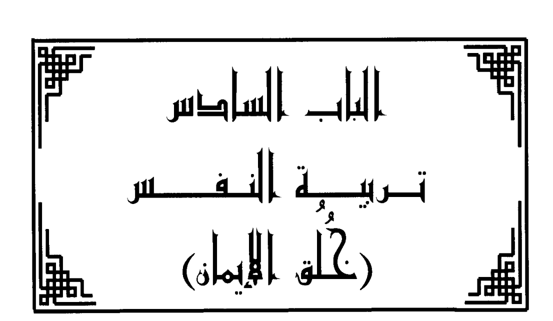
فإن أردت إيجازا لما قلنا فى هذا الباب فنقول :

- محمد رسول اللّه.. سيد البشر.. وإمام المرسلين.
- هو الروح الأعظم.. والنفس الأقدس.. والبشرية الكاملة.
- أسرى به اللّه تعالى.. وعرج به إلى السماء ورأى الآية الكبرى حيث لا زمان ولا مكان
- كل ما يسرى فيك من إيمان هو من نور إيمان رسول اللّه ﷺ.
- فضل الصلاة عليه لا يعد ولا يحصى وهى باب حب رسول اللّه.
- نور القرآن فيه سر روحانية رسول اللّه.
- لرسول اللّه الشفاعة الكبرى يوم القيامة.
- حبه وحب آل بيته وصحابته فرض على كل مسلم.

* * *

وصلى اللّٰه عليك يا سيدى يا رسول اللّٰه بكل صيغة قالها مخلوق أو كررها مخلوق بعده من يوم أن خلق اللّٰه الدنيا إلى ما لانهاية كما يليق بجلالك وجمالك وكمالك وكما تحب وترضى.. وحتى ترضى عنا.. اللّهم لا تحرمنا شفاعته واحشرنا معه وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه.. واجمعنا عليه فى الدنيا والآخرة يارب العالمين.. لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك.

* * *


الباب السادس
تربية النفس
(خُلق الإيمان)

سبق القول بأن الإيمان هو فطرة اللّه التى فطر الناس عليها.. وأن النفس منذ أن استقرت فى الجسد وهى حريصة عليه وعلى تدبير أموره الدنيوية.. وأن انشغالها بالدنيا وزينتها وشهواتها قد أصّل فيها الأنانية وحب الشهوات وأنساها أوامر اللّه تعالى من الحرام والحلال.. وبالتالى ابتعدت عن نورانية الروح الأصلية .. وزاد عليها الرين فى القلب حتى انفصلت بالكلية عن عالمها العلوى .. وأصبحت حبيسة الجسد وماديته.. وصارت ملقبة بالنفس الأمارة بالسوء .. فهى لا تهتم إلا بشهواتها.. وحدود معرفتها هى العالم المادى الدنيوى لا غير ..

فإن تنبه صاحبها لما هو فيه من الخطر والبعد عن اللّه تعالى فبدأ فى جهاد نفسه وردها إلى الفطرة العلوية .. فإن ذلك يستلزم الجهاد الشديد ضد نفسه الأمارة بالسوء ليغير من أخلاقها ويردها إلى الصواب..

وأول منازل الجهاد هو أن يعرف العبد أولا ما هو عليه من سوء فعال .. وما اكتسب من أخلاق ذميمة .. ثم يقلع عنها ويتوب منها.. ويلى ذلك التخلق بالأخلاق الحميدة المطلوبة شرعا..

وحيث إن التوبة هى الندم على فعل الذنب والإقلاع عنه والعزم على عدم العودة إليه .. فيكون معناها تغيير أخلاق النفس .. وحيث إن أخلاق النفس مكتسبة كما قلنا فمن الممكن تغييرها بشئ من الجهاد .. يقول تعالى (الرعد-١١) :﴿ ... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ... ﴾ فذلك يدل دلالة قاطعة على إمكان تغيير صفات النفس البشرية..

وانظر إلى أخلاق العرب فى جاهليتهم وكيف نقلهم الإسلام إلى أعلى درجات النفس وإلى الهداية الربانية العالية.. وكان أول ما تغير فيهم هى أخلاقهم .. ونظرهم وتقديرهم للشهوات الأرضية وزينة الحياة

الدنيا..وتصديق قول اللّه تعالى وقول رسوله أنها لا تساوى جناح بعوضة.. ثم ما تلا ذلك فيهم من فعل الطاعات والقربى إلى اللّه تعالى.. والجهاد فى سبيله بالمال والنفس..

كان الرجل يأتى رسول اللّه ﷺ فيؤمن به .. ويشهر إسلامه وفى يده تمرات يأكلهن .. والحرب على قدم و ساق .. فيقول : يا رسول اللّه أليس بينى وبين الجنة إلا ان أحارب فأُقتل فأدخلها .. فيجيبه رسول اللّه بالإيجاب .. فيلقى الرجل ما فى يده من تمرات ويقول : إنها إذاً لحياة طويلة . أى لم يعد عنده صبر على عدم دخول الجنة حتى ينتهى من أكل تلك التمرات .. بل هو يستعجل الجهاد .. والجنة ..

فانظر كيف غير الإيمان فى قلوبهم نظرتهم إلى الدنيا وشهواتها وانظر كيف تبدل فى نفوسهم يقينهم بالأخرة وثوابها.

وقوله ﷺ فى الحديث عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن الناس معادن وإن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا .. يدل على أن طباع النفوس من قوة وضعف إنما هى فى أصلها وأساسها ومعدنها .. فالنفس أو الروح القوية الأصل تكون قوية فى الشر بحكم قوتها الذاتية .. كما تكون قوية أيضا فى الخير إذا تبدلت صفاتها واتجهت إليه .. ذلك لأنه أصلها ومعدنها هو القوة..

فتغيير الأخلاق فى النفس ممكن بلا شك .. والطريق إليه هو كما أشرنا إليه يبدأ بمعرفة ما هى فيه من البعد عن اللّه تعالى .. وذلك لا يكون إلا بدراسة أحكام الشرع وحدود الحلال والحرام .. وهذا هو العلم المكتسب بالقوة التفكيرية فى النفس كما قلنا من قبل ..

وقوله ﷺ إن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة إنما يقصد به فى الدرجة الأولى ذلك العلم الضرورى بأسس العبادات للّه تعالى من طهارة وصلاة وزكاه وصوم وحج ومعرفة الكبائر والصغائر .. وما يدعو

إليه الدين من فضائل الأعمال.. وأن يفرق بعلمه هذا بين الحرام والحلال والجائز والمكروه والمستحب .. وأن يتعلم كذلك كيفية تلاوة القرآن الكريم ونطق حروفه وإظهار مخارجها ..

فهذا العلم هو فرض عين على كل مسلم ومسلمة قادر أو قادرة عليه بأية وسيلة للتعلم سواء بالقراءة أو الاستماع .. أو تقليد من يثق في صلاحه وتقواه وعلمه..

ولعل المقصود من قول رسول اللّه ﷺ " رفع عن أمتى .. الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " كما رواه الطبراني أن الخطأ هنا مقصود به الخطأ الناتج عن اجتهاد سبقه علم .. أى مسألة عرضت لإنسان فجأة .. فاجتهد فيها على قدر علمه بالشرع فأخطأ .. أما أن يكون جاهلا بها من الأصل دون عذر مقبول مع عدم اجتهاده فى معرفة الخطأ والصواب فذلك شأن آخر.

ولأضرب لك مثال من أحكام الفقه عندنا : إذا نزل المسلم فى مكان وحان وقت الصلاة فتحرى القبلة بسؤال صاحب المكان أو باستجلاء الجهات الأصلية وصلى على هذا الأساس بعد أن اجتهد على قدر استطاعته .. فإن ظهر له بعد انتهاء الصلاة أنه كان إلى غير إتجاه القبلة فإنه لا يعيد الصلاة .. لأنه قد اجتهد قدر طاقته فإن اخطأ بعد اجتهاده فاللّه يغفر له خطأه..

أما إذا لم يسأل عن القبلة ولم يتحرَّ اتجاهها .. وصلّى دون اجتهاد منه ثم ظهر له بعد انتهاء الصلاة أنه قد صلى على غير القبلة فإنه تجب عليه إعادة الصلاة .. لأنَّهُ لم يجتهد فى معرفة الصواب .. فخطؤه على نفسه ومسئول هو عنه..

فأنت ترى أنه لم يصل إلى جهة القبلة في الحالتين .. غير أنه إذا اجتهد قدر استطاعته فلا إعادة عليه.. وإن قَصرَّ فى الاجتهاد فعليه

وقولنا إن المسلم عليه أن يتعلم قدر استطاعته هو محل نظر.. فالنفس بطبعها تميل إلى الكسل والشهوات وتتعلل بالأعذار .. فإذا كنت فى بلد إسلامى .. وحولك مسلمون والمساجد بها الأئمة والعلماء.. والدعاة فى كل حى وشارع .. والكتب التى تشرح النواحى الإسلامية ميسرة فى كل مكان .. فأى عذر لك بأمور دينك وأى استطاعة أنت لا تقدر عليها سواء كنت أميًا أو غير أمىّ!!.

إنك لو جعلت لك فى كل يوم دقائق معدودة لتنال من هذا العلم ما هو ضرورى لكفتك هذه الدقائق .. فإن كنت تضيع وقتك كله فى المدارس لدراسة العلوم الدنيوية . ثم تُضَيع باقى وقتك أمام أجهزة الإعلام ومسلياتها . فاى عذر لك إن أضعت نفسك بجهلك بأحكام دينك.. وأى استطاعة أنت لا تقدر عليها.

نعود فنقول إن هذه الدرجة الأولى من درجات العلم هى التى تنير لنفسك أول الطريق إلى اللّه تعالى لتعرف بداية أين أنت من الحلال والحرام ..

ثم بهذا العلم المكتسب .. تبدأ أنت فى الحكم على أعمالك المطابقة للشرع وغير المطابقة له .. وكذلك تستطيع الحكم على الخواطر النفسية التى تسبق الأعمال كما قلنا سابقا .. فإن خطر لك خاطر بأمر ما وزنته بميزان الشرع وعرفت إن كان حراما أو حلالا..

واعلم أن الخواطر الظلمانية .. أى التى تدعوك إلى فعل الشر هى نوعان .. الأول من الشيطان .. والثانى من النفس .. وكلاهما سيئ.. ولكن لكل منهما علاج .. فإن ألحّ عليك الخاطر وعاودك بذاته لا يتغير مرة بعد مرة فهو من النفس لتعلقها بفعله وشهوتها له.. أما إن تغير الخاطر وعاودك خاطر ظلمانى غيره فهذا يكون من الشيطان .. لأن إبليس لا

يعنيه ذنب معين .. فإن لم تستجب له في معصية دعاك لأخرى .. وهكذا..

وخير علاج لقطع هذه الخواطر الظلمانية إجمالا عنك هو تلاوة القرآن .. وذكر اللّه تعالى ..

فإذا ما علمت حدود الحرام والحلال من دينك فقد أصبح لديك ميزان الشرع الإلاهي .. ونوره الفارق لك بين الحق والباطل.. فليس لك ميزان غيره تعرف به الخطأ من الصواب فيما يعرض لك .. حينئذ يجب عليك أن تتنبه إلى ما أنت فيه من فتن كقطع الليل المظلم والعياذ باللّه.. وهذه الفتن هي مادرج عليه الناس من معاصي وساروا عليه من نهج ضال حتى صار لهم عادة وعرفاً يتحاكمون إليه .. فاحذر هذه الفتن وانظر إلى قوله تعالى (الأنعام-١١٦):﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ...﴾، وإلى قوله ﷺ "لا يكونن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت .. وإن أساءوا أسأت.. ولكن وطّنوا أنفسكم "

فالإسلام لا يعترف بعرف اجتماعي ولا قيمة اجتماعية إلا إذا كانت مطابقة لشرع اللّه تعالى .. وموزونة بميزان الحلال والحرام .. فلا حلال إلا ما أحله اللّه .. ولا حرام إلا ما حرمه اللّه تعالى .. أما العادات والأعراف فهي كما قلنا من قبل تختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن طبقة إلى أخرى .. ومن بلد إلى بلد.. فاحذر أن يُضَيِّع عليك التشبه بالناس واستجلاب رضاهم رضا الله عنك .. فإن أسوتك وقدوتك هو رسول اللّه ﷺ.. وأنت محاسب على أعمالك وليس على أعمال الناس. وليس لك منهم شفيع يوم القيامة..

واعلم أن الأصل في العبادات والطاعات هو الاتباع وليس

الابتداع.. فليس لك اجتهاد ولا رأى فى أمور الدين التى أقرها اللّه ورسوله.. وكل أمر تراه بين الناس وليس له سند ولا دليل شرعى يرفعه إلى كتاب اللّه وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين من بعده وصحابته الكرام فهو مرفوض مردود .. فقد أتم اللّه الدين وأكمله على رسوله ﷺ فلا تغير فيه بنقص أو زيادة ..

أما الأصل فى الأمور الدنيوية فهو الحِلّية أى التحليل.. فلا يحرم إلا ما حرم اللّه ورسوله .. ولا تسل عن السبب فى التحريم والعلة فى ذلك فإن العلم حتى اليوم لم يكتشف أسرار الكون ولا يدرك منها إلا أقل القليل.. وبالتالى لا يستطيع أن يدرك الضرر من كل ما حرم الدين.. فإن عرفت سبب التحريم فهو خير.. وإن لم تعرف فليس ذلك بالضرورى.. فالمقصود هو السمع والطاعة لأوامر اللّه بلا تعليل ولا تفنيد .. أى كما قلنا سابقا إن الدين هو ألوهية .. وعبودية .. فقط.

ونقطة أخرى نوردها لأهميتها .. تلك هى أن النفس بطبعها لا تعيش فى فراغ فهى إن لم تشغلها أنت بالحق شغلتك هى بالباطل.. ولا يمكنك تغيير أخلاق النفس إلا إذا أبدلتها بما يشغلها .. وقد سبق القول بأن النفوس فتنة بعضها للبعض .. فالنفوس الأقوى من نفسك شراً تجذب نفسك إلى الشر .. والنفوس التى هى أقوى من نفسك فى الخير تجذب نفسك إلى الخير .. فإن أردت أن تغير صفة ذميمة فى نفسك فلن تستطيع إلا إذا استبدلتها بصفة حسنة أخرى وتركت المجال والجو العام الذى تنمو فيه تلك الصفة الذميمة وعشت فى الجو العام الذى تعيش وتنمو فيه هذه الصفة الحميدة..

يقول ﷺفيما رواه أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى اللّه عنه "تحولوا عن مكانكم الذى أصابتكم فيه الغفلة " حديث صحيح.

وهذا يوضح لنا أنه حتى الأماكن فيها ما هو مبارك يساعدك على ذكر اللَّه تعالى ، وفيها ما هو غير ذلك.

فإذا كانت نفسك مثلا تميل إلى اللَّهو والطرب.. وتجلس فى مجالس أهل الفسق والفجور .. وأردت توبة من هذا الأمر .. فاستبدل مجلسك هذا بمجلس خير وذكر فى مسجد مثلا .. فتترك المكان إلى المسجد.. وتترك الطرب واللَّهو إلى الذكر .. أما إذا انقطعت من مجلس اللَّهو والطرب ولزمت بيتك دون أن تقوى نفسك بطاعة بديلة فإن النفس سرعان ما تملّ المنزل وتحنّ إلى اللَّهو .. ولا تزال تعاودك وتلحَّ عليك حتى تعود كما كانت..

فعليك أن تعامل نفسك كالطفل إذا تعلق بدمية تؤذيه .. فخذها منه وأعطه بديلا منها لعبة أخرى يتعلم منها ما ينفعه .. فهذه هى التربية.

واعلم أن النفس هى كالطفل حقيقة .. فهى سريعة التأقلم إن وجدت منك إصرارا على تقويمها.. وانظر إلى أمر بسيط نلاحظه فى شهر رمضان .. فأنت تجد صعوبة فى صيام الأيام الأولى منه وتشعر بالجوع والعطش فى أوقات إفطارك وغدائك .. وعشائك قبل الصيام فإذا انتهى رمضان فإنك تجد نفسك قد تعودت على الإفطار والسحور ولم تعد تقبل إفطارا وغداءً حتى تتعود مرة أخرى على النظام الجديد..

وكم من أمور فى حياتك العادية أنت تعتبرها ضرورية لمعيشتك ولا غنى عنها.. فإذا اضطرتك الظروف القهرية إلى تركها والتنازل عنها.. انعدمت رغبتك فيها وصرت تنظر إليها على أنها لا ضرورة لها..

ومقصود كلامنا هو أن تعامل نفسك كالـمُربِّى لها .. وأنت الأعلم بما يصلحها وما يفسدها وميزانك فى هذا هو ميزان شرع اللَّه لا غير.

ومن هذا تفهم قوله ﷺ"إنما العلم بالتعلّم .. والحلم بالتحلّم"..

وقوله ﷺ "اقرأوا القرآن وابكوا .. فإن لم تبكوا فتباكوا .." فكل هذا هو تدريب للنفس وتوطين لها لاستخراج ما فيها من خير .. حتى يصير اصطناعك للطاعة والعبادة طبيعة لا اصطناع فيها ..

ولا تتصور أن هذا هو النفاق أو الرياء .. فإنما النفاق والرياء لمن يقصد الناس في العمل من دون اللّه تعالى .. بينما أنت في كل هذا تقصد وجه اللّه تعالى وتقصد مداواة نفسك من أمراضها ولا مانع من وضع بعض العسل أو السكر في الدواء حتى تستسيغه النفس في البداية.. فإن ذاقت بعد ذلك حلاوة الإيمان والشفاء من أمراضها صارت العبادة هي مبتغاها وراحتها ..

وهذه المرحلة هي أشد المراحل في تهذيب النفس ذلك لأنها في أسفل سافلين وغارقة في شهوات الدنيا من كل جانب .. ونورها ضعيف .. ومنطقها عقيم .. وتفكيرها مُعتل .. لذلك وجب عليك صدق الالتجاء إلى اللّه تعالى وكثرة الدعاء والرجاء إليه والاستجارة من نفسك وغوائل شهواتها .. وأن تستعين بالصالحين من عباد اللّه الذين سبقوك في هذا العلاج وتكثر الجلوس معهم لتستفيد من أرواحهم ونور مجالسهم و علمهم .. فلا تصاحب إلا من يعينك على طاعة اللّه وأن تبتعد عما يلهيك عن ذكره جل شأنه..

فإن فعلت هذا -وإنك إن شاء اللّه لفاعله- فإنك ترى الأمور حينئذ على حقيقتها وقد تكشفت لك .. فتعلم إلى أي مدى أنت بعيد عن اللّه تعالى ؟.. وكيف أنك قد نسيت آخرتك وموتك .. وعذاب القبر وتركت ربك وهدايته ..

وبهذا يبدأ الندم ينمو في نفسك .. والحرص على الطاعة يزداد فيها ويكبر الصراع فيها بين الخير والشر .. ولكنك الآن قد عرفت الشر ومقاييسه وأصبحت لا تلتمس العذر لتهاونك في طاعة اللّه .. فتذكره مرة

وتغفل عنه مرات .. وتنازعك نفسك إلى الدنيا فتنجح في ردعها مرة وتفشل مرات .. فهذه هي رتبة النفس اللوامة التي أقسم اللّه تعالى بها في كتابه من شدة ما تعاني من جهاد وتعب .. فلا هي مطمئنة إلى الآخرة .. ولا هي تاركة لشهوات الدنيا..

وهذه المرتبة هي تقريبا مرتبة عامة المسلمين .. فهم بين الخير والشر والذكر والغفلة..

ومن خطورة هذه النفس كثرة لومها على نفسها وعلى الناس أيضا.. فهي كثيرة اللوم والنقد لهم .. والخطورة تكمن في أن انشغالها بالناس والحكم عليهم وعلى أعمالهم قد يجرها إلى الغيبة والنميمة والحقد والحسد والتكبر على عباد اللّه لظنها بأنها افضل منهم .. وكذلك قد يجرها إلى مزيد من الرياء لتظهر بمظهر من هي أفضل وأقوم ..

فالحصيف وهو في تلك المرحلة هو من لا يتعدى نظره نفسه باحثاً عن عيوبها .. محاولا تقويمها مريحا الناس من شره . ولا ينظر إلا إلى من هو أكثر منه عبادة وتقوى لعله يستفيد منه ..

ويعلمك رسول اللّه ﷺ مفاتيح تأديب النفس فيقول " أمسك عليك لسانك .. وليسعك بيتك .. وابك على خطيئتك" .. فالصمت إلاَّ عن ذكر اللّه تعالى هو أعظم باب للتقوى .. والانعزال عن الناس إلا للضرورة من معيشة وعلم وأدب أو عمل هو خير باب للتفكير في نفسك وقضاء وقتك فيما يفيدك في الآخرة .. والندم على الخطايا والذنوب هو خير باب للتوبة النصوح والإقبال على اللّه تعالى ..

واعلم أن العبد مطالب في تدرج تهذيب نفسه بالبعد أولا عن الكبائر .. ثم اجتناب الصغائر .. مع الاقبال على التمسك بسنة رسول اللّه ﷺ قدر استطاعته ويزيد تمسكه بها إقتداؤه بالرسول ﷺ شيئا فشيئا..

يروى أحمد ومسلم وغيرهم عن أبى هريرة رضى اللّه عنه ان رسول اللّه قال ﷺ " ذرونى ما تركتكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشيئ فاتوا منه ما استطعتم ، واذا نهيتكم عن شيئ فدعوه " حديث صحيح

واعلم كذلك أن أغلب الكبائر إنما تجرك إليها الصغائر.. فالزنا وهو كبيرة بابه النظر إلى المحرمات .. فالنظرة سهم من سهام إبليس كما قال ﷺ فإن وفقك اللّه وأعانك على اتقاء هذه النظرة فقد أغلقت فى وجه إبليس باب الزنا .. وهكذا تجد لكل كبيرة مفتاحاً لها من الصغائر.. فالطمع فى الدنيا يجر إلى الربا .. وحب المال يجر إلى الظلم.. والغضب قد يدعو إلى القتل .. وهكذا..

وحب الدنيا فى الحقيقة هو باب كل خطيئة .. فإن زهدت فيها بقلبك ولم ترد منها إلا الضرورة التى تحفظ عليك وعلى أهلك الستر مع الكفاف فقد أرحت نفسك من جهاد كبير.. يقول ﷺ " اليد العليا خير من اليد السفلى .. وابدأ بمن تعول ولن تلام على كفاف .." يعنى أن معطى الصدقة خير من آخذها .. والواجب عليك أن تكفى أولا من تعولهم لأنك مصدر رزقهم الذى جعله اللّه لهم .. ولا تسرف ولا تقتر .. ولكن عليك بالكفاف. أى بحد الكفاية .. ولن تلام عليه من مؤمن منصف أما إن لامك أهل الدنيا وأصحاب شهواتها فلا تلتفت إليهم فإنما هم فتن حولك..

وليس المقصود بالزهد فى الدنيا هو أن تترك أسباب معاشك وتعيش فقيرا تتكفف الناس .. فهذا ليس بالزهد.. فربّ فقير محروم متمسك بالدنيا حريص عليها مشغول بها قلبه .. ورُبّ غنى متيسر الحال وهو زاهد فيها لا يلتفت إليها .. فالمقصود بالزهد هو ألا ينشغل بها قلبك ليل نهار وألا تكون هى أكبر همك ومنتهى أملك فإن جاءتك فبها

ونعمت.. وإن لم تأتك فقد أراحتك من الهم فيها .. فلا مانع أن تكون الدنيا كلها في يدك ولكن انشغال قلبك لا يكون إلا باللّه والدار الآخرة فهذا هو المقصود من الزهد في الدنيا .. فمن انشغل بالدنيا نسى الآخرة .. ومن انشغل باللّه نسى الدنيا والآخرة فافهم ، ولقد كان في صحابة رسول اللّه ﷺ أغنياء مُوسِرون وكانوا زهاداً لا تلهيهم الدنيا ولا ما في أيديهم ويعطون عطاء من لا يخشى الفقر .. والغنى الشاكر افضل عند اللّه من الفقير الصابر .. لأن الغنى الشاكر ناظر إلى المنعم المتفضل عليه رب العالمين.

فالزهد المطلوب هو ألا تنشغل بالدنيا حتى وإن كانت في يدك فلا تأس على ما فاتك منها.. ولا تفرح بما أتاك فيها .. فلا تطلب من الدنيا ما قد يطغيك .. ولكن اطلب من اللّه تعالى ما يسترك أنت وأهلك.. فإن جاءتك الدنيا فأحسن القيام للّه فيها بما أوجب ولا تشغل قلبك عن اللّه طرفة عين .. أما الطمع في الدنيا فلا نهاية له كالشرب من ماء البحر لا يزيدك إلاّ عطشا .. ولو أن لابن آدم واديا من ذهب لتمنى أن يكون له واديان .. ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب.. وصدق رسول اللّه.

فازهد فيما في أيدى الناس يحبك الناس .. وازهد في الدنيا يحبك اللّه ..

وأقوى سلاح لك على نفسك في هذه الدرجة .. وفي كل درجات النفس بلا استثناء هو ذكر اللّه تعالى .. وخير الذكر هو قول لا إله إلاّ اللّه .. ترددها بلسانك وتكررها وأنت في كل حالة وفي كل وقت فإن لها سراً عظيما في قطع خواطر النفس والشيطان وهذا ما تحتاجه أبداً واجعل القول بلسانك وتعلم كيف يذكر قلبك مع لسانك فيردد معناها وهو ألا معبود بحق إلا اللّه .. أولا مقصود لك إلاّ اللّه .. بل في الحقيقة

لا موجود بحق دائم الوجود إلا اللّـه تعالى .. فلابد أن تردد بلسانك القول وبقلبك المعنى فإن ذلك ينير قلبك ويسمو بروحك .. ومع تكرار ورود المعنى على قلبك سوف تتذوق بإذن اللّـه معانى عَليّة .. لا تقال فى بيان .. ولكنك تحس بها فى قلبك فإن ذكر اللّـه الخالص يطمئن القلب وينير البصيرة .. وكذلك الذكر بلفظ الجلالة .. وهو اسم اللّـه .. الجامع لجميع الأسماء والصفات فإن له نوراً يحرق جميع الخواطر لينير قلبك بعد ذلك باللّه تعالى فافهم ..

أما استغفار اللّه تعالى فهو الباب الأعظم للتوبة الصادقة وإدرار الرزق عليك .. ألا ترى إلى قول اللّه تعالى فى سورة نوح:﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝ ﴾

وإذا كان رسول اللّه ﷺ يقول "إنى استغفر اللّـه تعالى فى اليوم سبعين مرة" وفى رواية "مائة مرة" وهو المعصوم من الخطأ والزلل .. فكيف بأمثالنا وذنوبنا ومعاصينا!!

أما الصلاة على رسول اللّه ﷺ فهى باب كل خير كما سبق أن قلنا وأنوارها تنير بصرك وبصيرتك وروح رسول اللّـه ﷺ تؤانس روحك ويصلى عليك اللّـه وملائكته .. ويذهب همك وينجلى كربك بنور الصلاة عليه ﷺ.

فهذه الأنواع الثلاثة من الذكر لازمة لك ولنفسك ولا غنى عنها..

ولكن هناك أمر فى غاية الخطورة .. وذلك هو ضرورة دوام واستمرار هذه الأذكار وإن قلّت .. فالقليل الدائم خير وأنفع من الكثير المنقطع .. ذلك لأن استمرارية الذكر باللّه تعالى يوالى تنزل الملائكة

على النفس بالرحمات والأنوار .. والانقطاع يحمل فى معناه أن اللّه تعالى لا يستحق منك هذا الذكر.. وصنبور الماء الذى تنزل منه نقطة نقطة تراه بعد زمن وقد أثرت نقاط الماء فى جانب الحوض الشديد الصلب .. بينما لو جمعت هذه النقاط الضعيفة المتتالية كلها وارقتها دفعة واحدة لما تركت أى أثر فى جدار الحوض..

فدوام الذكر أعظم شأنا من كثرة الذكر بلا استدامة عليه..

وكل ما ذكرناه سابقا أمور عامة تصلح لكل نفس .. ثم يبقى بعد ذلك أن تبحث أنت عن أحب أوجه الخير إليك .. فالأوفق فى هذه المرحلة أن تأخذ نفسك بما يناسبها من فعل الطاعات .. والا تشتد عليها فتسأم وتتمرد عليك .. فالأفضل أن تهادنها فى طاعة اللّه .. فنفس تميل إلى تلاوة القرآن .. ونفس تميل إلى ذكر اللّه .. ونفس تميل إلى قضاء مصالح الناس .. ونفس تميل إلى الاطلاع والعلوم الدينية .. وهكذا.. فالأوفق أن تختار لنفسك ما يوافقها من أوجه الخير وتزداد فيها نشاطا وعملا مع توجه قلبك إلى اللّه تعالى فى كل ما تعمل...

واعلم أن كل ما ذكر من جهاد لا يصلح معه إلا الرزق الحلال.. فإن أكل الحرام هو السبب فى كل معصية .. فاجتهد فى طلبه ودع ما يريبك إلى مالا يريبك فيه ..

ولا يثمر الجهاد ثمرته إلا إذا وجهت وجهك ووجهتك إلى اللّه تعالى .. فإن لم تخلص له جل شأنه وتبتغ وجهه الكريم وتتعلم كيف يتحدث قلبك بالشكر إليه ومراقبته جل شأنه وتجدد نيتك وتزكها فى كل ما تفعل فقد أجهدت نفسك بلا ثمرة..

ولا يخلو السير إلى اللّه من نكوص النفس إلى عاداتها وشهواتها .. فإن غلبتك نفسك وقُدِّرَت عليك فاحشة .. فاذكر اللّه تعالى واطلب رحمته وغفرانه.. وتب إليه .. حتى وإن تكرر الذنب فإن اللّه لا يملّ من

المغفرة حتى يملّ العبد من الاستغفار والتوبة .. فأنت تقصد كريما وسعت رحمته كل شئ .. وكل ابن آدم خطاء .. وخير الخطائين التوابون..

فاتجه بقلبك إلى اللّه دائما فى طعامك وشرابك وعملك وذكرك.. ونعمائك وبلائك فإن غفلت فارجع إليه .. وإن أذنبت فاستغفره.. وإن نسيت فاذكره .. فذلك أصل الهدى لمن أراد اللّه له الخير .. ويعينك على العبادة والطاعة ويورثك نوراً فى قلبك تنبسط له الجوارح بالعبادات والطاعات.. فاجعل همك الأكبر هو توجيه نيتك إلى اللّه فذلك هو المطلوب أولاً وأخيراً..

وتربية النفس عموما لها طريقان لا ثالث لهما .. فالأول ان تُعلّم جوارحك الطاعات وكثرة العبادات والبعد عن المنكرات والصفات الذميمة فى النفس .. فتنصب هذه الثمار على قلبك حتى ينير بإذن اللّه فيكون مثلك كمن أراد أن يروى أرضا له فحفر قنوات من الأنهار تمدها بالماء من كل جانب .. فكل قناة هى أسلوب عبادة تمد قلبك بالنور والهدى ولابد أن تكون حريصا على وصول الماء إلى أرضك من كل قناة بإحسان العبادة وحسن أدائها حتى تضمن ثمرتها إلى قلبك.. وهذا الأسلوب فيه جهاد كبير وفيه خطورة الانتكاس إذا ملّت النفس ولم تنجح فى سياستها ..

والثانى أن تتعلم مراقبة اللّه بقلبك أولا وتستعين بالذكر وحسن توجيه قلبك إلى اللّه دائما من البداية فحينئذ تنبسط جوارحك بالطاعة دون تكلف لأنك قد أصلحت قلبك أولا وهو المحرك لافعالك والدافع إليها فيكون مثلك حينئذ كمن حفر بئرا فى أرضه تمده بالماء العذب على الدوام .. فلا يخشى انقطاع الماء عنها من القنوات الفرعية.. فإن فيضان الماء من بئرك الخاص إلى أرضك الخاصة خير لك من سريان الماء إليها من قنوات موصلة إليها من الخارج .. فربما قطعها

عليك قاطع من النفس أو الشيطان بتكاسل أو غواية فتموت الأرض أو تجهد نفسك مرة أخرى فى حفر قنوات جديدة ..

لذلك فالتركيز على القلب منذ البداية وحسن مراقبة اللّـه تعالى وصدق التوكل عليه والإخلاص له هو الأفضل والأكمل .. ألا ترى إلى قول رسول اللّه ﷺ " ألا وإنَ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله .. ألا وهى القلب " فالابتداء بحسن توجيه القلب خير من الابتداء بجهاد الأعمال .. والجمع بين الاثنين أتم وأكمل ..

لذلك يقول الصالحون إن من دلّك على الدنيا فقد غشّك .. ومن دّلك على العمل فقد أتعبك .. أما من دلك على اللّـه فقد صدقك ونصحك ..

والمقصود بالدلالة على اللّـه تعالى هو حُسن توجيه القلب إلى اللّـه وتصفيته من الأكدار و الأدران الحيوانية ، ومن داوم على قرع الباب يُفتح له الباب .

وأعظم ما يعينك على تنقية قلبك وصدق التوجه إلى اللّـه تعالى اختيار الصحبة المؤمنة الصالحة ومجالسة المؤمنين من عباد اللّـه وقد سبق القول بأن النفوس والأرواح تغذى بعضها بعضا إما بالخير وإما بالشر والرجل على دين خليله فانظر من تخالل كما يقول رسول اللّه ﷺ.. لذلك قال رسول اللّه " لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقىّ ". أى لا يدخل بيتك وتأتنس إلا بتقىّ .. فالأرواح المؤمنة .. والقلوب الذاكرة للّه تعالى هى مهبط الملائكة ومحل الأنوار الإلاهية كما سبق القول فأنت بجلوسك معها مستفيد منها على كل حال .. إما بتعلم أو بدعوة صالحة من أصحابها أو بتأثير قلوبهم على قلبك .. واللّـه تعالى يقول عن يوم القيامة فى سورة الزخرف:﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾

وسوف يأتي بيان الصفات الذميمة التي يجب أن تهذبها في النفس وكذلك الصفات الحميدة التي يجب أن تتخلق بها في هذا الباب والباب الذي يليه بإذن الله.

وتنبه إلى أن النفس في هذه المرحلة تختلط عليها المعاني والحقائق حتى في منامها .. فلا تفرق بين الإلهام وأضغاث الأحلام .. وتميل إلى الجدل والانتصار للرأي ولا تعرف العدل في الأمور فيصعب عليها اختيار أواسطها اللهم إلا إذا راجع العبد نفسه بدقه وجعل ميزان الشرع نصب عينيه .. وأكثر من ذكر الموت وذكر الله تعالى .. ثم بتوفيق الله تعالى أولا وأخيرا ..

فإن تجاوزت هذه المرحلة .. وحبب الله إليك الإيمان وزينه في قلبك وكرّه إليك الكفر والفسوق والعصيان فقد فزت بالخير العظيم ..

حينئذ يغلب عليك حب الله ورسوله والمؤمنين .. وتصبح الطاعات عادة لك محببة إلى نفسك .. ويضيق صدرك وتندم أشد الندم إن غلبتك معصية أو ضعفت أمام إغراء .. فتسارع بالاستغفار وإتباع السيئة بالحسنة.. ويصبح فعل الخيرات لك سجيَّة مع قليل من المجاهدة.. فتتغير عاداتك ويغلب عليك ميزان الشرع وتزهد في مظاهر الدنيا إلا على قدر الضروة .. وتحس بأثر الذكر والعبادة في قلبك .. وتزداد للعبادة حبا وللذكر استغراقا في القلب وتتبدل رؤاك ومناماتك فتصبح ذات مغزى تارة تفهم وتارة لا تفهم إلا بمعونة غيرك .. وتتعلق بعوالم الملكوت وتشعر بانجذابك نحوه .. ويكون نومك قريبا من يقظتك .. وتصدق أغلب خواطرك .. ويبدأ اتجاه حكمك على الأمور إلى بواطنها

أكثر من ظاهرها فتتنبه إلى أفعال اللّه تعالى فى العباد والمخلوقات وتوقن أنها صور لا حول لها ولا قوة فيغلب على قلبك الحب والرحمة بالخلق وتميل نفسك إلى العفو عنهم والإحسان إليهم وذلك لمعرفتك بمدى ضعفهم الحقيقى .. ويلهمك اللّه الصواب فى أمور كانت مشتبهة عليك من قبل فتبتعد عنها وعن الريب والشك وذلك بميل طبَعىٍّ تجده فى قلبك .. وتعاف نفسك الكثير من مظاهر الدنيا وشهواتها .. وتحس بتدبير اللّه تعالى لك وفى نفسك ولأمورك فتتعلم التسليم إليه والرضا بقضائه .. وتنبت فيك خصلة شكر اللّه تعالى .. وتزهد نفسك فى الدنيا وما فيها .. وأمور كثيرة يصعب حصرها حيث إنها تختلف من نفس إلى أخرى .. ولكن ما ذكرناه هو الإطار العام الذى يحيط بالنفس.

فاعلم حينئذ أن اللّه تعالى قد وفقك بفضله إلى أعلى درجة فى مرتبة النفس اللوامة وأن جهادك لنفسك بشرع اللّه تعالى قد أثمر الخير بإذنه وعونه جل وعلا..

صحيح أنها لم تتخلص تماما من الصفات الحيوانية ولكن ميزانها قد صار لصالح عالم الملكوت وانجذبت إليه ومال طبعها إلى الخيرات.. وبدأت تتطلع إلى الآخرة والأمور الروحية الغيبية فتنكشف لها مبادئ تلك العوالم وتجذبها إليها ويبدأ فيها نمو علم الباطن وازدهاره.

فمن أراد اللّه تعالى له الكرامة والعزة .. رفعه اللّه تعالى من هذا المقام إلى مرتبة النفس الملهمة .. وهي النفس العالمة بالخير والشر بغير علم مكتسب لها بل بعلم موهوب من اللّه تعالى وبنور فى باطنها فيكون ذلك لها ذوقا وحالا..

وتلك نفس تجافت عن الدنيا ولم تأخذ منها إلا الضرورات التى تقيم أودها وتستر عرضها .. وتتساوى عندها ملذات الدنيا بمصائبها.. فهى ليست ناظرة إليها أصلا .. قلبها شاكر .. ولسانها ذاكر .. وروحها تتفكر

فـى ملكـوت رب العـالمين .. تـرى اللّـه تعـالى وصـفاته فيمـا تـرى مـن موجودات .. تُفرد اللّـه تعـالى بالـوحدانيـة .. ورسـوله ﷺ بـالحب.. والمؤمنين بالإيثار .. صمتها دائم .. وعبراتها كثيرة بسبب وبدون سبب بكاؤها قريب وضحكها عزيز .. نومها كاليقظة .. ويقظتها تدبر وتفكير باطنى .. فهى مع الناس وليست معهم كثيرة الذهول عما حولها لانشغالها بما هى فيه .. ليست لها فى الدنيا رغبة ولا شهوة إلا ما يساعدها على طاعة اللّه ، متمثلة فى كل شئونها بقوله ﷺ " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللّه وما والاه وعالما متعلما " أى ما يجر إليه ويحبب فيه ويساعد عليه.، يهديها اللّه تعالى بنوره لنوره .. ويضرب لها الأمثال فى اليقظة والنوم ، كثيرة الرؤى فى منامها لأرواح الصالحين والأموات.. تتعلم منهم وتتأثر بهم ، ليس لها لنفسها من نفسها حظ .. يتساوى عندها المدح والذم.. فهى مشغولة بما هو أهم .. آخرتها نصب عينيها .. وموتها قريب منها وآخرتها فى نشر .. ودنياها على العموم فى طى وانكماش، يفيض اللّه عليها بمعانٍ جديدة فى القلب ... ويعلمها ويشرح صدرها لأنوار الذكر ، محبة لتلاوة القرآن والاستماع إليه متذوقة لحلاوة اليقين والإيمان ، خواطرها الظلمانية قليلة وضعيفة لا تتمكن منها ، ينطبق عليها قوله تعالى فى سورة الأعراف :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

فالشيطان لا يقربها إلا مساً خفيفا غير متمكن منها ..، بصرها منقدح فى بصيرتها.. تظهر لها أنوار الحقيقة فى الأمور الشرعية.. والحقائق الشرعية فى الأمور الباطنية فتعلم أن اللّه تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن .. فالغائب عندها حاضر .. والحاضر عندها غائب.. يغلب عليها الحب .. ورقة القلب .. لها نصيب كبير من الذكر وقيام الليل.. وليست لهامع الناس راحة .. قليلة الطعام قليلة المنام قليلة

الكلام..

فالنفس فى هذه الدرجة هى فى أول درجات الأبرار.. وهذا أول منزل من منازل الذكر بالروح .. وليس بالقلب ولا باللسان..

وقد سبق القول بأن عالم الغيب لا يوصف بلسان وكلام لاختلاف مقاييسه عن عالم الإدراك والحس المادى .. فأسرار هذه النفس لا توصف بلسان .. فنمسكُ عن الكلام فى هذه الأسرار .. فإن من يصل إلى هذه المرتبة ليس فى حاجة إلى علم يقرأه منقول هالك عن هالك.. فإن علمه باللّه تعالى مالك الملك والممالك .. ومن لم يصل إليها لا تنفعه القراءة عنها . وإن قرأ فلن يفهم المقصود من الكلام لاختلاف المقصود منه عن المعنى العام .. وإلا فقل لى بربك ماذا فهمت من قولى إن النفس فى هذه المرحلة حاضرها غائب وغائبها حاضر!!!

إنما أردنا أن نقرب لك المعانى قدر الاستطاعة . واللّه تعالى هو المصور وهو الذى يصور المعانى أيضا فى الأفهام .. فافهم وتصور !!!

وإذا كانت هذه هى درجة الأبرار أو هى أدنى درجات المقربين.. وأقل درجة من درجات الذكر بالروح فكيف باللّه تكون الدرجات العالية للنفوس المطمئنة والراضية والمرضية والكاملة.

وإذا كنا نتساءل عن كيفية الذكر باللسان وسريان المعنى على القلب .. وعن كيفية الذكر بالقلب مع اللسان أو بدونه .. فأنىّ نحن من الذكر بالروح .. وبعالم السر وسر السر وغيرها.

ولعلك الآن قد عرفت فضل صحابة رسول اللّه ﷺالذين كانوا بلا شك من أقرب المقربين إلى اللّه تعالى .. وهم الأبرار .. وهم أصحاب اليمين.. وكم حملت أرواحهم من أنوار وأسرار وهم بين يدىّ رسول اللّه حتى كان الصحابى يقول لأخيه قبيل الحرب. إنّى لأجد طعم

الجنة وأشم ريحها . وكانت الملائكة تسلّم على سيدنا عمران بن حصين وكانت تنير الطريق فى الليل أمام سيدنا أسيد بن حضير ويقول سيدنا حذيفة بن اليمان لرسول اللّه : كأنى أرى عرش الرحمن بارزاً .. فلا يكذبه رسول اللّه بل يقول له عرفت فالزم ..

ولعلك أيضا قد أدركت إلى أى مدى قد وصلت إليه حياتنا الروحية.. وتعلقنا بالدنيا وأوهامها .. وكم ابتعدنا عن اللّه تعالى وأنواره وأحكامه وصارت أحكامنا مستمدة مما درج عليه الناس بجهلهم وبعدهم عن اللّه تعالى .. وصارت قدوتنا لرجالنا ونسائنا من يسمونهم بنجوم الفن ووجوه المجتمع.. أى فن باللّه عليك .. وأى مجتمع !!!.

مَر رسول اللّه ﷺ بجيفة منتفخة قد تنتن ريحها.. فقال لأصحابه أيكم يحب أن تكون له هذه بدرهم !! فعجبوا وقالوا ليس منا يارسول اللّه من يود أن تكون له هذه الجيفة لا بدرهم ولا بغير درهم.. فقال ﷺ إن الدنيا لأهون عند اللّه منها !!!.

وفى الحديث الصحيح كما رواه أحمد والطبرانى يقول ﷺ "إن اللّه تعالى جعل ما يخرج من إبن آدم مثلا للدنيا "

لم يكن هناك أيام الصحابة مجار لمخلفات الناس تتجمع فيها الأقذار كما هو اليوم .. فإن أردت أن تعرفَ قدر الدنيا وقيمتها وما يتعارك الناس عليه وما يبيعون آخرتهم لأجله فانظر – أكرمك اللّه – إلى هذه المجارى .. أليست هذه هى شهوة البطن والفرج .. نهايتها كلها المجارى وعفن القبور !!. وانظر إلى نفسك على طعام وتدبر هل تحس بحلاوته وشهوتك إليه بعد أن يتجاوز حلقك!! فإن تجاوز حلقك إلى بطنك تساوى الحلو مع المر .. والخبز واللحم .. وقنعت نفسك بما ملأ بطنك.. فهذا هو نعيم الدنيا ومقدار زمن تنعمك به.. لا يزيد عن مروره فى حلقك !!.

دخل أحد الصالحين على هارون الرشيد رحمة اللّه عليه.. وكان الرشيد رجلا تقيا باراً مجاهداً يحج عاما ويجاهد فى سبيل اللّه عاما وليس كما يصوره المغرضون رجل شهوات ونساء وحسبنا اللّه ونعم الوكيل فيهم. فقال الرشيد للرجل عظنى .. فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ما أنت بفاعل إذا حُبس عنك الماء فى يوم شديد الحر. قال الرشيد أشترى الماء بنصف ملكى .. قال الرجل الصالح وماذا أنت بفاعل إن حُبسَ فيك الماء !! قال الرشيد أبذل فيها نصف ملكى الآخر. فقال الرجل : أى ملك هذا الذى تبيعه بشربة ماء . فبكى الرشيد حتى ابتلت لحيته .. ولما رجاه الرشيد أن يزوره بين آونة وأخرى قال له الرجل إن عندك فى كتاب اللّه وشريعته ما يغنيك عن زيارتى .. وإن عندى من انشغالى بآخرتى ما يغنينى عن زيارتك فلا تشغل نفسك ولا تشغلنى بما لا يفيد ...

وصدق رسول اللّه ﷺ " إن الدنيا لو كانت تساوى عند اللّه جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء" .. ولكن اللّه تعالى قد استخلفكم فيها لينظر كيف تعملون والإنسان ظلوم جهول .. ظلوم لنفسه فيوردها موارد التهلكة فى الآخرة بشهوات الدنيا الفانية جهول بفضل ربه ونعمه عليه .. وإن أظلم الظالمين من ظلم نفسه ... وطوبى لمن أعتق نفسه من النار .. وهذبها وأصلحها مستعينا باللّه ..

وقد علمنا شرع اللّه تعالى أن النفس بطبيعتها تتعامل مع جهات ثلاث هى قنوات معاملاتها .. مع اللّه تعالى .. ومع خلق اللّه .. ومع نفسها ... فيجب أن يُهذب خلقها فى كل هذه المعاملات.

فصفاتها مع اللّه تعالى مثل الصدق والكذب والإخلاص والرياء والرضا والجزع ..

وصفاتها مع خلق اللّه مثل الحب فى اللّه والنصح للمسلمين

والتعاون على البر والتقوى وما هو ضدها من الصفات الذميمة ..

وصفاتها مع نفسها مثل الكبر والعجب والغضب وحب الجاه وما هو ضدها من الصفات الحميدة ..

ونوجز لك تعريفا مبسطا موجزا لأخطر الصفات الذميمة والصفات الحميدة فى النفس.

* * *

١- التبذير والإسراف :

وهو تجاوز حد الاعتدال بلا ضرورة .. والتبذير يكون فى المال والإسراف فى الأعمال .. يقول تعالى فى سورة الإسراء: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ ، ويقول فى الأعراف-٣١:﴿ ... وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ فالإسراف غير محمود حتى فى الأمور الحلال .. فكيف يكون فى الأمور المحرّمة !!. واعلم أنك لو أنفقت مائة ألف درهم فى مكانها الصحيح الشرعى فأنت لست مبذرا ، ولكنك لو أنفقت درهما واحدا فى غير مكانه أو دون ضرورة فإنك تحاسب عليه . ، فالمقصود أن تضع كل أمر فى مكانه الصحيح ..

والإسراف فى شهوات الدنيا الحلال كالطعام والشراب والملبس وشهوة الفرج يصيب النفس بالإظلام والابتعاد عن الشفافية .. ويجعلها عبدا لشهواتها .. يقول ﷺ"ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه .. بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه .. فإن كان ولابد فاعلا .. فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .. " فيحدد ﷺحد الاعتدال فى الطعام بأنه لقيمات على قدر الضرورة فإن زادت فلا تتعدى ثلث البطن امتلاءً.. كما يقول ﷺ إن الشيطان يجرى فى ابن آدم مجرى الدم فى العروق فلنضيق عليه بالجوع.

والتربية الإسلامية كلها قائمة على حد الاعتدال فى تناول الشهوات الحلال .. وذلك حتى لا تكون النفس أسيرة لشهواتها .. ومن

أسرف فى الأكل والشهوات .. أسرف فى النوم .. ومن أسرف فى النوم يفوته حظ كبر من العبادة والذكر ..

٢- الغضب :

وهو فوران الدم فى القلب وشدة اندفاعه إلى الرأس وأعضاء الجسد والمقصود به الغضب لحظ من حظوظ نفسك .. أما الغضب للّه تعالى فهو محمود.

والغضب قوة فى النفس يزكيها الشيطان حتى يخرج المرء عن وعيه.. يقول ﷺ " ليس الشديد هو الشديد بالصرعة .. ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ".. فالغضب قد يكون مدعاة لأن يفقد الإنسان رشده فيأتى بتصرف قد يندم عليه فيما بعد .. وغضبت السيدة عائشة رضى اللّه تعالىعنها مرة فقال لها رسول اللّه ﷺ " جاء شيطانك.." فقالت وأنت مالك شيطان يا رسول اللّه .. فقال بلى ولكن اللّه أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير.

ومن السنة أن المرء إذا غضب وكان واقفا أن يجلس .. وإن كان جالساً يضطجع وأن يتوضأ أو يغتسل حسبما يتيسر له وأن يستعيذ اللّه تعالى لإطفاء نار الغضب .. ويمدح اللّه تعالى الكاظمين غيظهم بقوله فى سورة آل عمران:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

وتدل الآية على درجات ثلاث .. الأولى كظم الغيظ فى النفس..

والثانية العفو عمن أساء إليك ... والثالثة وهى أعلاها الإحسان إلى من أساء إليك ..

ويحكى أن عبدا كان يصب الماء من إبريق لوضوء سيده جعفر الصادق بن على زين العابدين بن الحسين بن على عليهم رضوان اللّه تعالى.. فسقط الإبريق من العبد فانكسرت أنف سيدنا جعفر وسالت دماؤه على وجهه .. فارتعد العبد ولم يجد ما يقوله غير "والكاظمين الغيظ" فقال سيدنا جعفر كظمت غيظى فقال العبد "والعافين عن الناس" فقال عفوت عنك .. فقال العبد "واللّه يحب المحسنين" فقال سيدنا جعفر اذهب فأنت حر ويقول ﷺ "ما ازداد عبدٌ بعفوٍ إلا عزّا " ؟

فالغضب وشدته من الصفات المذمومة فى النفس.وعاقبته غير محمودة عادة.

٣- الكبر :

هو توهّم العظمة فى النفس والاستعلاء على خلق اللّه تعالى .. وهو من أرذل الصفات . فاللّه تعالى هو المتكبر ويقول فى الحديث القدسى " الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار " ويقول تعالى (غافر-٣٥): ﴿... كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ ، ويقول فى السورة نفسها (الآية-٥٦): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ ...﴾

فهذه العظمة المتوهمة فى النفس هى نتيجة لجهلها وعدم تبصرها فى ملكوت السموات والأرض .. وأين ابن آدم وأوله نطفة قذرة . وآخره جيفة قذرة .. وهو بين ذلك يحمل العذرة .. فعلام يتكبر.

يقول سيدنا أبو بكر الصديق وهو على فراش الموت " كفنونى فى ثيابى هذه وليس فى جديد !! " فقالوا يا خليفة رسول اللّه أنكفنك فى ثياب قديمة .. فقال رضى اللّه عنه : إن هو إلا للمرملاء .. (أى للصديد والقيح) وهذا هو أبو بكر الصديق صاحب رسول اللّه ﷺ !!.

وكان عمر بن الخطاب يحمل السويق والسمن على رأسه للنساء والصبيان والمحتاجين ويهيئ لهم الطعام وينفخ فى النار فتسيل دموعه على لحيته .. ولقد كان أسوتهم فى هذا هو رسول اللّه ﷺ الذى كان يأكل مع العبد فى إناء واحد .. ولا يأكل متكئا ويقول إنما أنا عبد.. أجلس مثلما يجلس العبد وآكل مثلما يأكل العبد ..

فالكبر من أوسع أبواب الشر إلى النفس ومنه ينبع الإلحاد والجحوم والجدل والخصام حتى يورث الكفر والعياذ باللّه..

٤- العُجب :

وهو إعجاب المرء بنفسه وسببه الكبر فى النفس بتوهم كمال من علم أو صفة أو عمل . سواء بصفاته أو بافعاله وهو قريب من الكبر..

والمؤمن لا يعجب بنفسه أبدا .. بل هو دائما يراها مقصرة .. متهمة .. وأنها أقل عباد اللّه طاعة وعبادة وذكرا للّه. ولا يرى لنفسه من أعمال الخير شيئا بل يرى الفضل كله من اللّه فهو الهادى للحسنات والموفق لها .. يقول تعالى فى سورة الحجرات : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٧) ﴾، فالمنة والفضل للّه تعالى فأى عُجْبٍ يكون للنفس.. لذلك يقول ﷺ"ثلاثة مهلكات .. هوى متبع .. وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه "

٥- الرياء :

وهو أن يطلب بقلبه رؤية الناس لأعماله.

ومنه ظاهر يدعوه إلى زيادة العبادة ليراه الناس ومنه باطن وهو حب رؤية الناس لعمله ليقال عالم أو كريم مثلا ، والرياء يحبط العمل ويضيع ثوابه ، يقول اللّه تعالى في الحديث القدسي " أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا يقصد به وجه اللّه والناس فهو للناس من دون اللّه" ويروى الطبراني عن سيدنا معاذ قول رسول اللّه ﷺ "أدنى الرياء الشرك "

وقياس الرياء يكون بازدياد طاعة المرء أمام الناس بخلاف بعده عنهم.. وكذلك فرحه بالمدح والثناء عليه فيزيده ذلك عملا ومظهرا صالحا.

٦- النفاق :

وهو إظهار خلاف ما يبطن فيظهر الصلاح أمام الناس ويتقن العبادة أمامهم.. فإذا كان بعيدا عنهم فلا صلاح ولا عبادة ، أو يظهر الإيمان ويبطن الكفر .. ، والنفاق اشد من الكفر عند اللّه ، لأن الكافر ظاهره كباطنه يستطيع المسلمون أن يتقوه ويحترسوا منه ، أما المنافق فضرره أكبر لأن فيه الخداع والغش والمكر يقول ﷺ " أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصا .. ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب .. وإذا عاهد غدر .. وإذا ائتمن خان .. وإذا خاصم فجر " ..

وباختصار النفاق هو إظهار خلاف ما في الباطن ..

٧- الغدر :

وهو نقض العهد وعدم الوفاء بما ألزم به نفسه أمام الله أو الناس.. يقول تعالى (الإسراء-٣٤):﴿ ...وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ ويقول ﷺ عن آيات المنافق إن منها إذا عاهد غدر .. فلا عهد له ولا ذمة .. وهو شعبة من شعب النفاق.

ولاحظ أن أول عهد أخذ عليك كان من رب العالمين فى عالم الأرواح كما سبق ذكره ، وقال اللـه للأرواح ألست بربكم قالوا بلى لذلك فالكافر قد نقض العهد وغدر ، والمؤمن الفاسق يكون غدره على قدر فسقه فافهم ..

٨- الخداع :

وهو أن يضمر فى نفسه غير ما يقول .. وهو قريب من الغدر.. يقول تعالى فى سورة البقرة :﴿يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾والمخادع صاحب تمويه وتورية وكذب .

٩ - الكذب :

وأدناه قول غير الحقيقة .. وهو كذب الأقوال.. وأعلاه النفاق وهو كذب القلب أو كذب الأفعال .. يقول ﷺ " إياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند اللـه كذابا.. " فانظر كيف يؤدى

الكذب إلى الفجور ثم إلى النار.. ويقول تعالى فى سورة التوبة:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١١٩) ﴾، ويقول فى سورة البقرة – ١٧٧ : ﴿ ... أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾، ويقول فى سورة الأحزاب– ٢٣ : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا (٢٣) ﴾ ، فالصدق يجب أن يكون فى الأقوال والأفعال كذلك وهو أن يكون باطنها كظاهرها.

والكذب ضده فى الأقوال والأفعال والكذب هو تغيير الحقيقة بأى أسلوب.. وبأية نسبة من التغيير .. فالكذب هو الكذب بأى مقياس.. فحتى الطُرْفَة (النكتة) تُعدُّ كما يقولون من الكذب .. أما رسول اللّهﷺ.. فقد كان يمزح ولكن لا يقول إلا حقا ..

ولم يصرح الرسول بالكذب إلا فى ثلاثة مواضع .. فى حديث الرجل امرأته .. جبرا لخاطرها وإبقاءً على ذات البين..وليس لسبب آخر. وهذا أمر دقيق فليس كل كذب بين المرء وزوجه مباحاً .. وهذا أمر يطول شرحه.. ، وفى الحرب ، والكذب على الأعداء لأنه فى سبيل اللّه ونصرة دينه فالنية فيه إلى اللّه تعالى.،، وفى حالة الإصلاح بين الناس فلا مانع أن يُنَمّى المصلح خيراً إلى هذا وإلى ذاك قاصدا تقريب المتخاصمين للّه تعالى..

ورغم هذا فإن الأفضل للمسلم ألا يلجأ إلى الكذب وله فى التعريض منجاة عنه .. ، والتعريض هو أن تعرّض بالمعنى المراد دون ذكره صراحة .. فإن جاء من يسال عنك فى المنزل مثلا وأنت لا تسمح ظروفك بمقابلته لضيق المنزل أو لأى سبب فالأفضل أن يقال للطارق

"قابله فى المسجد"

مثلا.. ولا يقال له إنك غير موجود فيكون القائل حينئذ قد عرّض بالمعنى المراد وهو أنك لا تريد مقابلته فى المنزل دون أن يعلن هذا.. ولم يكذب فيقول إنك غيرموجود فى المنزل..

١٠- الغرور:

وهو من أكبر أبواب السوء فى النفس .. وهو توهم قيمة أعلى من الحقيقة أو توهم الشئ على غير حقيقته وهو قريب من العُجب .. وهو السبيل إلى التكبر .. وقد سمى اللّه الشيطان بالغَرور لأنه توهم فى نفسه قيمة أعلى من سيدنا آدم عليه السلام وكذلك أنه يغّر الناس بالدنيا ويزينها لهم كذبا وبهتانا حتى يضلهم ..، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغُرور . لأنها زينة باطلة .. وشهوة بائدة كالسراب ..

١١- الحسد:

وهو تمنى زوال نعمة الغير .. والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار فى الحطب .. ويعلمنا القرآن الكريم كيفية الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد .. وأساس الحسد هو الحقد ، والحقد هو إخفاء العداوة فى القلب لعدم القدرة على الانتقام .. وكذلك أساسه البغض والكراهية.. فإن من يحب شخصا يتمنى له الخير .. أما من يبغضه فيتمنى زوال نعمته.. وهو مرض فى النفس خبيث .. وأساسه الاعتراض على توزيع اللّه تعالى لنعمه ورزق عباده .. فهو عدم الرضا بالقضاء أصلا مع عدم حب الناس .. وهو لا يغير من قضاء اللّه شيئا إلا بإذن اللّه ولا يجرّ إلا التعب والهمّ والنكد على صاحبه قبل المحسود.

١٢- الشح والبخل:

وهما ضد الإسراف والتبذير .. فالشح هو بخل النفس بأوجه الخير عموما .. فلا يسعى فى قضاء مصلحة لمسلم .. ولا يبذل جهدا فى عبادة.. أما البخل فهو إمساك المال حتى عن الضرورات وما يجلب له الفوائد.. يقول تعالى (النساء-١٢٨) : ﴿ ... وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ... ﴾ ويقول فى سورة الحشر-٩ :﴿ ... وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ ويقول: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ ... ﴾ (محمد-٣٨) ويقول فى سورة الأحزاب-١٩: ﴿ ... أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ ﴾

فالشح كما قلنا هو شح النفس عن الخيرات .. والبخل هو البخل بالمال وسبب الشح والبخل هو عدم الثقة بالله تعالى .. فالنفس بطبيعتها الحيوانية جزعة منوعة يقول تعالى فى سورة المعارج:﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

وليس من البخل أو الشح أن تحافظ على نعم الله تعالى وإن قَلّت وصَغُرَت .. فقد كان ﷺ يُجلّ النعمة وإن دَقّتْ.

والمقصود من عدم الشح وعدم التبذير هو أن تضع كل نعمة فى مكانها الصحيح فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عباده كما قال ﷺ وألا تأخذ من النعم إلا على قدر كفايتك ، وخير الأمور الوسط، ألا ترى

إلى قوله تعالى فى سورة البقرة-١٩٥:﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ اى لا تبخلوا فى الإنفاق فى سبيل الله فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة فى الآخرة بالشح والتقتير ..

١٣- الغيبة :

وهى ذكر أخيك بما يكرهه من صفات هى فيه..

يقول ﷺالغيبة هى ذكرك أخاك بما يكره .. قيل يا رسول الله أرأيت إن كان فيه ما أقول. قال ﷺإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ .. أى قد افتريت عليه بهتانا وزورا وهذا إثم أشد من الغيبة .. وهذه الصفة من أشد صفات النفس سوءا ..

يقول تعالى(الحجرات-١٢):﴿ ... وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ... ﴾..
فالغائب كالميت لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا أن يأخذ حقه منك وأنت تأكل لحمه لأنك تنتقص من قدره بوصفه بما يكره فتكشف عنه ستر الله تعالى وعن ما فيه من عيوب .. وقد رأى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه أثر أكل لحم الميت على فم من يغتاب الناس،.. وقد دخل رسول الله ﷺعلى امرأتين وأمر بطست وقال لهما " قيئا " فقائتا دما وقيحا ولحما خبيصا .. فقالﷺ.. جلست إحداهما إلى الأخرى تغتاب الناس.

فأنت مطالب أيها المسلم بأن تتقى الله فى إخوانك فلا تتحدث عنهم بما يؤذيهم أو بما يكرهون.

واعلم أن الغيبة نوعان .. وكلاهم إثم .. الغيبة الصريحة وهى ما ذكرنا .. والغيبة المكّناة .. وهى الا تقول قولا صريحا ولكنك تُوحى بالمعنى السيئ المقصود . كأن يسألك سائل عن شخص ما فتقول له "إنه بخير .. سامحه اللّه .. أستغفر اللّه العظيم مالنا ومال الناس" .. فأنت لم تقل شيئا سيئا صريحا .. ولكنك قد أوحيت لسامعك بأن ثمة شيئا سيئا فيمن يسأل عنه .. واللّه تعالى ينظر إلى قلوبكم والأعمال بالنيات ..

أما البهتان والعياذ باللّه فهو ادعاؤك على امرئ بما ليس فيه.. ومتروك لك تقدير وزر الزور والبهتان على الذى تفتريه عليه والإثم من وراء ذلك، فإذا كان جزاء الغيبة عند اللّه تعالى هو أن يأخذ من اغتبته من حسناتك إلى حسناته حتى تنتهى ثم تأخذ أنت من سيئاته إلى سيئاتك .. فماذا يكون جزاء البهتان والافتراء عليه!!!.

١٤- النميمة :

وهى نقل كلام يُكره نقله من شخص إلى شخص .. كرهه من نقل عنه أو من نقل إليه أو مستمع لهما .. ويدخل فيها كشف السر لمن ائتمنك عليه .. أو من علمت عنه سرا يكره هو أن يطلع عليه أحداً.. فهى كل كلام منقول لهتك ستر أو انتقاص قدر أو لإشعال فتنة.

يقول اللّه تعالى فى سورة القلم :﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ ، وقيل أن كل نمام هو ولد زنا استشهاداً بالآية السابقة لأن الزنيم هو ولد الزنا .. ويقول ﷺ "لا يدخل الجنة نمّام " وقال رسول اللّه " ألا أنبئتكم بشراركم. قالوا بلى يا رسول اللّه .. قال المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة.، الباغون للبرئ من العيب " ،

فنقل الحديث من شخص إلى شخص مرفوض أساساً إلا بحقه الشرعى وقصد وجه اللّه تعالى فيه وبشروط شرعية .. ومطلق ناقل الحديث فاسق.. يقول تعالى (الحجرات-٦) : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ... ﴾.

فإذا كان الحديث المنقول فيه زيادة ونقص وتغيير كلام قد يؤدى إلى تغيير المعنى .. فقد اضيف على النميمة بهتان وزور .. فإن أدى هذا الحديث إلى قطع رحم أو تفريق أحبة فى اللّه أو أمر سوء آخر.. فقد تَحَمَّل الناقل كل هذه الأوزار ولا حول ولا قوة إلا باللّه..

وصدق رسول اللّه ﷺ إذ يقول لسيدنا معاذ " ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم. أو على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم" !!

وكان رسول اللّه ﷺ يأبى أن يستمع لأصحابه على أصحابه وكان يقول لهم دعونى وأصحابى .. فإنى أحب أن أخرج إليهم نقى الصدر أو كما قال ﷺ .. والكلام فى النميمة طويل لأن الناس اصبحوا يسّمون المنكرات بغير أسمائها فيسعون بالنميمة بين الناس ويفسدون بينهم بدعاوٍ باطلة أو جهلٍ مؤذٍ .. واللّه حسبهم ..

١٥- حب الجاه والرئاسة :

وهو داء وَبيلٌ فى النفس .. وخطورته أنه قد يكون خفياً ولا يتنبه إليه المرء .. فيتغلف بمسميات أخرى .. وقد يظن المسلم أنه يدعو الناس إلى الخير وعلى صلاح أحوالهم .. بينما يكمن فى نفسه حب الجاه والرئاسة عليهم .. لذلك قيل إن آخر صفة ذميمة تخرج من نفوس الصالحين هى حب الجاه والرئاسة ..

وأساسه وأصله بعض الكبر والغرور فى النفس وإعجاب المرء بنفسه لذلك فهو يظن أنه أولى بالرئاسة والريادة وطاعة الناس له .. وهذا قاطع كبير عند اللّه تعالى ، ودواؤه محاسبة النفس على الدوام ومعرفة عيوبها، وإحسان الظن بالناس والإقبال على اللّه وعدم الالتفات إلى غيره..، يقول تعالى فى سورة المائدة-٥٤:﴿ ... فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) ﴾، فخفض الجناح للمؤمنين وعدم الترفع عليهم من صفات المؤمنين .. وليس طلب الجاه وحب الرئاسة عليهم ..

١٦- الجدال والمكابرة :

والجدل هو الدفاع بالباطل والانتصار للنفس أو الراى..، والمكابرة هى معرفة الحق ثم الحيود عنه كبرا وعنادا. يقول تعالى (الكهف-٥٤):﴿ ... وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) ﴾

ويقول فى سورة الأنفال:﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ (٦) ﴾

والمؤمن ناظر على الحق .. يبحث عن الصواب . فإن أخطأ اعترف واستغفر ولا يجادل ولا يكابر.

يقول ﷺ " أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقا . ، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً "

١٧- الظلم :

وهو عدم منح كل ذى حق حقه ..

فاللّه تعالى قد شرع لكل شئ حقاً فلربك عليك حق .. ولأهلك عليك حق .. ولنفسك عليك حق .. فالظلم هو ألا يأخذ كل صاحب حق حقه يقول تعالى (الأنعام-٨٢):﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ ، ويقول عن يوم القيامة: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ ...﴾ (الفرقان-٢٧) ، ويقول:﴿ ... وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (النحل-١١٨)وظلم النفس هو حرمانها من نور الهداية والطاعة فيدخلها ذلك النار.

١٨- الاستهانة بحرمات اللّه وشعائره:

وهذا خطر كبير يدل على نفاق فى القلب ورياء فى النفس.. والمقصود هو عدم احترام حرمات اللّه وشعائر دينه والوقوف عندها.

يقول تعالى فى سورة الحج:﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ ويقول (الحج-٣٠):﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ... ﴾ فالمؤمن عليه أن يعظم هذه الشعائر .. ألا ترى على أن المفطر فى رمضان لمرض أو سفر أو أى عذر شرعى يجب عليه عدم الإعلان بإفطاره احتراما لشهر رمضان المعظم.

* * *

هذه جملة صفات حذرنا الله ورسوله منها . وهى كما ترى منشؤها وأصلها حب الدنيا والاغترار بها .. وتغيير هذه الصفات صعب كل الصعوبة إذا حاولت أن تقتلعها ..لأن أصلها ثابت فى نفسك وهو حب الدنيا. فالحصيف من يعالج الداء من أصله فيقتلع حب الدنيا من قلبه أولا ويتجافى عن الغرور ويتجه على الله قاصدا وجهه فحينئذ يهون عليه اقتلاع هذه الصفات خاصة وإن بعضها مركب على البعض الآخر .. فالغرور مثلا يورث الكبر .. والكبر يورث حب الجاه وحب الجاه يورث الجدل والجدل يورث الكذب .. وهكذا ..

ونمثل كل الأمر بشجرة خبيثة .. فروعها هى هذه الصفات .. فكلما اقتلعت منها فرعا . نبت فيها غيره . فأنت فى جهاد مستمر باقتلاع الأغصان واحدا بعد واحد . لأن جذر الشجرة يغذيها فينبت غيره .. أما إذا انشغلت بقطع الشجرة من أساسها وجذورها فقد أرحت نفسك مرة واحدة .. والله هو المستعان وبه تتم الصالحات ولا توفيق إلا به سبحانه .. بقى أن نوجز لك أهم الصفات الحميدة التى أمرنا الله ورسوله بالاتصاف بها .. وهى أضداد الصفات الذميمة التى ذكرت من قبل ثم نزيد عليها صفات خاصة بنفوس المؤمنين ..

وأهم هذه الصفات ما يلى:-

• الصفات الحميدة للنفس :

١ - الكرم :

وهو سماحة الأخلاق وبذل المال للمحتاج وبذل النفس للخير والطاعات .. وهو الدرجة الوسطى المحمودة بين الإسراف والشح.. واللّه تعالى هو الكريم ويحب الكريم من عباده.

والكرم درجات .. فأدناه أن تعطى من سألك ما زاد عن نفقتك .. يقول تعالى فى سورة البقرة-٢١٩: ﴿... وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ....﴾.. أى ما عفوت عنه بعد سد حاجتك .

وأوسط الكرم أن تعطى المحتاج مما أنت محتاج إليه فعلا .. يقول تعالى فى سورة آل عمران-٩٢:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ ويقول فى سورة الحشر-٩ : ﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ....﴾ (والخصاصة هى شدة الاحتياج) فأنت فى هذه الرتبة تعطى المحتاج وأنت محتاج .. وتضيق على نفسك وتتنازل عن جزء من التوسعة على عيالك فى سبيل إكرام المحتاج والمعوز .. ،

وأعلى مرتبة فى الكرم هى أن يكون كل مالك للّه تعالى .. فلا تنفق منه إلا فى سبيل اللّه قاصدا وجه اللّه تعالى تاركا لفضول الحلال، فإن أكلت أكلت ما يكفيك وليس ما تشتهيه نفسك ، وإن لبست لبست ما يسترك أمام الناس تحدثا بنعمة اللّه ، لا ما تتباهى به على عباد اللّه، وهكذا فى كل أحوالك ، يقول تعالى فى سورة القصص-٧٧:﴿ وَٱبْتَغِ

﴿... فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ ... ﴾

فكل ما آتاك اللّه اجعله فى سبيل اللّه .. ولا تنس نصيبك من الدنيا أى من فعل الصالحات التى تنفعك فى الآخرة لأن الدنيا مزرعة للآخرة ونصيبك منها هو ما قدمته للآخرة .. وأحسن كما أحسن اللّه إليك من كل نعمة أحْسنْ منها ومن جنسها المال .. والعلم .. والصحة للّه تعالى .. ولا تبغ الفساد فى الأرض بأن تخسر الميزان .. ميزان الاعتدال والشرع.

يقول تعالى فى سورة النحل-٩٦:﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ...﴾ ويقول ﷺ " الصدقة تُطفِئ غضب الربّ كما يطفئ الماء النار.. وصلة الرحم تزيد فى العمر " وما أكثر الآيات والأحاديث الداعية إلى الإنفاق فى سبيل اللّه ..

ويكفى قول رسوله ﷺفيما رواه الترمذى عن أبى هريرة "أن السخىّ قريب من اللّه قريب من الناس قريب من الجنة ".

وكل مسلم عليه أن يأخذ من هذه الدرجات ما يناسبه .. فلا يسرف ولا يقتر .. فقد كان أبو بكر الصديق رضى اللّه عنه يقدم كل ماله للّه ولرسول اللّه فيقبله منه، وكان عمر بن الخطاب يقدم نصف ماله فيقبله منه ، بينما لم يقبل رسول اللّه من بعض صحابته إلا ثلث ماله فقط ، فكلٌ يعمل على شاكلته.. فانظر أنت أين درجة إيمانك من درجات الإنفاق .. ثم بعد ذلك أنت محاسب عليها..

ولا يخفى ما فى الكرم من تفريج هم المحتاجين . وستر عورات المسلمين .. والرسول ﷺ يقول " من فرج عن مؤمن كربة من كُرَبِ الدنيا فرج اللّه عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره اللّه

فى الدنيا والآخرة " واعلم أنه مكتوب على باب الجنة أن الحسنة بعشر والقرض بثمانية عشرة . ذلك لأن السائل قد يسأل ومعه بعض ما يكفيه، أما المقترض فلا يسأل إلا إذا كان احتياجه شديداً..

أما الكرم فى النفس فهو سماحتها ، والإحسان والعفو والتجاوز عن الذنب والتغاضى عن العيب.

٢ – الحلم والعفو :

وهما من سماحة النفس وكرمها .. وكذلك هما ضد الغضب .. أما الحلم فهو الصبر على الأذى وطول الأناة وضبط النفس عند الغضب، وأما العفو فهو التجاوز عن الإساءة والصفح الجميل، وهما لا يكونان إلا مع مقدرتك على من أغضبك أو أساء إليك، واللّه تعالى هو الحليم العفوّ.. فلا يعجل لعباده العقوبة عسى أن يتوبوا.. فإن تابوا عفا عنهم وبدل سيئاتهم حسنات فضلا منه وكرما، ويقول تعالى : ﴿ ... فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ....﴾ (الشورى –٤٠) ويقول فى سورة النور–٢٢:﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ... ﴾

ومن مأثور دعاء رسول اللّه ﷺ : اللّهم إنك عفوّ كريم تحب العفو فاعف عنا.. ، وكان يعلمها للسيدة عائشة رضى اللّه عنها عندما سألته بماذا تدعو فى ليلة القدر ..، ويقول ﷺ "ما ازداد عبد بعفوٍ إلا عزاً ".

ومن تجاوز عن سيئات الناس فى الدنيا تجاوز اللّه عن سيئاته يوم القيامة.

٣ – الإخلاص :

وهو صدق توجه النية إلى اللّه تعالى مع حسن إتقان العمل،

فيكون المؤمن علانيته كسره وسره كعلانيته ، لا ينافق ولا يكذب ولا يرائى..،

يقول تعالى فى الحديث القدسى " الإخلاص سر من أسرارى أودعته قلب من أحببت من عبادى"،.

وهو الباب الأكبر والأعظم للخيرات كلها حتى وإن قلّ العمل..، وهو ثمرة اليقين باللّه تعالى .. ، وهو ميزان الأعمال يوم القيامة فعلى قدر الإخلاص يكون الثواب بإذن اللّه.

يقول تعالى فى سورة النساء-١٤٦:﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ... ﴾
ويقول فى سورة الزمر-٣:﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ... ﴾

ولا يكون الإخلاص إلا إذا حجبت الناس عن عينك ولم تر إلا اللّه.. وقد قيل إن الإخلاص هو عدم رؤية الإخلاص ، أى أن المخلص فى الحقيقة لا يرى نفسه مخلصا بل هو دائم الاتهام لنفسه ، ودرجات الإخلاص لا نهاية لها .. وأمراضه وعللّه كثيرة .. ، والشرك الأصغر هو عدم الإخلاص الكامل.. ويحذرنا ﷺفيقول " اتقوا الشرك الأصغر" ويقول "إن الشرك ليسرى إلى القلب مثل دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء" ..

٤ - الصدق :

وهو ضد الكذب كما تعلم .. وهو صدق فى النية .. وصدق فى الأقوال وصدق فى الأفعال ، يقول ﷺ"إن الصدق يهدى إلى البر .. وإن البر يهدى إلى الجنة .. ولا يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند اللّه صدّيقا".

وقوله ﷺ"يتحرى الصدق هو غير يقول الصدق.. فالقول باللسان.. أما التحرى فيكون فى كل شئ من النية إلى الفعل..، فالصدق من الإخلاص.. وقد أشرنا إليه عند كلامنا عن الكذب..

٥ - الحب فى الله :

وهو ضد الحسد والحقد والغيبة والنميمة .. فلا تجتمع مع الحب فى الله فى قلب مؤمن .. فالمحب حريص على من يحبه حاضرا غائبا ، وفضل هذه الصفة لا يوصف .. وقد جعل الله تعالى حب العبد له أعلى درجة فى العبادة فقال تعالى فى سورة المائدة-٥٤: ﴿... بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وقال يصف المؤمنين فى سورة البقرة - ١٦٥:﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ وقال يصف الأنصار فى سورة الحشر-٩: ﴿ ... يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ...﴾ فحب الله ورسوله فرض وحب آل بيته وصحابته فرض .. وحب المؤمن فرض ..

واعلم أن القلب الملئ بالحب هو قلب ودود .. رحيم .. رقيق .. عفوّ .. كريم يجبر خواطر المنكسرين .. ويعفو عن المخطئين .. ويتجاوز عن المسيئين .. وقد سبق القول بأن القلوب المحبة تسقى بعضها بعضا .. ومن أحب مؤمنا أظلهما الله تعالى تحت ظله يوم القيامة .. ، ودعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب مستجاب ويقول الملك ولك مثل ذلك.

ومن أحب الله ورسوله فقد نال الدرجات العليا ، واستأنس بحب رسول الله ﷺ.. واستنار بنور قلبه الأقدس ..، والمرء مع من أحب يوم القيامة ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه .. وكشف له أسراره .. وتولاه بعنايته ..

٦ - الفتوة :

وهى أخذ النفس بالعزم والقوة فى الطاعات .. وسرعة النجدة لمن استجار بك فى الله.. يقول تعالىفى سورة الكهف-١٣ : ﴿ ... إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة مريم - ١٢:﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ...﴾

ويقول لسيدنا موسى عن الألواح (الأعراف-١٤٥):﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ...﴾

فالفتوة كما هو واضح هى شدة الهمة وقوة العزم التى ترهب الشيطان ..، مع ترقُّبِ النفس لكل نداء وكل عمل فى سبيل الله..

٧ - حفظ الأمانة والعهد :

وهو ضد الخيانة والغدر .. يقول تعالى فى سورة الإسراء-٣٤: ﴿.... وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ ويقول : ﴿...وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا ...﴾ (البقرة-١٧٧) ويقول فى النحل-٩١:﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ... ﴾

وأول عهد أخذ عليك كان يوم " ألست بربكم " حيث يقول تعالى فى سورة الأعراف :﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا

يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ فى عالم الأرواح قبل حضورك إلى الدنيا ، فأنت مطالب به ومسئول عنه يوم القيامة ، ثم إنك مسئول عن كل عهد فى طاعة اللّه يؤخذ عليك ، ولقد عاهد ﷺصحابته على أمور كثيرة اختلفت من موقف لموقف ومن جماعة إلى جماعة .. فعاهدهم على الجهاد ونصرة دين اللّه..، وعاهدهم على الإيمان وترك المنكرات، وعاهدهم على الصدق، وعاهدهم الا يسألوا الناس شيئا ..

والأمانة هى كل ما ائتمنت عليه من سر أو وديعة أو مال .. وأول أمانة عندك هى نفسك وإصلاحها .. وجسدك وقيامك عليه ..، وإيمانك هو أمانة عندك .. وإسلامك كذلك .. وأنت مسئول أن تقوم فى كل أمانة بما أوجب اللّه تعالى فيها.

٨ – العدل والإحسان :

العدل هو إيتاء كل ذى حق حقه .. وضده الظلم .. والإحسان هو الفضل والزيادة .. يقول تعالى فى سورة النحل:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ ويقول فى سورة الأنعام–١٥٢:﴿... وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ .... ﴾ ويقول جل شأنه فى سورة التوبة–١٢٠:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ ويقول فى سورة المائدة–١٣:﴿... فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ،

فالعدل إذا فى القول وفى العمل .. والإحسان يكون فى كل شئ كذلك.

٩ – الشكر :

وهو بمعناه العام الاعتراف بالمنة والفضل لصاحب الفضل..

وهو مقام عال فالشكر هو لله تعالى على كل نعمة أنعمها عليك وهى لا تعد ولا تحصى، وأعظمها نعمة الإيمان، ثم الشكر لكل من أجرى لك النعمة على يديه..

يقول تعالى:﴿... أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ... ﴾(لقمان–١٤)

ويقول ﷺ إنه لم يشكر اللّه تعالى من لم يشكر من أجرى له النعمة على يديه ، فالإسلام دين أدب وأخلاق ، وليس معنى أنك ترى النعم كلها من اللّه تعالى وهو الحق ألا تشكر من جعله اللّه لك سببا فى وصول النعمة إليك ، فهو من جند اللّه المسخرين بالنعمة إليك فافهم.

ويقول تعالى (سبأ–١٣) : ﴿..... ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾، فالشكر بمعناه الخاص هو ألا ترى بلاء من اللّه أبدا .. بل كله خير وكله نعمة لك إما فى الدنيا وإما فى الآخرة وهو صِنوٌ للرضا . لذلك قلّ أهل الشكر .. واللّه أعلم.

١٠– الصبر :

وضده الجزع .. ولا يكون إلا على المكروه .. والاحتساب عند اللّه تعالى.. والصبر على العبادات والطاعات والصبر عن الشهوات.. كل ذلك أنواع من الصبر .. وجزاء الصبر عظيم عند اللّه تعالى .. يقول جل شأنه فى سورة الزمر : ﴿ ... إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ ويقول فى سورة البقرة :﴿ ... وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾

ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ ،

كما يقول في سورة لقمان : ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾

١١- التوكل على اللّه :

وهو دوام النظر والالتجاء إليه لأنه مسبب الأسباب ومسخّر النتائج، يقول تعالى (الطلاق-٣) : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ... ﴾

وأي شئ أعظم من أن يكون اللّه تعالى هو حسب المتوكل عليه.

وصدقُ التوكل إنما يكون بتمام الأخذ بالأسباب مع الاعتماد والنظر على رب الأسباب، قال ﷺ لأعرابي ترك ناقته خارج المسجد دون عقال (أي دون رباط) أعقلها ثم توكل..أي خذ بالأسباب ثم توكل على اللّه.. فالنتائج بيده هو لا بالأسباب.

١٢- الحياء :

وهو رقة القلب ورفضه للدنايا . والحياء من اللّه هو الأصل فلا يراك منكرا لنعمة ولا مقبلا على ذنب .. ولا طامعا فيما لا تستحقه ..

والحياء شعبة من الإيمان كما يقول ﷺ .. والحياء لا يأتي إلاّ بالخير حتى وإن كان الحياء من الناس. فإنه يدفع إلى معالي الأمور وينهى عن الفحش .

يقول الله تعالى (القصص-٢٥) : ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِى عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٍ .... ﴾

١٣- الخوف والرجاء :

الخوف من الله تعالى وعدم الاستهانة بعذابه ووعيده .. والرجاء فى رحمته وفضله الذى وعد بهما عباده الطائعين..

فالمؤمن دائما أبدا بين هاتين الحالتين فهو لا يأمن مكر الله تعالى وبطشه وغضبه لانتهاك محارمه وعصيانه .. ولا ييأس أبدا من رحمته جل شأنه التى وسعت كل شئ .. فإن غلبت عليه المعاصى فليرجح جانب الخوف من الله تعالى ويستحضر هيبته وجبروته حتى يقلع عنها .. فإن غلبت عليه الطاعة فليرجح جانب الرجاء فى رحمته وفضله حتى يزيد من طاعته ، ولكنه لا ييأس أبدا ولا يقنط من رحمته تعالى يقول تعالى فى سورة الزمر:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة الحجر :﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

* * *

هذه هى بعض الصفات الحميدة فى النفس والتى يطالبنا ديننا الحنيف بالاتصاف بها .. ، وكما تلاحظ أن الصفات الذميمة تكاد تكون كلها من أصل واحد وهو حب الدنيا وشهواتها .. فكذلك تجد أن الصفات المحمودة تكاد كلها من أصل واحد وهو حب الآخرة وقصد وجه الله تعالى . ، ذلك أن الإيمان فى الحقيقة كلٌ لا يتجزأ.. بمعنى أن الصفات الحميدة تنبت صفات حميدة .. فالكريم تجده رحيما.. محسنا.. صادقا.. عادلا أمينا .. والفاسق تجده .. جلفا .. بخيلا .. مسرفا أو شحيحا.. غادرا ..

فالإيمان أو الفسوق هما الأصل فى القلب ومنهما تنبت هذه الصفات .. ، نعم قد تقوى صفة عن صفة .. وقد تضعف صفة فلا تكاد تظهر .. ولكنها موجودة فى قلبه طالما كان الإيمان موجودا بقلبه..،

وسبق القول بأن الإيمان يزيد وينقص ، أى تقوى صفاته أو تضعف.. لسبب عارض فى النفس ، فقد يضطر المؤمن لكذب مثلا لضعف عارض في إيمانه ساعتئذ . ولكن فرق بنى كذب الفاسق وكذب المؤمن ...، فالفاسق يستملح الكذب .. ويفرح بنجاته بكذبه وتصديق من كذب عليه له ، ولا يندم ولا يتوب ولا يشعر بالذنب أصلا ، ولكن المؤمن إذا أضطر للكذب فهو فى ضيق وهم وألم وندم ، لا يستملحه ولا يفرح به..، وهذا أمر فى القلوب .. ألا ترى إلى قوله ﷺإن السارق لا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، وإن الزانى لا يزنى حين يزنى وهو مؤمن. فهذا يدل على أن صفة الإيمان تنزع منه فى هذه اللحظات، فلا يكاد يُبصر أو يعى .. فإذا عاد الإيمان إليه بعد ذلك عاد بالندم والحسرة عليه..

والسؤال الآن هو ماذا يكون الأمر لو مات العبد وهو يرتكب معصية من هذه المعاصى!!!

يقول ﷺ إن المرء يحشر على ما مات عليه .. وهنا تكون الطامة الكبرى والعياذ بالله .. فإن العبد إذا ابتعد عن الإيمان لحظة يجب عليه أن يسارع إلى التوبة والندم خوفا من انتهاء أجله وهو على هذه المعصية، حتى وإن غلبته نفسه ولم تعزم على ترك الذنب لشهوتها إليه..، فعليه أن يسوسها ويتوب إلى الله ويستغفره صادقا ، فما يدريه فربما يكون أجله أقرب إليه من معاودة اقتراف ذنبه فإن مات يموت تائبا.. والله أعلم ..

ولننظر معاً إلى بعض صفات المؤمنين فى القرآن الكريم.

يقول تعالى فى سورة المؤمنون(١-١١):

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾

ويقول تعالى فى سورة الفرقان : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ۝٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا

سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ ﴾

ويقول تعالى فى سورة البقرة : ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ صدق الله العظيم.

فانظر رحمك الله إلى هذه الصفات الجامعة لكل أبواب الخير والسعادة فى الدنيا والآخرة .. وادع الله تعالى أن يعلمنا إياها وأن يجعلنا من عباده الصادقين..

وسوف نتعرض فى الباب التالى لبعض الآداب التى يجب أن تتأدب بها نفس المؤمن زيادة عما ذكر فى هذا الباب بإذن الله تعال .

• ملاحظة :

يقول الله تعالى:﴿... إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾ (التوبة-٢٨)

ونجاسة المشرك هى نجاسة معنوية وليست مادية .. فلو اغتسل فإن نجاسته لا تزول بالاغتسال .. فإذا آمن بالله فقد تطهر وزالت نجاسته.. ذلك أن نجاسة الكافر هى غفلته وعمى بصيرته عن الله تعالى.. فهى نجاسة قلبه وبعده عن ذكر الله وعدم الإيمان به جل شأنه.

وعلى النقيض فإن المؤمن طاهر حياً وميتا كما يقول ﷺ.. ولكن الله تعالى يأمرنا بالاغتسال من الجنابة وما شابهها يقول جل شأنه : ﴿... وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ...﴾ (المائدة-٦)

فالجنابة وما شابهها تجعل المؤمن غير طاهر مؤقتا .. ويتطهر بالاغتسال .. ويقال إن من حِكَم الاغتسال أن أعضاء الإنسان تعمها الشهوة ويغفل قلبه عادة عن ذكر الله تعالى وهو فى حالات المباشرة.. وهذه الغفلة اللحظية تجعل الملائكة والحفظة تبتعد عنه وتنفر منه .. ولا تعود إليه إلا بعد الامتثال لأمر الله تعالى بالاغتسال عقب الجنابة أو

الاحتلام.. حتى وإن عاد قلبه لذكر اللّه عقبهما فإن الالتزام بحكم الشرع فرض عليه وطاعة واجبة .. فليس هناك أى ذريعة ولا عذر لعدم تنفيذ أوامر الشرع.

فإن سال سائل بأن اللذة المذكورة قد تكون فى اليقظة ولكنها قد لا تكون خلال الاحتلام وأنت نائم ، قلت له أنت لا تدرى ما يعترى جسدك ولا نفسك من حالات خلال انفصال هذا الماء عنك ودفعه خارج جسمك وانشغال القلب بأوامره للأعضاء المختصة به لطرده، واللّه الأعلم بعبيده ظاهرا أو باطنا.

فإن قال قائل فإن الحائض والنفساء لا يعم جسدها شهوة أو غفلة عن اللّه ، ورغم هذا يلزم الاغتسال للعودة إلى الصلاة وخلافها .. قلنا له : هذا صحيح، ولكننا لا نعلم من أسرار اللّه تعالى إلا أقل القليل .. وما أراده اللّه لمن اختاره اللّه للمعرفة ، فالأوامر كلها للطاعة وليست للنقاش .. فنحن نأتمر وننفذ ، والحكم والأسرار عند اللّه تعالى ..،

وقد ظللت الأعوام الطويلة لا أفهم حكمة لقول رسول اللّه ﷺ "غفرانك" إذا خرج من الخلاء .. فالرسول ﷺ يسال اللّه المغفرة .. فأى مناسبة بين الفعل والدعاء. حتى علمت باجتهاد أحد المجتهدين بأن دخول الخلاء يخلّص الجسم من فضلات ضارة .. ولو حبست فيه لأضرت به الضرر البالغ .. ، فنحن نعلم أن البول والغائط إذا حُبسا فى جسم الإنسان فإن مصيره إلى الموت المحتم لما فيهما من سموم تودى بالحياة ..، فالذى يدخل الخلاء ويتخلص منها ويخف جسده من هذه الأقذار يشعر بالراحة الجسدية والنشاط فى أعضائه..، وتبقى عليه ذنوبه ومعاصيه .. وهى ثقيلة على القلب والروح تماما كفضلات الإنسان وأثرها على جسده..، بل وأشد وأخطر .. فإن الذنوب تورث الفسوق.. والفسوق يؤدى إلى النار وخسران المرء آخرته ..، فالدعاء بطلب المغفرة من اللّه

تعالى عقب الخروج من الخلاء مناسب تماما وفيه منتهى الحكمة.. فأنت تدعو الله كما خلّصك من أثقالك المادية وطهّر جسدك من الخبث أن يغفر لك ويطهر قلبك وروحك من الذنوب المهلكة للقلب والروح..، هذا رأى بعض المجتهدين على قدر ما يَسَّرَ الله له الفهم .. والله تعالى أعلم بالسر.. فربما كان للحائض والنفساء أسباب أخرى تستدعى الاغتسال وكلنا نعلم أن المرأة فى هذه الفترات تكون متغيرة المزاج، والله أعلم بمراده وما علينا إلا الامتثال..

ومقصود الكلام هو أن غفلة المؤمن عن الله تعالى بأية صورة من صور الذنوب أو بصفة من صفات النفس الذميمة تمثل نوعاً من الغفلة عن الله بدرجات متفاوتة فليس ذنب كذنب ولا غفلة كغفلة ...، ولذلك يقول بعض المفسرين فى شرح قوله تعالى فى سورة الواقعة:﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

إن المقصود هو أن كتاب الله تعالى وأسرار هدايته لا يلمسها ولا يفهمها ولا يقربها إلا المطهرون نفساً وروحا وقلبا ، وذلك بطهارة الإيمان والصفات الإيمانية فى القلب ... فالذين طهرت قلوبهم وتطهرت نفوسهم هم الذين يتلقون هذه المعانى السامية من كتاب الله تعالى خلال سبحات أرواحهم فى عالم الملكوت ...، ذلك أن العين التى تنظر إلى الحرام وتهتك الأعراض لا يمكن أن تكون هى العين التى تنظر بنور الله ، ولا يمكن أن يكون صاحبها هو البصير الذى ذكره الله تعالى فى كتابه..، والقلب الحريص على شهوة النساء أو المال ومشغول بها لا يمكن أن يكون هو القلب المشغول بربه وآخرته وذكر الله وعبادته، فأنىّ له أن يلتقط المعانى السامية والدرر الإلاهية.

وإن كان رسول الله ﷺيقول " الوضوء سلاح المؤمن " ويحضنا

على دوام الوضوء ما استطاع المؤمن ذلك .. فإنما يعلمنا ﷺ دوام طهارة الظاهر حتى ننتقل بها إلى دوام طهارة الباطن .. فدوام الوضوء يجعلك بالضرورة تلتفت إلى طهارة نفسك بمراقبتك للّه تعالى ..، ووضوء القلب هو الاستغفار ..، وصلاة القلب هى الذكر .، وزكاة القلب هى التفكر فى اللّه تعالى وملكوته ، وصيامه هو الصيام عما سوى اللّه تعالى..، وحَجه هو النظر الدائم إلى وجهه الكريم فافهم.

وقوله تعالى:﴿ وَذَرُواْ ظَـٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ ....﴾ (الأنعام-١٢٠)

يدل على أن للإثم ظاهرا وباطنا . ، ويدل على أن هناك آثاماً ظاهرة .. وآثاماً باطنة. ، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَـٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ ﴾ (البقرة-٢٨٣)..، فالقلب قد يأثم دون فعل ولا عمل ..، فإن كتمان الشهادة ليس بفعل ظاهر ..، بل هو سكوت عن فعل، وإن كان فى الحقيقة هو عمل من أعمال القلب لمعرفته بالحق وكتمانه إياه.

فالقلب يأثم إذا انعقد فيه الإثم الباطنى دون عمل بالجوارح ..

كذلك النية من أعمال القلب .. وهى باطن الفعل.. فإنى إن فعلت فعلا ظاهره الطاعة كالإحسان إلى شخص ما.. فهذا عمل صالح.. ولكن إذا انعقدت نيتى على أن هذا الفعل إنما قصدته لأنال به غرضا سيئا فى نفسى .. فهذا باطن الإثم واللّه اعلم ..

ويقول ﷺ أن الناس يحشرون يوم القيامة على نياتهم فافهم.

والحقد والحسد والعجب والكبر والرياء والنفاق كلها من أعمال القلب والآثام الباطنية.

وخلاصة القول أن المؤمن يجب أن يكون حريصا على طهارة قلبه أشدّ وأحرص من طهارة جسده..

* * *

موجز الباب السادس

فإذا أردنا أن نلخص لك ما تم عرضه فى هذا الباب نقول :

- أخلاق النفس قابلة للتغيير والتأديب.
- عموم الخلق قد يكونون فى مرتبة النفس الأمارة بالسوء..، وعموم المسلمين قد يكونون فى مرتبة النفس اللوامة .
- الارتقاء بالنفس إنما يكون بمخالفة الشهوات ومخالفة العادات والاهتمام بالعبادات.
- لا ميزان للنفس إلا ميزان شرع اللّه ولا تنفعها أعراف ولا تقاليد.
- الصفات الذميمة فى النفس أخطرها : الإسراف والكبر والعجب والنفاق والغدر والخداع والكذب والغرور والحسد والتبذير والشح والغيبة والنميمة وحب الجاه والجدل والمكابرة والظلم ..
- الصفات المحمودة فى النفس أهمها :

١ - الكرم	٢ - الحلم والعفو
٣ - الإخلاص	٤ - الصدق
٥ - الحب فى اللّه	٦- الفُتُوَّة
٧ - حفظ العهد والأمانة	٨ - والعدل والإحسان
٩ - الشكر	١٠- الصبر
١١- التوكل على اللّه	١٢- الحياء

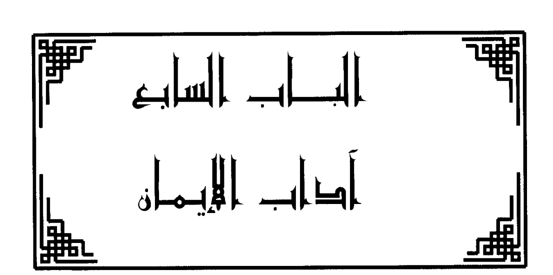
١٣-الخوف من اللّه والرجاء فيه.

- نجاسة الكافر معنوية .. وطهارة المؤمن لا تكتمل إلا بكمال نفسه وقلبه.
- المؤمن يتجنب ظاهر الإثم وباطنه.

* * *

اللّهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت .. واصرف عنا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت .. وتب علينا اللّهم توبتك النصوح التى أنت التائب فيها على عبادك وطهّر اللّهم ما نصنع وزكّ ما نعمل واجعل كل واحد منا فى عالمك كتابا مسطورا بالهدى والنور.. وصلّ وسلم وبارك على عبدك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى عبادك الصالحين ونحن معهم أجمعين ما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون.

* * *


الباب السابع
آداب الإيمان



يقول اللّه تعالى لرسولهﷺ فى سورة القلم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ ،

ويقول ﷺ " أدبنى ربى فأحسن تأديبى " ،

وتقول السيدة عائشة رضى اللّه عنها عندما سئلت عن خلق رسول اللّه ﷺ " كان خلقه القرآن " ..

فالمؤمن الأول .. والإنسان الكامل هو سيدنا رسول اللّه ﷺ.، فخلق رسول اللّه ، وأدب رسول اللّه ، هو المرجع والميزان لكل مؤمن يرجو وجه اللّه ويقصد بابه ..

يقول اللّه تعالى فى سورة الأنفال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ فإحياء القلوب وحياة الأرواح هى بالاستجابة لأوامر ونواهى رب العزة جل جلاله وأوامر ونواهى رسول اللّه ﷺ.. وهو يقول فى الحديث المتفق عليه "اذا نهيتكم عن شيئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم "..

فالنواهى لا مساومة فيها ولا تهاون .. ، أما الاقتداء بسنة رسول اللّهﷺ فهو على قدر سعة روحك وقوة إيمانك ، وكذلك يكون إيمانك على قدر اتباعك للأوامر والنواهى الإلاهية والسنة النبوية المطهرة ..

فامتثالك لظاهر العبادات ينتهى بك إلى الإسلام ..، وامتثالك للأوامر القلبية ينتهى بك إلى الإيمان .. ، فأنت على قدر ما تأخذ من

السنة ظاهرها وباطنها فذلك هو حظك من رسالة ونبوة رسول اللهﷺ..، فإن أقمت الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها فذلك حظك منها..، وإن خشعت فيها وناجيت ربك وكانت لك قرة عينك فقد سرت فيك أنوار محمد ﷺ ظاهرا باطنا..

كذلك يكون حظك من النبوة بمقدار صفات نفسك الحميدة وتأدبك بأدب رسول الله ﷺ فيك وفى روحك .. ، وصدق الله تعالى حيث يقول فىسورة الحجرات-٧:﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ .. ﴾، فهو فيكم بنوره وهديه وخلقه وأدبه وإيمانه إلى يوم الدين ..، فهو الروح الأعظم والنفس الأقدس ونور هدى رب العالمين الذين يمد جميع المؤمنين بأنوار الهداية ،

يقول الله تعالى عن يوم القيامة فى سورة التحريم-٨ :﴿ ... يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ ...﴾ ويقول تعالى فى سورة الشورى-١٣:﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ... ﴾

فنور محمد ﷺهو الذى استمدت منه الأنبياء من قبله والمؤمنون من بعده.، لذلك فهو إمام الأنبياء والمرسلين وقائد الغر المحجلينﷺ..، ولذلك فقد حُقَّتْ له الشفاعة الكبرى يوم القيامة .. ، وهو صاحب لواء الحمد ..، وأول من تنشق عنه الأرض يوم البعث والنشور ..

وخلاصة القول هو أن آداب النبوة وأخلاقها هو ما أنت مطالب بالتشبه والتأسى بها .. والتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ..، وعلى قدر ما تتصف وتتخلق به على قدر ما يكون مكسبك من نور الهداية .. ،

ودع عنك قوما اهتموا بالمظاهر وتشدقوا بالألفاظ ووقفوا عند القشور .. وتنطّعوا بسوء فهمهم لما علموه هالك عن هالك دون تمحيص وتدبر فأوردهم موارد الجهل والتعصب ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم.

وانظر بعين هدايتك إلى تشهدك فى الصلاة .. أليست الصلاة مناجاة بينك وبين ربك وعبادة خالصة للّه تعالى وكلما جلست فيها تقول "السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته.. السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين .. أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ونبيه ورسوله" تقول هذا فى كل جلسة فى صلاة الفرض والنفل بلا استثناء .. فلابد لك من السلام على رسول اللّه ﷺ.. فأى سر عظيم فى هذا الأمر جلاه العارفون وجهله الجاهلون. صلى اللّه عليك وسلم يا سيدى يا رسول اللّه كما تحب وترضى وحتى ترضى عنا فى كل وقت وحين ..

واعلم أن الأدب هو ثمرة الإيمان والخلق فى النفس.. كما أن التقوى هى ثمرة معرفة اللّه تعالى.. والورع هو ثمرة التقوى..

وانظر هذه الحادثة : كان رسول اللّه ﷺ يصلح بنى حييّن من أحياء العرب خارج المدينة فتأخر عن صلاة العصر ..، وتقدم سيدنا أبو بكر الصديق فأمّ الناس وصلى بهم ، وخلال الصلاة حضر رسول اللّه ﷺ فصفق الناس وسبّحوا بصوت عالٍ ليتنبه أبو بكر لمقدم رسول اللّه ﷺ..، فلما انتبه ورآه تأخر إلى الصف الأول .. ، ولكن رسول اللّه أشار إليهِ أن يلبث مكانه إماما للناس .، ولكن أبا بكر أخذ مكانه فى الصف الأول، فتقدم رسول اللّه ﷺوصلّى بالناس ..، فلما انتهت الصلاة سال رسول اللّه أبا بكر : ما منعك أن تصلى بالناس وقد أمرتك. فقال أبو بكر الصديق عليه رضوان اللّه "ما كان لابن أبى قحافة أن يصلى بالناس

وفيهم رسول الله ﷺ".

فانظر إلى أدب الصدّيق العالى .. فرغم أن الأمر كان له من رسول الله بإمامة الناس .. إلا أن الأدب مع رسول الله منع أبا بكر من الامتثال لهذا الأمر .. ومن هنا أخذ بعض العلماء المسلمين حكمهم بأن من أدب المسلم أن يقول : اللّهم صلّ على سيدنا محمد .. ولا يقول على محمد ، حتى وإن كان رسول الله ﷺ قد قال قولوا اللّهم صَلّ على محمد.. فإنما ذلك تواضع منه ﷺ..، كما كان رسول الله يكره أن يقوم له أصحابه إذا قدم عليهم وهم جلوس .، ولكنه كان لا يمنعهم من القيام بعضهم لبعض ، بل كان يأمر أهل المدينة إذا دخل عليهم سعد بن معاذ بأن يقوموا احتراما له قائلا : قوموا لسيدكم..،

فتواضع رسول الله ﷺشئ .. وأدب المسلمين معه شئ آخر..، صحيح أن قوما قالوا إنّ الاتباع هو الأفضل بلا زيادة ولا نقصان .. ولكن على العموم الرأيان أمامك فاختر ما يناسبك منهما ..

فالأدب باب عالٍ من أبواب الإيمان .. له حال وذوق لا يدرى بهما إلاّ من وفّقه الله تعالى إليه..

والقرآن الكريم.. وسنة رسول الله ﷺقد أوضحا للمسلمين قولا وعملا أدب المؤمنين مع الله تعالى ومع خلقه فى كونه..

فالأدب مع الله تعالى ليس له تعريف واحد ولا حدود محددة..،

وهو على العموم الالتزام بكل ما أمر الله تعالى والابتعاد عن كل ما نهى عنه ..،

وهو ألا يراك حيث نهاك .. وألا يفتقدك حيث أمرك..،

وهو الإخلاص له تعالى والخوف منه والرجاء فيه..،

وهو الشكر له على نعمه وصدق التسليم له والتوكل عليه..،

وهو مراعاة اللّه تعالى فى كل مخلوق تتعامل معه ..

وهو الأدب مع كتابه وتدبره وتلاوته والإنصات إليه والذكر به..،

وهو الأدب مع رسوله ﷺوحبه وحب آل بيته وصحابته والصالحين والأدب معهم جميعا ..،

وهو حسن الاقتداء بسنة رسول اللّه ﷺقولا وعملا وحالا .،

وهو حب عباد اللّه .. ورحمتهم .. وحسن دعوتهم إلى الحق.. وصدق النصيحة لهم .. والتعاون معهم على البر والتقوى ..

فأنت ترى أن الأدب مع اللّه تعالى هو عين الإسلام والإيمان...، وركناه الأساسيان هما تربية نفسك فيما بينها وبين اللّه بالعروج بها إلى مقامات الصديقين. وتربيتها فيما بينها وبين الخلق بإعطاء كل ذى حق حقه.

وأوجز لك فيما يلى أهم هذه الحقوق والآداب :-

• أهم الحقوق التي على المؤمن :

١- حقوق الوالدين :

وهى أعظم حقوق الخلق ، يقول تعالى:﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء-٢٣،٢٤)

ويقول ﷺ " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قالوا بلى يا رسول اللّه، قال الإشراك باللّه، وعقوق الوالدين ، ألا وقول الزور وشهادة الزور" متفق عليه، وجاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ يستأذنه فى الجهاد، فقال له ﷺ " أحيٌ والداك ، قال نعم ، قال ففيهما فجاهد " متفق عليه ..،

وجاء رجل إلى رسول اللّه " هل بقى علىّ شئ من بر أبوى بعد موتهما أبرهما به ، قال نعم خصال اربع : الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما " متفق عليه، ويروى عبد اللّه بن عمرو قول رسول اللّه ﷺ "رضا اللّه فى رضا الوالد وسخط اللّه فى سخط الوالد " رواه الترمذى ورواه الطبرانى بلفظ " فى رضا الوالدين " .

فأنت ترى أمر اللّه تعالى ببر الوالدين فى كل أمر ليست فيه معصية للّه تعالى ، وتوقيرهما وتعظيم شأنهما وإكرامهما بالقول والفعل، فلا يرفع عليهما صوتا ولا يؤثر عليهما أحداً ، ويرفع الأذى عنهما بنفس طيبة

وخاطر طيب والاستغفار لهما قبل وبعد الموت والترحم عليهما ، وإكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى من قبلهما..،

واعلم أن كل شئ من المعاصى قد يؤخر اللّه عقوبته إلى الآخرة إلا عقوق الوالدين فإن اللّه تعالى يعجل عقوبته فى الدنيا ثم فى الآخرة..

ويحكى أن صحابيا يدعى علقمة حضرته الوفاة فى زمن النبى ﷺفثقل لسانه عن ذكر الشهادة وهو على فراش الموت ، فابلغوا بذلك رسول اللّه ﷺ، فقال هل أحد من والديه حَيّ قالوا : له أمٌّ عجوز يا رسول اللّه ، فأمر بإحضارها فلما جاءت سألها رسول اللّه ﷺعن ولدها وحاله فقالت هو واللّه كثير الصيام كثير القيام ..، قال فما تنكرين منه.. قالت ما أنكر منه شيئا غير أنه كان يؤثر زوجته علىّ .. ، فسكت رسول اللّهﷺ ثم أمر أصحابه أن يجمعوا له حطبا كثيرا ..، فقالت العجوز وما تفعل به يا رسول اللّه . قال أحرق فيه علقمة ، فإن نار الدنيا أهون من نار الآخرة .. ، فجزعت العجوز رحمة بابنها وقالت أشهدك يا رسول اللّه أني قد عفوت عنه .. فلما رجع أصحابه إليه سمعوه من خارج الدار ينطق بالشهادة بصوت جهورى.

وكلما تقدم السن بالوالدين كلما صارا أكثر حساسية وإرهافا فى شعورهما واحتياجا إلى مزيد من العطف والرعاية .

٢- حقوق الأولاد :

حقوق أولادك تبدأ عندك منذ اختيار أمهم ..، فاختيار الأم الصالحة المسلمة واجب عليك لتحسن تربيتهم وتتقى اللّه فيهم ، ويلى ذلك حسن اختيار الأسماء الطيبة لهم .. وحسن رعايتهم وهم أطفال بتأديبهم بأدب الإسلام وتعليمهم العلم الدينى الضرورى للمسلم ، ورزقهم

بالمعروف من مكسبك الحلال وأن تجنبهم أكل الحرام ،، ولا تسرف فى الإنفاق ولا تقتر عليهم وتسّوى بينهم فى العطية ،

يقول ﷺ " انتقوا لنطفكم فإن العرق دسّاس "،

ويقول " فأظفر بذات الدين تربت يداك "،

ويقول " علّموا أولادكم الصلاة لسبع واضربوهم عليها لعَشْر وفرقوا بينهم فى المضاجع "

ويقول " علموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل " .

والمقصود باختصار هو تربية أجسادهم تربية دينية صحيحة ، وتربية نفوسهم تربية إسلامية صحيحة . ، فهذه مسئولية الوالد والله تعالى يقول فى سورة التحريم-٦ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ .. ﴾

٣- حقوق الأخوة والأخوات والأقارب :

هؤلاء هم أولى الناس بالبر بعد الوالدين يقول ﷺ " برّ أمك وأباك.. وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك " فالأكبر منك سناً لهم منك مثل برّك بوالدك والأصغر منك لهم برّك بولدك .، وهؤلاء هم أولى الأقارب بصلة الرحم .. تعاونهم إذا احتاجوا .. وتساعدهم إذا عجزوا .،،

يقول تعالى فى سورة محمد:﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾

ويقول تعالى فى الحديث القدسى للرحم " فبعزتى وجلالى

لأصلنَّ من وصلك ولأقطعن من قطعك "..

واعلم أنك ملزمٌ بنفقة من ترث منهم بعد وفاتهم .. ، ويجوز دفع الزكاةِ إلى الأهلِ الذين لا تلزمك نفقتهم ..

يقول تعالى (النساء-١):﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ ﴾

ويقول فى سورة الأحزاب-٦ :﴿ .... وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ... ﴾

ويقول فى سورة الروم-٣٨:﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ﴾

ويقول ﷺ " الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم صدقة وصلة " رواه الترمذى ..

كما قال ﷺ " إن الصدقة وصلة الرحم يزيد اللّه بها العمر ويدفع بها ميتة السوء ويدفع بها المكروه والمحذور " رواه أنس رضى اللّه عنه.

٤ - حقوق الزوج على الزوجة :

وأهمها طاعته فى غير معصية، وصيانة عرضه وماله وولده..، فلا تخرج بغير إذنه، ولا تصوم نفلا فى حضوره بغير رضاه، ولا تسئ إليه بعمل أو قول ، ولا تفشى له سرا، ولا تأذن فى دخول بيته لأحد إلا بإذنه ورضاه، وأن تحسن إلى أهله، وأن تحفظ نفسها من التبرج وخضوع القول، وأن تلتزم بشرع اللّه تعالى حيث يقول تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ

وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ... ﴾ (الأحزاب- ٣٣)

ويقول في الأحزاب-٣٢:﴿... فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾

ويقول ﷺ " لو كنت آمرا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها " . رواه الترمذى ،

ويقول ﷺ " خير النساء التى إذا نظرت إليها سرّتك، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك فى نفسها ومالك " رواه الطبرانى.

ولعلك تعجب إن قلت لك إن كل هذه الواجبات على الزوجة لزوجها هى فى الحقيقة تكريم لها هى .. فما من خصلة ذكرت إلا ولها فى نفس الرجل أثر عظيم الشأن يجعله يجازيها بما هو خير منها . ، ولك أن تتصور رجلا معتدل الخلق والتدين تطيعه زوجته وتحفظه فى عرضه وماله وسره .، وتحرص على راحته فبماذا يجازيها على حسن خلقها !!!

ولكن أعداء الإسلام أفسدوا الأمر وضيّعوا المرأة تماما بدعاوى باطلة من المساواة وقوة الشخصية وأمثال هذه الدعاوى التى هى حق أريد به باطل ، فلا أطاعت المرأة زوجها .. ولا حفظته .. ولا هو حفظ كرامتها.، بل نظر إلى أخرى إما بالحلال إن كان صالحا .. وإما بالحرام إن كان فاسقاً ، وتفككت الأسرة وتشرد الأولاد وحسبنا اللّه ونعم الوكيل .

٥- حقوق الزوجة على زوجها :

وأهمها العشرة والمعاشرة بالمعروف..، وأن يطعمها ويكسوها بما يناسبه وعلى قدر رزقه بلا إسراف ولا تقتير ..، وأن يعلمها أمور دينها وأن يلزمها بالدين وأدابه ، فهو المسئول عنها أمام الناس والله ، وهو وليها وراعيها، وإن خاف نشوزها فله تأديبها بما يناسبها من وسائل الأدب، بالقول أو بالهجر أو بالضرب إذا دعى الأمر ..، والسياسة أولى بها إن كان حيية مؤمنة .. والضرب أولى بها إن كانت لا تستحى ولا تتقى الله فيه وفى نفسها .. ، ومن حق الزوجة على زوجها ألا يفشى لها سرا ، وأن يعدل بين زوجاته إن كان له أكثر من زوجة .. ،

يقول تعالى فى سورة النساء-٣٤:﴿ ... وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾

ويقول ﷺ " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالرجل فى أهل بيته راع وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عن رعيتها " متفق عليه ،

ويقول " استوصوا بالنساء خيرا فإنما هنّ عوانٌ (أى أسيرات) عندكم " متفق عليه .

وغالب الشقاق الذى يحدث فى الحياة الزوجية سببه عدم اتباع الأساس الدينى فى الاختيار من البداية .. ، فإن لك ما نويت..، فإن نويت من زواجك العصمة وإقامة حدود الدين وبحثت عن الزوجة الصالحة والأصل الطيب ..، فإن الله هو موفقك ومعينك ولك ما نويت..، أما من كانت نيته دنيا يحبها وشهوة يقضيها ومال يكتسبه

ووظيفة لزوجته .. فله ذلك من زواجه ولا يلومن إلا نفسه ..والله أعلم..

٦- حقوق الجار :

والجار هو كل من جاورك فى سكن أو عمل أو تجارة . فإن كان الجار من أهلك فله حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم..، وإن كان الجار مسلما فله حق الجوار وحق الإسلام ..، وإن كان غير مسلم فله حق الجوار..

وحق الجار ألا تؤذيه فى سكنه بفعل أو قول..، فلا تضيق عليه أو تمنع عنه هواء ولا إنارة ولا ماء فى سبيل راحتك..، وأن تحسن إليه وتنصره فى الحق .. وتعينه فى الشدائد وتحافظ على حرماته وتصفح عن زلاته، يقول تعالى فى الجار (النساء-٣٦):﴿ ... وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ...﴾

ويقول ﷺ " مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه" متفق عليه ،

ويقول " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره "متفق عليه،

ويقول "والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه " (أى مضايقاته وذنوبه) متفق عليه.

وسئل رسول الله ﷺ عن امرأة تصوم وتصلى وتتصدق ولكنها تؤذى جيرانها فقال هى فى النار .. ، كما رواه أحمد عن أبى هريرة

رضى الله عنهما.

٧ - حقوق المسلم على المسلم :

وما أكثرها .. وأهمها : أن يحب له ما يحب لنفسه وأن يكره له ما يكره لنفسه . ، وأن يبدأه بالسلام ، وأن يشمته إذا عطس وحمد الله، وأن يعوده إذا مرض، وأن يشيع جنازته إن مات . وأن ينصره مظلوما وينصره ظالما بمنعه عن الظلم .. ، وأن ينصحه بالحق إذا استنصحه ..، وأن يحفظ أمانته ويقضي مصالحه .. ، ويرفع عنه الأذى ، ويحفظ محارمه، ويعينه على طاعة الله ، وأن يبّر قسمه إذا أقسم عليه ..،

يقو ل ﷺ " ما من مسلمْين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر الله لهما قبل أن يتفرقا " رواه الترمذى،

ويقول " إن الملائكة لتعجب من المسلم يمر على المسلم ولا يسلم عليه " ،

ويقول "وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " متفق عليه،

ويقول " إذا عطس أحدكم فليقل له أخوه يرحمك الله ، فإذا قال له يرحمك الله فليقل له يهديكم الله ويصلح بالكم " رواه البخارى ،

ويقول " حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام وعيادة المريض ، وإتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ، وتشميت العاطس" متفق عليه ،

ويقول " الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله، قال لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم " رواه مسلم ،

وقال " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه " متفق عليه ،

وقال " لا يحلّ لمسلم أن يُرَوِّع مسلما " رواه أبو داود ،

وقال " لا يحل لمسلم أن يشير لأخيه بنظرة تؤذيه " رواه أحمد،

وقال " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " متفق عليه ،

وقال " المؤمن من أمِنَه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم " رواه الترمذى ،

وقال " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام " متفق عليه ،

وقال " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" وراه مسلم،

وقال "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" متفق عليه ،

وقال " المتسابان ما قالا فعلى البادى منهما حتى يعتدى المظلوم" رواه البخارى ،

وقال " من غشنا فليس منا " رواه أبو داود وقال " لا يستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره اللّه يوم القيامة " رواه مسلم ،

وقال " من إجلال اللّه إكرام ذى الشيبة المسلم " رواه أبو داود ،

وقال " من نَفّس عن مؤمن كربة من كُرب الدنيا نفس اللّه عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسّر على معسر يسّر اللّه عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره اللّه فى الدنيا والآخرة ، واللّه فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه " رواه مسلم،

وقال " من استعاذكم باللّه فأعيذوه ، ومن سألكم باللّه فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، ومن صنع لكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا اللّه له حتى تروا أنكم قد كافأتموه" رواه النسائى.

فانظر رحمك الله إلى هذه الآداب السامية واعرف نصيبك منها.

٨- حقوق غير المسلم على المسلم :

غير المسلم هو خلق من خلق الله،فعلى المسلم ألا يظلمه ولا يؤذيه في ماله ولا عرضه وأن يطعمه إذا جاع ويداويه إذا مرض وينقذه من الهلكة إن تعرض لها ،

يقول تعالى في الحديث القدسي " يا عبادى إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " رواه مسلم ،

ويقول ﷺ " ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء" ويقول "في كل ذي كبد رطبة أجر" رواه أحمد..

واعلم أنه يجوز أكل طعام أهل الكتاب . ، ويجوز قبول هديتهم.، كما يجوز زواج المسلم من الكتابيات إذا أمن الفتنة على أولاده بألا يصيروا مثلهن.،، ولكن لا يجوز زواج أهل الكتاب من المسلمات لأن الرجل قيّم البيت ولا يجوز للذمي القوامة على مسلمة.

٩- حقوق الحيوان على المسلم :

رحمة المسلم عامة في قلبه على كل ذي كبد رطبة..، فالحيوان له نفس تشعر وتجوع و تعطش وتتألم ، وعلى المسلم أن يرحمها ويشفق بها إذا استعملها في ركوب أو حمل أثقال.، ولا يقتل منها إلا ما يتحقق ضرره وأذاه كالكلب العقور والحية والفأر وما شابهها،

يقول ﷺ " دخلت امرأة النار في هرة حبستها حتى ماتت جوعا.. فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض " رواه البخاري،

وقد سبق ذكر حديث الرجل الذى سقى الكلب فدخل الجنة.

١٠ - حقوق الأخوة والحب في الله :

وقد أخرّناها إلى نهاية الحقوق استعظاما لشأنها .. فالحب فى اللّه هو علاقة روحية خصوصية بين أرواح المؤمنين .. وهو باب واسع من أبواب رحمة اللّه تعالى .. وسر من أسرار النفوس الطاهرة ..،

يقول تعالى فى الحديث القدسى كما جاء فى النسائى " إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم من نور ووجوهم من نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء .. فقالوا يا رسول اللّه.. صفهم لنا فقال : المتحابون فى اللّه والمتجالسون فى اللّه والمتزاورون فى اللّه " ،

ويقول ﷺ " إن سبعة يظلهم اللّه تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلاّ ظله (منهم) ورجلان تحاباً فى اللّه اجتمعا وافترقا عليه "

فالأخوة فى اللّه والحب فى اللّه درجة عزيزة المنال قدسية المقام وليس كل الناس لها أهل .. ، ولكنهم أولئك الذين صفت قلوبهم واستنارت أرواحهم ، هم الأتقياء العقلاء الملازمون لكتاب اللّه وسنة ورسوله المشغولون بربهم وعبادته..،

يقول تعالى فى سورة النجم-٢٩ :﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾

فمن أراد الحياة الدنيا وزينتها لا يصلح للأخوة فى اللّه.

ومثال الأخوة فى اللّه هو ما كان عن الأنصار والمهاجرين..، يقول تعالى فى سورة الحشر:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ

مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾

ويصف اللّه تعالى المؤمنين فى الحشر–١٠ :﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

وليست هناك صفة تجمع حقوق الأخوة فى اللّه مثل صفة الإيثار.. فالأخ الحق فى اللّه هو الذى يؤثر أخاه على نفسه بخيرى الدنيا والآخرة راضيا سعيدا بذلك .. ، فيعينه بماله وجاهه ونصيحته .. ويتفقد أحواله وينصره ويحفظه ويرد غيبته إذا اغتابه أحد فى مجلسه ، ويلتمس له الأعذار.. ويحسن به الظن .. ولا يتكبر عليه ولا يرى لنفسه عليه فضلا..، فيتواضع له ويخفض له جناحه ويدعو له بظهر الغيب ويكون مرآته فى الخير والشر ويعاونه على البر والتقوى..،

وكل هذا على سبيل المثال لا الحصر .. فهو الإيثار بكل معانيه..

يقول عمر بن الخطاب : التمس لأخيك عذرا حتى السبعين.. فقال أحدهم فإذا لم أجد .. قال إنك إذا لمنافق .. فانظر رحمك اللّه إلى عظم هذا الحق .. وثوابه عند اللّه تعالى ..

والأخوة فى اللّه مطلب عزيز فلا تؤاخِ إلاّ مؤمنا تقيا ورعاً ذاكرا اللّه تعالى قاصدا وجه الكريم محبا للّه ولرسوله ليس فى قلبه حقد ولا حسد.. يقول ﷺ " لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقّى".

يقول تعالى فى سورة الفتح–٢٩ :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ

مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ... ﴾

ويقول فى سورة الأنفال-٦٣ : ﴿ ... لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

فتلك إذا هبة من اللّه تعالى يكرم بها من أحب من عباده فيؤلف قلوبهم عليه .. فإن جاءتك هذه المنحة من اللّه تعالى فعَضَّ عليها بالنواجز فهى عزيزة المنال كريمة المقام..

والأخوة فى اللّه إما أ ن تكون بينك وبين تلميذ لك فتدله على الخير وترشده إليه وترفق به وتدعو له ..، وإما أن تكون بينك وبين مرشد لك تتعلم منه .. فوقّرة واحترمه واستفد منه وادع له بالخير. وإما أن تكون بينك وبين مثيل لك فساعده على طاعة اللّه وعلى البر والتقوى..

وقد سبق القول بأن المتحابين فى اللّه تتلاقى قلوبهم وتتآلف أرواحهم وتنتهى قنوات حبهم إلى روح سيدنا رسول اللّه ﷺ، المؤمنون كالجسد الواحد قلبه هو رسول اللّه . فافهم هذه اللطيفة...

* * *

وإذا كان ما ذكرنا هو أهم الحقوق التى عليك لعباد الله تعالى.. فإن نفسك أولى بأن تعطيها حقها .. ، وحقها هو نصيبها من الخير والنور والسعادة الأبدية.. فقد أطلق الله تعالى صفة الظالمين على الكافرين لأنهم ظلموا أنفسهم فأوردوها النار وبئس الورد المورود ..، ويقول جل شأنه فى سورة الكهف-٥٧:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ ﴾

فنفسك اّلتى بين جنبيك هى الأولى بعدلك .. فأدبها بأدب القرآن وعلّمها كما أمر الله تعالى.

وسوف نذكر لك أهم الآداب التى أنت مطالب بها.

• آداب النفس :

١- التوبة :

وهى الندم على الذنوب .. والإقلاع عنها .. والعزم على عدم العودة ، يقول تعالى فى سورة النور-٣١:﴿ ...وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

ويقول ﷺ " يأيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة " رواه مسلم ، فمهما تكن نفسك ضعيفة ومصرة على الذنب فتب إلى الله فربما ينتهى أجلك قبل أن تعود إلى الذنب فتلقى ربك تائبا.

واعلم أنه لا كبيرة مع الاستغفار .. ولا صغيرة مع الإصرار .. فإن

الإصرار على الصغائر يحولها إلى كبائر ، لأن المُصرّ إنما هو يبارز اللّه تعالى بالمعصية والإصرار ، فلا تستهن بصغيرة ولا تُصرّ عليها ..

واعلم أن اللّه تعالى يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به .. ، بل ويبدّل السيئات إلى حسنات فضلا منه وكرما .. وذلك مع التوبة النصوح بإذن اللّه تعالى .. والتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

٢ – المراقبة :

وهي اليقين بأن اللّه تعالى مُطّلع عليك ويراك .. ، يقول تعالى في سورة البقرة–٢٣٥:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ ﴾، ويقول جل شأنه في سورة غافر :﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ ، فراقب اللّه تعالى في نياتك قبل أعمالك وفي سرّك قبل علانيتك..

وقد ربّى بعض الصالحين ابنا له بتعليمه وتدريبه على ثلاث كلمات لا غير وهن : اللّه ناظر إليّ .. اللّه شاهد عليّ .. اللّه معي .. فصار الولد من خيار الصالحين لتربيته على اليقين بمراقبة اللّه في كل أمر ونهي ..

٣- المحاسبة :

وهي مراجعة النفس في كل ما تفعل وإعادة النظر في كل ما بدر منها..، فإن وجد خيرا حمد اللّه واستزاد منه ، وإن وجد غير ذلك استغفر وتاب، يقول تعالى في سورة الحشر–١٨:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ ... ﴾

وكان عمر بن الخطاب إذا أقبل الليل ضرب رجليه بالدِّرَّة (أي

العصا) وحاسب نفسه ماذا عملت ذلك اليوم.

وبالمحاسبة يستطيع العبد أن يعرف الأسباب التى تجرّه إلى الذنوب والمعاصى فيبتعد عنها فيما بعد ويسدّ على نفسه منافذ الشر..

٤ - المجاهدة :

وهى مقاومة النفس لشهواتها وردها إلى طريق الهداية والرشاد..، يقول تعالى (العنكبوت-٦٩):﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾

ويقول فى سورة النازعات :﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

وجهاد النفس هو مخالفتها لشهواتها .. وترويضها على الطاعات وحسن توجيهها إلى الله تعالى فى كل الأوقات بالجوع والسهر وكل ما أسلفنا من قبل.

٥ - الأدب مع كتاب الله تعالى :

وهى التوقير والتبجيل بحسن الاستماع والإنصات والتلاوة والتدبر.، يقول ﷺ " خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه " رواه مسلم ، وقال ﷺ " إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل وما جلاؤها قال صلى الله عليه وسلم: ذكرالموت وتلاوة القرآن " رواه البخارى.

واعلم أن لك بكل حرف تتلوه حسنة .. لذلك يجب أن تعطى الحروف حقها فى التلاوة وأن تتعلم تلاوته بالتلقي ممن يحسن تلاوته..، وقد كان القدامى يقرءون القرآن وهو غير منقوط ولا مُشَكّل لقوة بلاغتهم وفهمهم فى اللغة العربية .، واليوم مع التنقيط والتشكيل فى المصاحف

قلّ من يتقن تلاوته ..، وقد قيل إن إحياء اللغة العربية يؤجر عليه المسلم لأنها لغة القرآن .. وتَحدُّثه بالفصحى فى حياته العادية يثاب عليه .. لأن ذلك يحتفظ بحيوية اللغة العربية وسهوله تلاوة القرآن..

ويلزمك الوقار والأدب مع التلاوة والاستماع ، والطهارة عند تلاوته ، كما يستحب استقبال القبلة إذا تيسّر .. ، والترسّل فى القراءة متدبرا معانيه قدر الطاقة .. ، والاستماع بتدبر هو الإنصات وله أجر كبير عند اللّه .، ومن الأدب ألاّ تمس المصحف إلا متوضئا .. ويجب ألا تدخل به أماكن النجاسات إلا إذا كان فىغلاف سميك عازل له..

كما يلزمك حفظ ما يتيسر لك منه لتصحّ به صلاتك ويصلح به ذكرك ودعاؤك ، وخير الدعاء هو ما ورد فى القرآن الكريم ، وكذلك ما جاء على لسان رسوله ﷺ.. أما العمل بكتاب اللّه من أوامر والابتعاد عما فيه من النواهى فذلك فرض على كل مسلم.

واعلم أن الصالحين لهم تلاوتان : تلاوة ذكر ، يختم فيها القرآن فى ثلاثة أيام وإن تأخر فإلى شهر ، وتلاوة تدبّر وتذكّر وهذه لا حد لمدتها ويظل فيها سنوات وسنوات.

٦- الأدب فى ذكر اللّه تعالى :

الأصل هو استحباب ذكر اللّه تعالى على كل حال ، والأساس فى الذكر هو جريان أسمائه وصفاته تعالى على قلبك بمعانيها .. ، فإذا كان ذكر اللسان موافقا لذكر القلب فذلك هو الأكمل حتى يكون الذكر ظاهرا باطنا ..، فإن ذكرت اللّه منفردا فاحرص على هذه الجمعية بين اللسان والقلب، وإغماض العينين يساعدك على ذكر القلب ويقطع عنك الهواجس والانشغال بما حولك لأنه يسد عنك منافذ الحواس المادية ويقطع الخواطر الشيطانية ويصقل القلب ..، وخير الذكر ما كان بين السر

والجهر .. ، وما كان بالهمة والفتوة التى تحدثنا عنها من قبل .. ، أما إذا كان الذكر مع جماعة ففى ذلك خير كثير لأن مجالس الذكر تحفها الملائكة وتحيط بالذاكرين وتذكر معهم وتدعو لهم وتستغفر لهم اللّه كما ورد.

وقراءة القرآن من الذكر .، وتعلّم العلم الشرعى من الذكر .. ، وذكر الصالحين والتأسّى بهم وبأخلاقهم من الذكر .. ، وذكر رسول اللّه ﷺوسيرته وصحابته ذكر .. وسوف يأتى تفصيل ذلك فى باب الذكر بإذن اللّه تعالى..

٧ - الأدب فى الدعاء :

يقول ﷺ " الدعاء مخ العبادة " كما يقول " ادعو اللّه وأنتم موقنون بالإجابة " ويقول ﷺ " لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البّر" ، فالدعاء إلى اللّه تعالى والرجاء فيه هو قلب العبودية الصادقة..، فأنت لا تدعو إلا من تؤمن بقدرته على الإجابة .. وفضله الواسع.. فدعاؤك للّه تعالى هو فى معناه الخضوع والتسليم لرب العالمين..

ومن أدب الدعاء أن تبدأه بحمد اللّه والثناء عليه ثم تصلى على سيدنا رسول اللّه ﷺ بأية صيغة ثم تدعو بما شئت ثم تختم دعاءك بالصلاة على رسول اللّه.

روى الترمذى عن عمر بن الخطاب قال ﷺ " إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شئ حتى تصلى على نبيك".

أما دعوة اللّه تعالى وأنت موقن بالإجابة فذلك تصديق لقوله ﷺإن دعاء المسلم ربه مستجاب .. إما أن يعجل له فى الدنيا وإما أن يبدله اللّه تعالى ويستجيب له بما هو خير من دعائه .. وإما أن يؤخره

إلى حينه كما تقتضى حكمته جل شأنه سواء فى الدنيا أو الآخرة فاليقين بالإجابة سر من أسرار الإيمان بالله وبرسوله.

يقول تعالى فى سورة النمل-٦٢:﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ... ﴾ ..،وذلك ركن الدعاء وسر الإجابة ..، فهى دَعوة المضطر اللاجئ إلى الله تعالى بكل يقينه وإيمانه .. فهذا الاضطرار فيه الذلة والعبودية للعظمة والألوهية فافهم..

ومن أسرار إجابة الدعاء توجيه رسول الله ﷺحيث يقول " أطبْ مطعمك تكن مستجاب الدعوة " .. فالرزق الحلال فيه باب الطاعة وفيه باب الإجابة.

كما يستحب الدعاء بجوامع الكلم كما كان يفعل رسول الله ﷺوالأنبياء السابقون كما ذكر فى القرآن الكريم .. وقد كان بعض السلف لا يزيد فى الدعاء عن سبع كلمات جامعات ..، أما تحسين الألفاظ وتوخى السجع وتنظيم الجُمل فذلك فيه خطر إن كان متكلفا ..، أما إن كان غير متكلف كما فى بعض دعوات رسول الله ﷺ فإنه الخير بإذن الله..

واعلم فى النهاية أن خير الدعاء هو الذكر .. يقول تعالى فى الحديث القدسى " من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين " ..، رواه البيهقى كما أن من أدب الدعاء ألا تدعو بطلب دنيوى محدد فقد يكون فيه ضررك من حيث لا تدرى .. ، ولكن الدعاء بالمأثور وطلب فضل الله ورحمته ولطفه وهداه ورزقه وستره هو خير المسألة والله أعلم..

وهم أولى الناس بالدعاء منك .. فقد أفضوا إلى ربهم .. وانتهت أعمالهم .. ولا ينفعهم إلا صدقة جارية أو علم ينتفع به أو دعوة من ولد صالح . أو من يشابهه .. والدعاء للميت يصله بإذن اللّه وينتفع به ..، ألا ترى أنك تدعو للميت فى صلاة الجنازة بالرحمة والمغفرة ولو كان الدعاء لا ينفعه لما أمرنا الدين بذلك .. وكان رسول اللّه ﷺ يزور البقيع ويدعو لأهله..

كما كان يحث على زيارة القبور لما فيها من عظة واعتبار ودعوة بالرحمة لموتى المسلمين ..، فمن أدب الإسلام أن يتذكر المسلم من مات من أهله والمسلمين عامة وأن يدعو لهم ولو فى كل ليلة وعلى اللّه القبول .. كما يجب على المسلم ألا يتعرض لسيرة ميت إلا بخير فلا يغتابه ولا يذكر إلا محاسنه ، وأن يتقى اللّه تعالى فى محارمه وعرضه وأن يعلم أن حرمة المسلم ميتا هى كحرمته حيا كما قال ﷺ.

ويستحب زيارة القبور خاصة ليلة ويوم الجمعة .. ، والدعاء المأثور عند الزيارة هو .. السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته دار قوم مؤمنين، أنتم السابقون ونحن إن شاء اللّه بكم على الإيمان والإحسان لاحقون، أسأل اللّه لى ولكم ولموتى المسلمين الرحمة والمغفرة .. وله أن يدعو بما يشابه هذه الدعوة دون التقيد بها .. وقد ذكر ابن عابدين فى حاشيته استحباب تلاوة سورة يس والصمدية وإهداء الثواب للأموات.

٩- أدب الدعوة إلى اللّه تعالى :

يقول تعالى فى سورة النحل-١٢٥: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ...﴾

فجعل اللّه تعالى الدعوة إليه بالحكمة اللازمة لكل موقف وتبعا لكل حالة .. وكذلك بالموعظة الحسنة ، يقول تعالى فى سورة آل عمران-١٥٩:﴿.. وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ...﴾

كما يقول ﷺإن الرفق ما كان فى شئ إلا زانه .. ، فالدعوة إلى اللّه والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يجب أن تكون بالحكمة التى يستلزمها كل موقف مع الرفق واللين ، فقد تؤدى الشدة فى بعض المواقف إلى عكس ما هو مطلوب ..، فالنفوس متغيرة متباينة فى طباعها فمنها من تستحى ويكفيها الكلام اللين ..، ومنها من لا تستحى ويلزمها نوع من التخويف والتلويح بالعذاب ..،

يقول ﷺ " إن اللّه ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .. " أى أن من لا يرتدع بالحياء والخوف والرجاء من وعد ووعيد كتاب اللّه تعالى والدعوة الطيبة إلى الخير فسوف يرتدع بالشدة والقسوة والعنف،

ويجب أن يكون الداعى إلى اللّه به فراسة المؤمن فيعرف بنور ربه كيف يعالج الأسباب التى تؤدى إلى المعاصى والغفلة عن اللّه فيمن ينصحه .. ، فقد يكون التقصير فى جنب اللّه تعالى واحدا فى حالتين مختلفتين .. ويكون لكل حالة علاج مختلف حسب طبيعة كل نفس وأسباب كل منهما .. وهذه هى الحكمة فى الدعوة إلى اللّه..

فالداعية لا ينفر الناس ولا يفتنهم ..، بل ينصحهم ويعطيهم على قدر ما يطيقون ، ويأمرنا ﷺ " أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ".. فالداعية إلى اللّه كالطبيب تماما هذا يعالج الأجساد وهذا يعالج الأرواح..، فكما أن الطبيب يختار الدواء الناجع ويحدد مقدار الجرعة اللازمة لكل حالة وهذا يختلف من مريض إلى مريض..، فكذلك الداعية إلى اللّه عليه أن يداوى ويعالج بالقدر المناسب لكل نفس نوعا وكمّا.

ويقول ﷺ" ما حدّث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم".

وقال ﷺ" نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ".

جاء شاب إلى رسول اللّه ﷺمعلنا إسلامه وطاعته لرسول اللّهﷺ في كل ما أمر ما عدا الزنى فإنه لا يقدر على تركه. فغضب الصحابة وكادوا يؤذونه لولا قول رسول اللّه ﷺدعوه ، ثم أقبل عليه وقال يا هذا أترضى هذا الأمر لأمك .. قال لا قال أترضاه لأختك قال لا .. فما زال يذكره بمحارمه حتى قال الرجل .. أقلعت يا رسول اللّه وتبت.

هذه حالة ..، وحالة مماثلة جاءت إلى رسول اللّه ﷺمن رجل أعلن إسلامه أيضاً وأعلن طاعته للّه ولرسوله ما عدا في شرب الخمر فإنه لا يقدر على تركه .. ، فلم يزد ﷺعن قوله له : عاهدني ألا تكذب .. وتركه .. ، فكان الرجل كلما همّ بمنكر تذكر عهد رسول اللّه ﷺبالصدق معه فخاف من إقامة الحد عليه ولم يرتض الكذب على رسول اللّه وهكذا حتى أقلع وتاب...

كذلك كانت عهود رسول اللّه ﷺ لأصحابه تختلف من موقف إلى موقف ومن صحابي إلى صحابي فبعضهم على السمع والطاعة..، وبعضهم على الجهاد والنصرة، وبعضهم على ألا يسألوا الناس شيئا،حتى كان السوط يقع من يده وهو فوق الدابة فينزل ليلتقطه ولا يسأل الناس أن يعينوه.

وفي سنن رسول اللّه ﷺ وسيرته خير حكمة للدعوة إلى اللّه تعالى..

١٠ - الأدب مع أولياء الله الصالحين من عباد الله :

الوليّ هو كل من تولاه اللّه تعالى بالعناية والرعاية .. ، والوليّ كذلك هو صاحب الولاية عليك .. ، فاللّه تعالى وليّ الذين آمنوا .. والمؤمن هو وليّ للّه تعالى.

يقول تعالى فى سورة البقرة-٢٥٧: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ...﴾

ويقول فى سورة المائدة-٥٦:﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

ويقول تعالى فى الحديث القدسى فيما رواه البخارى " من آذى لى وليا فقد عادانى " ، وفى رواية فقد آذنته بالحرب،

فاللّه سبحانه وتعالى يحب أولياءه .. ويدافع عنهم .. لذلك فالواجب عليك أن تنزلهم منازلهم فى المحبة والتقدير .. فإنهم على علم باللّه تعالى وتقوى .. وكلامهم حكمة .. وقولهم نصيحة .. وصمتهم ذكر .. ودعاؤهم مستجاب بإذن اللّه.

وقد اشتد أذى رجل على المسلمين وعلى الحسن البصرى رضى اللّه عنه.. فدعا عليه فمات لتوه .. ورسول اللّه ﷺ يقول " أنزلوا الناس منازلهم "،، واعلم أن اللّه تعالى يدافع عن الذين آمنوا .. فاحذر الإساءة إليهم وإلى كل مسلم فإنك لا تعرف أقدار الناس عند اللّه..،

وإنما التقوى فى القلوب لا يعلمها إلا اللّه تعالى..،فالأدب هو حفظ اللسان عن كل المسلمين وعدم الخوض فيما يؤذيهم أو فيما يكرهون فإنك لا تدرى مقامهم عند اللّه ..، ويقول ﷺ " رُبَّ أشعث أغبر مردود على الأبواب لو أقسم على اللّه لأبرّه " فافهم وتعلم.

وقد سبقت الإشارة إليه فيما مضى ولكننا نوجزه هنا لأهميته..فحب رسول الله ﷺ فرض عين على كل مسلم والآداب مع كل ما يتصل به ﷺ التزام واجب .. ، فإذا ذكر اسمه وجب الصلاة عليهﷺ، ويقول الإمام عليّ عن رسول الله " البخيل من ذُكرت عنده فلم يُصلِّ عليّ"..، وحبذا لو جعل من يومه زمنا مقسوما للصلاة عليه حتى لا يفوته هذا الفضل ، لأن الصلاة عليه ذكر لله وصلاة على رسوله فقد جمعت الحسنيين..، ومن الأدب الواجب أن يديم دراسة سيرته ﷺ وشمائله وخلقه ويحاول الاقتداء بما يستطيع والتأسي به ﷺ في العبادات والعادات . ، كما يجب أن يوقّر أمهات المؤمنين عليهم رضوان الله .. وآل بيت رسول الله ﷺ وكل صحابته المباركين الميامين..، وأن يمسك عن الحديث في الاختلاف بينهم ..، وألا يفاضل بينهم على هواه..، بل يخرج من خلافاتهم بأنهم جميعا كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا كما يقول ﷺ..، وليعلم أن أعلاهم قدرا هم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ، وأن أهل بدر لهم ميزة عظيمة عند الله..، وكذلك أهل بيعة الرضوان..، وكذلك المهاجرون والأنصار..، كلٌ لهم ميزة وأفضلية..، وأن خير القرون عموما هو القرن الذى كان فيه رسول الله وصحابته..

ومن الأدب ألا يتخذ المسلم من رسول الله وصحابته وآل بيته مادة لمزاح أو فكاهة لا بقصد ولا بغير قصد، ولا أن يسمح بذلك فى حضوره وإلا كان مشاركا فى الإثم.

وليكن دائما نصب عينيه أن رسول الله ﷺ هو شفيعه وضمينه يوم القيامة وأنه صاحب لواء الحمد وصاحب الكوثر .. وصاحب الحوضﷺ.

وباختصار فإن الأدب مع رسول الله يستلزم الأدب مع كل ما ومن يحبه رسول الله ﷺ.

١٢- أدب التعرض لنفحات الله تعالى :

يقول ﷺ" ألا إن لربكم في أيام دهركم نفحات ..ألا فتعرضوا لها.." والنفحة هي العطاء المتميز والإكرام الخاص ، ومنها نفحات زمانية.. ونفحات مكانية ..، فالنفحات الزمانية مثل ليلة القدر .. وشهر رمضان ويوم عرفة .. والعشر الأول من ذى الحجة .. ويوم الجمعة .. وساعة الإجابة يوم الجمعة والثلث الأخير من الليل .. ، والنفحات المكانية كالكعبة المشرفة ..وروضة سيدنا رسول الله ﷺ .. ومكة المكرمة والمدينة المنورة .. وجبل عرفات .. ومنى .. ومزدلفة وحجر إسماعيل والصفا والمروة وعند مقام إبراهيم وعند بئر زمزم ..

ففي هذه النفحات الربانية يتجلى الله تعالى بأسمائه وصفاته العلية من أسمائه الحسنى وصفات الكرم والجود كالرحمة والإجابة والشفاء.. والستر والمغفرة والتوبة .. والعطاء والكرم وبما شاء جل جلاله وتباركت أسماؤه وصفاته ..، ألا ترى أن الله تعالى يُشهد الملائكة في يوم عرفات بأنه قد غفر لأهل الموقف الكريم ..، وأن العبادة في ليلة القدر خير من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة قدر ، وأن الدعاء مستجاب عند الكعبة وفي الروضة وعند الأماكن التي ذكرناها . كما جاء في أحاديثه ﷺ.

فذلك فضل الله تعالى على عباده الفقراء إليه المعترفين بذنوبهم وتقصيرهم .. اللاجئين إليه المستجيرين به تعالى القاصدين كرمه ورحمته بذنوبهم وعصيانهم وزلاتهم..يرجون رحمته ويخافون عذابه

فالمؤمن في تلك الأزمنة وتلك الأماكن المقدسة عليه أن يهيئ نفسه لنفحات الله تعالى بحسن الأدب وصدق الالتجاء إليه والاستجارة

برحمته من غضبه وبعفوه من عقوبته .. وبه منه جل شأنه العظيم.

وآكد هذه الآداب هو أن يفرد اللّه تعالى بالوحدانية خالصا مخلصا .، ويصدق ظاهرا باطنا فى الاعتراف بعبوديته الذليلة للّه العزيز الغفار فإن كان من أهل المعاصى فليتركها وليذكر اللّه مخلصا فى هذه الأوقات وهذه الأماكن .. ، وإن كان ترك المعاصى واجباً فى كل مكان وزمان إلا أنه فى هذه الأماكن والأزمنة أوجب وأحبّ ، فعسى اللّه تعالى أن يَعُمّه برحمته وفضله فيمن يعمّهم .. ، ألا ترى إلى رسول اللّه ﷺ كيف كان إذا أقبلت العشر الأواخر من رمضان يوقظ أهله ويشّد المئزر .. أى يجتهد فى العبادة فوق ما كان يجتهد..وأيقظ أهل رحمة بهم حتى لا يفوتهم هذا الفضل.

فمن كان مترقباً لزيارة ضيف عزيز ألا يجب عليه أن ينظف بيته وينظمه حتى يليق بالضيوف !! فالمترقب لفضل اللّه تعالى عليه أن ينظف قلبه ويستعد لفضل اللّه واللّه ذو الفضل العظيم.

١٣ - الأدب مع الله تعالى :

وهذا خير ما نختم به هذا الباب .. فإنه الشامل الجامع لكل الآداب.. وهو مفاتيح رحمة اللّه تعالى .. ، فإن من رزقه اللّه تعالى الأدب معه فقد فاز فوزا عظيما ..، حتى وإن غلبت عليه الزلات والغفلات فإن اللّه تعالى محسن ختامه بفضله جل شأنه وبأدبه معه..

ومن الأدب مع اللّه تعالى ألا تنسب إليه فعلا سيئاً ولا أمرا ضاراً يقول سيدنا إبراهيم عن ربه جل وعلا (الشعراء - ٧٩و٨٠): ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ ﴾

فنسب الخليل عليه السلام نعمة الطعام والشراب إلى اللّه تعالى..، أما المرض فقد نسبه إلى نفسه فقال وإذا مرضتُ ..، ولم يقل إن المرض من اللّه !! ثم نسب الشفاء إليه تعالى وهو النعمة ..، فنسب كل فضل إلى اللّه .. وما يُستاء منه ويُتألم نسبه إلى نفسه ..، وكلٌ من عند اللّه.

كذلك انظر إلى تلطف سيدنا موسى عليه السلام فى طلب الطعام من ربه عندما خرج من مصر متوجهاً إلى مدين حيث دعا ربه:﴿ ... رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (القصص-٢٤)

أى يا رب إنى محتاج الآن لما قد قدرته لى من رزق فى سابق علمك . ، وكأن سيدنا موسى عليه السلام لم يطلب الرزق من اللّه تعالى صراحة ليقينه الكامل بأن رزقه مقسوم له وأنه ما من دابة إلا على اللّه رزقها ..،

وتأمل فى دعوة نبى اللّه نوح عليه السلام وهو يطلب نجاة ابنه حيث يقول(هود-٤٥):﴿... إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ ...﴾

ودعاء سيدنا أيوب عليها السلام وقد مسّه الضر واشتد عليه البلاء (الأنبياء-٨٣):﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾

فأنت ترى جميع الدعاء شاملا التسبيح للّه مع رقة اللفظ وحسن الطلب ،

ولأبين لك معنى أدب الكلام أضرب لك مثالا لمن قال لرجل إن كل أهله سوف يموتون قبله ويبقى بعدهم وحيدا .. ومن قال له إنه سيكون أطول أهله عمرا ، المعنى واحد .. ولكن انظر على الأدب فى التعبير.

فاللّه جل شأنه لا يُنسب إليه فعل السيئات ولا البلايا ولا المصائب وينسب إليه كل جميل وكل نعمة وكل فضل.

ومن الأدب مع اللّه الأدب مع كل نعمه .. ، وحسن الشكر على النعم يكون باحترامها وإجلالها وعدم احتقارها وإن قلّت وصغرت ..، وألا يضعها فى غير مكانها الشرعى .. وكل نعمة عليك من اللّه هى عارية استخلفك عليها لينظر ماذا تفعل بها وفيها ..، فإن أحسنت خلافتك عليها نمت وبورك لك فيها .. ، وإن أسأت بها ومعها سلبها منك ليعطيها غيرك ممن يقدرها ويشكره عليها حق الشكر.

واعلم أن لكى نعمة زكاة من جنسها عليك أن تؤديها ، فشكرك على نعمة يكون من نفس النعمة فانتبه ، يروى الطبرانى وابو نعيم عن عبد اللّه بن عمر قوله ﷺ " ان للّه تعالى أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد ويقُرها فيهم ما بذلوها ، فاذا منعوها نزعها منهم فحوّلها الى غيرهم" حديث حسن.

وصدق اللّه تعالى حيث يقول: ﴿ ...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...﴾ (إبراهيم-٧)

واعلم أن هناك فرقاً بين من اشتهت نفسه نعم الدنيا فتشوّف لها وطلبها وبين من جاءته هذه النعم دون شهوة منه أو تشوف .. ، فإنها إذا جاءته دون طلب منه لها أعانه اللّه عليها وعلى حسن شكرها ..، أما إن جاءته بطلب منه ورغبة فإنه يوكل إليها وإلى نفسه وانظر إلى قول رسول اللّه ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة " يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها " متفق عليه.

ومن الأدب مع اللّه تعالى ألاّ تتساءل عن جبرية أو تخيير البشر

فتقول هل الإنسان مسيّر أم مخيّر ..، وبصرف النظر عن الجواب فإن هذا التساؤل لا محل له فى الإيمان الصحيح بالله تعالى ..، فالله يقول:﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأنبياء-٢٣)

فالمؤمن بالله تعالى، والذى أسلم إليه وجهه ووجهته لا يسأل الله تعالى عما يفعله به فإن فى هذا تطاولاً من العبد لا ينبغى أن يكون..، وهل فهم العبد نفسه وهو جاهل ظالم. لا يعلم من أمرها شيئا .. ولا يعرف سّر ولا حكمة القضاء والقدر ولا سّر لطف الله ولا حكمته حتى يتساءل هذا التساؤل الذى لا يليق بعظمة الله سبحانه!!! ، فالدخول فى جدل ونقاش فى هذا الأمر ليست له فائدة ترجى ..، فالذين قالوا بالتسيير تحزّبوا لصفات القدرة والعظمة الإلاهية .. ، والذين قالوا بالتخيير تحزبوا لصفات العدل والعلم الإلاهى .. ، وكلاهما لم يُحط بصفات الله وأسرارها، ولا يعرف الله إلاّ الله تعالى .. ونبىّ الله موسى عليه السلام لم يعرف حكمة الله تعالى فيما فعله العبد الصالح من خرق السفينة وقتل الغلام إلا بعد أن أخبره بذلك .. ، فالأولى بمن يتساءل عن مثل هذه القضايا أن يشغل نفسه بذكر الله وطاعته فهو أنفع له وأجدى.

ومن الأدب مع الله تعالى يقينك بأن كل ما يصيبك من سوء إنما هو من تدبير نفسك ..، إما لسوء تقديرها للأمور و إما لطلبها ما يطغيها.. وإما لعدم شكرها للنعم .. وإما لكثرة ذنوبها ومعاصيها .. ، وقد يكون البلاء رحمة من الله .. وقد يكون فيه لطف الله تعالى .. وقد يكون تأديبا من الله للتذكرة والعودة إليه ... وقد يكون إصلاحا لها كما ينقى الذهب بالنار ، والنفس فى كل هذه الأحوال مأجورة إن صبرت.. ومرضية إن شكرت.

ومن الأدب مع الله تعالى دوام نظرك إليه هو .. لا إلى نعمة ولا إلى بلاء ولا إلى دنيا ولا آخرة ..، فربّ هؤلاء .. وخالق هؤلاء هو الأولى

بالعبادة .. والنظر إليه.

ومن الأدب مع اللّه تعالى اتخاذك الأسباب فى الدنيا مع يقينك بأن الأسباب غير فاعلة ولا قادرة . ، بل ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن.. ولكن اتخاذ الأسباب هو من إقامة شريعة اللّه فى الأرض وهذا تؤجر عليه ..

ومن الأدب كذلك جبر خواطر المنكسرين من خلق اللّه يقولﷺ وما عُبدَ اللّه بأحب إليه من جبر الخواطر.

ومن الأدب معه جل شأنه تعظيم اسمه تعالى لمن استعاذك به أو سألك به كما يقول ﷺ " من استعاذكم باللّه فأعيذوه ومن سألكم باللّه فأعطوه " وكان سيدنا عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنه يعطى كل من يسأله حتى وإن كان يعلم أنه غير محتاج ويقول " من خدعنا باللّه انخدعنا له " .. وكذلك كان كثير من الصالحين لا يردون سائلا أبدا.. ، فإن كان محتاجا أعطوه الكثير وإن كان غير محتاج أعطوه القليل، ويقولون إن اللّه تعالى قد أوقفه منهم موقف السائل وأوقفهم منه موقف المعطى ويتمثلون بقول رسول اللّهﷺ " إنه لو صدق السائل لهلك المسئول " أو كما قال " لو صدق السائل ما أفلح من ردّه " ويقول ﷺ " ردُّوا السائل ولو بظلف مُحرق " كما رواه البخارى

ومن الأدب مع اللّه تعالى حفظ ستر من ستره اللّه تعالى من عباده.. ،فإن اللّه هو الستار ويحب من يستر عباده .، يقول ﷺ " ومن ستر مسلما ستره اللّه فى الدنيا والآخرة " وعند ما جاء رجل يشهد على رجل عند رسول اللّه فى معصية فعلها .. قال له الرسول " ألا سترته بثوبك " ، فلما أراد الشاهد أن يستشفع فيه نهاه رسول اللّه ﷺ وقال له : إنما كان ذلك قبل أن تأتينى به ..، فلا شفاعة فى حدود اللّه متى وصلت إلى ولى الأمر ،

والتجسس نوع من كشف ستر اللّه عن عباده ..، ومن التجسس أن يسبق نظرك إلى منزل صاحبك إذا فتح لك الباب أو وجدت فرجة تطل منها عليه ..، فلا دخول ولا نظر إلى بيت أخيك إلا بإذنه ..، ويقول ﷺ "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر" كما رواه البخارى ومسلم.

ومن الأدب مع اللّه تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم .. فإنه أسير اللّه فى الأرض ويقول ﷺ" إن من إكرام اللّه تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم".

ومن الأدب مع اللّه تعالى إظهار أثر نعمة اللّه عليك دون كبر أو عُجْب أو خيلاء ، ولكن تحدّثا بنعمة اللّه تعالى وشكرا له .. ورسول اللّه ﷺ يقول " إن اللّه يحب أن يرى أثر نعمته على عباده ".

والحقيقة أنه لا نهاية للأدب مع اللّه تعالى .. فكل مقام أقامك فيه لك فيه معه أدب .. ، وكلما ارتقت نفسك وطهرت روحك ارتفع أدبك مع اللّه تعالى، وترى أنك كنت مقصرا غاية التقصير معه جل شأنه..، حتى قالوا إن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

ولعلك تفهم قول اللّه تعالى فى سورة الفتح:﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾

فأى ذنب والأنبياء معصومون من الذنوب ، وأى ذنب والأنبياء مع اللّه فى كل وقت وفى كل حال يقظة ومناما،

ولكن دوام الترقى وزيادة المعرفة يجعل حسنات الأبرار سيئات المقربين .. فما بالك بمقام النبوة .. ولا يتسع المجال هنا إلى شرح مفصّل وفى هذا القدر كفاية ..،

وخلاصة القول أن العبد كلما ازدادت معرفته بالله كلما ازدادت معرفته بتقصيره في العبادة الحقة لله .. ، ولا نهاية لمعرفة الله تعالى .. ولا نهاية للأدب معه جل شأنه .. ،

فالتقوى مثلا درجات . أدناها تقوى الحرام وهو أن يتقى الحرام قولا وعملا .. وأوسطها أن يتقى الشبهات .. فيبتعد عما اشتبه عليه حتى وإن غلب على ظنه أنه حلال .. ثم هناك تقوى الحلال وهى الأعلى والمقصود منها ألا يأخذ من الحلال إلا على قدر الضرورة التى تقيم حياته لا غير . فأين من يتقى الحرام من الذى يتقى الحلال!!!

يقول ﷺ" لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذار مما به بأس " رواه الترمذى وابن ماجة وغيرهما حديث صحيح.

وكذلك التوبة درجات فتوبة عن السيئات .. وتوبة عن رؤية الحسنات وتوبة عما سوى الله تعالى ،

فالتوبة عن السيئات معروفة .. ،

والتوبة عن رؤية الحسنات يتمثل فيها قول الله تعالى فى سورة الحجرات:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧) ﴾

فالفضل لله .. والهدى من الله والعمل هو بقدرة الله وتوفيقه،

أما التوبة عما سوى الله تعالى فهى أن يتمثل قوله تعالى فى سورة الأنعام-٧٩ : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ ، فكل مقام لك فيه توبة .. ولك فيه تقوى .. ولك فيه معرفة بالله

وقد ظل الإمام عليّ كرم اللّه وجهه ثلاثة أيام يتصدق بطعام أهل بيته على مسكين ويتيم وأسير وأهل بيته فى جوع وحاجة فنزل فيه قوله تعالى فى سورة الإنسان :﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾

وجاء للسيدة عائشة عليها رضوان اللّه تعالى سبعون ألف درهم فوضعتها فى طبق وقسّمتها للمحتاجين .. ، فلما أصبحت قالت لجاريتها هلمّى إلى الطعام . ، فجاءتها بخل وزيت وقالت أما كنت اشتريت بدرهم من دراهم الأمس لحماً ؟؟ قالت السيدة عائشة : أما لو كنت ذكرتنى لفعلت !! ، نسيت أمر نفسها وأمر جاريتها وتذكرت المساكين والمحتاجين!!. ولم تحتجز شيئا لطعامها ولا ما يكفيها.

وكان الإمام أبو حنيفة النعمان عليه رضوان اللّه يختم القرآن مرتين كل يوم من رمضان .. ختمة بالليل وختمة بالنهار ..، وظل أربعين سنة يصلى الفجر بوضوء العشاء .. ، لا ينام ولا يغفل عن عبادة اللّه وقيام الليل.

فانظر إلى هذه القمم الإنسانية الإسلامية .. وما أكثرهم فى تاريخ الإسلام سابقا وحاضرا ..، فإن الدنيا لا تخلو من أمثالهم إلى يوم الدين..، ولكنك لا تعرفهم ولا هم يفصحون عن أنفسهم ولا عنْ أعمالهم..، وبهؤلاء يُرحم الناس .. ومن أجلهم لا ينزل غضب اللّه على العصاة فى الدنيا ..، وتأمل أين نحن منهم وهم بشر ونحن بشر وفتن الدنيا وشهواتها كانت موجودة أيامهم كما هى فى أيامنا وإن اختلفت صورها.

موجز الباب السابع

ونوجز لك أهم ما مر فى هذا الباب فنقول :

●حظك من رسول اللّه ﷺ هو بقدر ما اتبعت من شريعته وقدر ماسرى فى قلبك من نور هدايته.

●لانهاية لآداب الإيمان .. وكلما ازداد إيمانك كلما ارتقى أدبك.

●من الأدب أن تعطى كل ذى حق حقه وأهم هذه الحقوق هى:-

○حقوق الوالدين : بالسمع والطاعة والخدمة الطيبة.

○حقوق الأولاد : بحسن التربية والرزق الحلال.

○حقوق الإخوة : بتفقد مصالحهم ورعايتهم وصلتهم.

○حقوق الأزواج : بحسن المعاشرة والحفاظ على ذات البين.

○حقوق الجار : بحسن العشرة وعدم الإيذاء.

○حقوق المسلم : بالنصيحة والرحمة وقضاء المصالح وحفظ حرماته.

○حقوق غير المسلم: بالرحمة والعدل وعدم الظلم.

○حقوق الحيوان : بالرحمة وحسن استخدامه ورعايته.

○حقوق الإخوة فى اللّه : وأهمها الإيثار والتعاون على البر والتقوى.

●وأهم الآداب هى :

○التوبة : وهى الإقلاع عن الذنوب والعزم على عدم العودة مع

الندم.

○المراقبة : وهى اليقين بمراقبة اللّه لك فى كل حال ووقت.

○المحاسبة : وهى محاسبة النفس على النيات والأعمال والأقوال.

○المجاهدة : وهى ردّ النفس إلى الطاعات وزيادة العبادات.

○الأدب مع كتاب اللّه : بحسن التلاوة والتدبر والتبجيل.

○الأدب فى ذكر اللّه : بالإخلاص وانشغال القلب به مع اللسان.

○الأدب فى الدعاء : بالذلة والإخلاص إلى اللّه وعدم التكلف فيه.

○الأدب مع موتى المسلمين : بالدعاء لهم وزيارة القبور وحفظ حرماتهم.

○أدب الدعوة إلى اللّه : بالحكمة والموعظة الحسنة ومراعاة كل حالة.

○الأدب مع عباد اللّه الصالحين : بالاحترام والاسترشاد بهم.

○الأدب مع رسول اللّه : بالتبجيل والتوقير والحب وكثرة الصلاة عليه والاقتداء به.

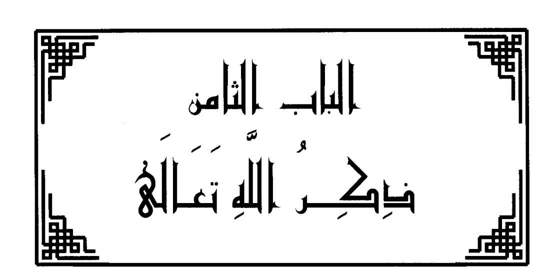
○أدب التعرض لنفحات اللّه : بحسن الاستعداد والذلة والانكسار.

○الأدب مع اللّه تعالى : وأهمية الشكر .. والذلة إليه .. والتسليم.. واحترام النعمة .. وستر العباد.

* * *

اللَّهم ارزقنا حسن الأدب معك ومع خلقك ونور بصائرنا كما نورت بصائر العارفين واغفر اللَّهم لنا ولسائر المسلمين أجمعين .. وصلِّ وسلِّم وباركْ على خاتم رسلك وسيد الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *


الباب الثامن
ذِكرُ اللّهِ تَعَالَى

سبق القول بأن الذكر هو جريان الاسم أو المعنى على قلبك وفكرك.. وضده السهو والغفلة.. فذكر اللّه تعالى هو جريان أسمائه أو صفاته أو آثار صفاته على قلبك وفكرك.. فإن زامله اللسان بالنطق فهو الأعم الأشمل، حيث يكون قلبك مشغولاً مع جوارحك ، فتجتمع عندك عبادة الباطن مع عبادة الظاهر.. ومثله مثل النية فإن أساسها فى القلب والتلفظ بها أعم وأكمل ليكون للسان ثواب فى العبادة وهو التلفظ..

وقد علمت أنه ما من شئ فى الوجود إلا ويسبح بحمد اللّه تعالى.. الجماد والنبات والحيوان وكثير من الناس.. وجميع الملائكة.. وكثير من الناس يغفل عن الذكر وينسى.. مع أن جوارح الإنسان لها كيان منفصل عنه.. وهى تسبح اللّه تعالى منفردة عنه.. ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿ ... وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم... ﴾ (يس-٦٥) ،

ويقول تعالى فى سورة فصلت-٢١ :﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ...﴾.. فاللّه تعالى قد أنطق كل شئ.. وكل شئ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم.. وقد ورد أن الجوارح تخاطب اللسان إذا أصبح كل يوم..

فكل ما حولك.. وكل من حولك ذاكر للّه.. أفلا تكون أنت العاقل مسبحاً ذاكراً !!!

وقد علمت أن لكل اسم من أسماء اللّه تعالى وصفاته..ملائكة وجنود يذكرون اللّه تعالى به ويعيشون فى أنواره وتجلياته.. يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(الفتح-٤)..

فهناك ملائكة موحدون يذكرون بلا إله إلا الله.. وهناك ملائكة يستغفرون الله تعالى للمؤمنين.. وملائكة يصلون على رسول الله ﷺ.. ولانهاية لعددهم ولا حصر لأنواعهم.

وكل عبد يذكر الله تعالى بما يوافق ذكرهم يدخل فى زمرتهم ، وتنضم روحه إليهم ، ويعيش قلبه معهم فيتأثر بهم ، وتذوق الروح من أنوارهم ، ومن أنوار التسبيح..

يقول تعالى فى سورة غافر:﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾

ويقول:﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ... ﴾

ويقول فى سورة الإسراء-٤٤:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ... ﴾

كما يقول جل شأنه على لسان الملائكة عندما أخبرهم بخلق آدم فى سورة البقرة-٣٠:﴿... قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ...﴾.

ويقول جل شأنه فى سورة الأحزاب:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ.... ﴾

ويقول في سورة الأحزاب-٤٣:﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ...﴾

ويقول جل شأنه آمرا بالذكر والدعاء إلى الله تعالى في سورة الأعراف :﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

ويقول على لسان الملائكة في سورة الصافات :﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾

ويقول تعالى في الحديث القدسي " إذا ذكرني عبدى في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني عبدى في ملأٍ ذكرته في ملأ خير من ملئه " متفق عليه.

فالذاكر المستغفر للّه تعالى يدخل في زمرة الملائكة المستغفرين، والمصلى على رسول اللّه ﷺيدخل في المصلين عليه ، عليه الصلاة والسلام والمسبح مع الملائكة المسبحين ، والمكبر مع المكبرين.. وهكذا..

وهذا الأمر تحس بأثره الروح أولاً دون الجسد فتصفو وترق بنور اللّه تعالى وبأثر الذكر عليها.. وكل ذكر معين له أثر خاص به.. أو كما يقولون له أنواره الخاصة.. فتأثر النفس بالتسبيح غير تأثرها بالاستغفار غير تأثرها بالصلاة على رسول اللّه ﷺ.. وكل ذكر منهم هو دواء لداء خاص من أمراض النفس والروح.. وهذا أمر دقيق لا يعرف إلا بالذكر والاجتهاد فيه حتى تتذوق أنواره وأسراره..

لذلك نجد أن رسول اللّه ﷺ يحبب إلينا الذكر بصيغ كثيرة مختلفة بحيث يأخذ كل مسلم ما يناسب روحه وقلبه.. فرسول اللّهﷺ

يدعو إلى التسبيح عقب كل صلاة ثلاثاً وثلاثين.. والتحميد والتكبير مثله وختام المائة هو قول لا إله إلا اللّه له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير.

ويقول ﷺ " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم ".

ويقول " من قال لا إله إلا اللّه موقناً بها مخلصاً قلبه دخل الجنة" ،

وقوله " قولوا لا إله إلا اللّه تفلحوا ".

وقوله " أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا اللّه وحده لاشريك له".

وقوله " لو أن لا إله إلا اللّه فى كفة والسموات السبع والأرضين وما فيهن فى كفة لرجحت كفة لا إله إلا اللّه".

وقوله ﷺ للسيدة جُوَيْرِيَة قولى " سبحان اللّه وبحمده عدد خلقه وزنة عرشه ورضاء نفسه ومداد كلماته "..

فهذه دعوات متنوعة من رسول اللّه ﷺ للتسبيح بصيغ مختلفة..

وتجد الصورة نفسها فى القرآن الكريم.. وانظر إلى الآيات التالية وما فيها من فضائل الذكر.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾

وقال تعالى فى سورة الأحزاب :﴿.... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾

وقال تعالى فى آل عمران-١٣٥ :﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ... ﴾

وقال تعالى فى سورة الأنفال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾

وقال تعالى فى سورة طه :﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾

وقال تعالى فى سورة الكهف :﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾

وقال فى سورة الأنفال :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾

وقال فى سورة الرعد : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾

وقال فى سورة الإنسان :﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ ﴾

وقال فى الأعراف-١٨٠ :﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾

وقال فى سورة النصر:﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾ ﴾

وقال فى سورة الواقعة :﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾

وقال فى سورة الحج-٣٧ : ﴿... لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ...﴾

وقال فى سورة العنكبوت-٤٥ : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ...﴾

فالمسلم مأمور بذكر اللّه تعالى والتسبيح والتكبير والصلاة على رسول اللّه و الاستغفار.

ويوضح اللّه تعالى أهمية الذكر بقوله فى العنكبوت-٤٥:

وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ.. جل جلال اللّه.

وقد سبق القول بأن هناك فرقاً بين ذكر اللّه تعالى وذكر أسمائه جل شأنه.

فذكر الاسم هو التسبيح بهذا الاسم..

وذكر اللّه تعالى يكون بكل عمل يقرب إليه سبحانه ،

والمهم فى الحالتين جريان الأسماء والصفات العلية على القلب ، لذلك فيمكن تقسيم الذكر إلى ذكر مجرد وهو ذكر عبادة خالصة.. وذكر عادات.. وهو الذكر الملازم لعاداتك وأفعالك اليومية من طعام وشراب ونوم وغيرها..

• الذكر المجرد

وهو كما قلنا ذكر اللّه تعالى بأسمائه وصفاته وتسبيحه وتوحيده والمقصود به تكرار اللفظ على القلب أو القلب واللسان مع سريان المعنى فيهما.. ومن أنواعه :

• التوحيد والتسبيح وما ماثلهما :-

وذلك مثل الاستغفار والتكبير والتهليل (التهليل هو قول لا إله إلا اللّه) وخلافها كما وردت به الأحاديث الشريفة فى مثل هذه الأذكار.

• تلاوة القرآن :

يقول تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ... ﴾(النحل-٤٤). فقد سمَّى اللّه تعالى القرآن ذكرا.. ويقول لزوجات رسول اللّه ﷺ: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ ...﴾ (الأحزاب-٣٤)،ويقول:﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ... ﴾ (الكهف-٢٧).

وفضل تلاوة القرآن عظيم.. وثوابها بعدد كل حرف تتلوه.. يقول ﷺ " خيركم من تعلم القرآن وعلّمه".. ويقال لقارئ القرآن يوم القيامة.. "اقرأ وارْقَ".. فكلما قرأ القرآن كلما ارتفعت درجاته.. ويقول ﷺ " أفضل عبادة أمتى تلاوة القرآن " ويقول " ما من شفيع أفضل منزلة عند اللّه تعالى من القرآن لأمتي ولا مَلَك ولا غيره ".

وقراءة القرآن تكون بفهم وبغير فهم.. وكل قارئ له ثوابه..

وهو كل علم يقصد به التقرب إلى اللّه تعالى بحسن العبادة وزيادة المعرفة باللّه.. وقد سبقت الإشارة إلى أن من العلم ما هو فرض عين على كل مسلم ، وذلك هو الحد الأدنى من العلم الذى تصحّ به عبادته ويتم له بها معرفة الحلال والحرام من أوامر دينه.. فهذا العلم فرض على كل مسلم ومسلمة كما سبق القول..

ومن العلم ما هو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين وهو العلم الذى يحتاج الناس إليه فى معاشهم ويصلح به حالهم.. كمن يتخصص فى فرع من فروع العلم ليفتى الناس فيما يقابلون من أمور دينهم ودنياهم التى لاتصلح إلا بهذا العلم.، ومنها علوم الصناعات والطب وغيرها.. فإن الواجب على المسلمين ألا يتخلفوا عن التقدم فى هذه المجالات العلمية.. والفرق بين المسلم والكافر أن المسلم الحق يطلب به وجه اللّه تعالى لا زينة الدنيا..

ويقول ﷺ إن طالب العلم تستغفر له الخلائق حتى الحوت فى بطن البحر..

ويقول إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، ويقول من سلك طريقاً يبتغى به علما سلك اللّه به طريقا على الجنة..

واللّه تعالى يقول:﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ .... ﴾ (فاطر-٢٨) ،ويقول فى المجادلة-١١: ﴿... يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

ويقول فى آل عمران-١٨:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآبِمًا بِٱلْقِسْطِۚ ... ﴾

فطلب العلم وخاصة العلوم الشرعية وكل علم يقصد به وجه الله تعالى هو ضرب من ضروب الذكر لله تعالى..

وشرط كونه ذكرا هو أن يكون المتعلم قاصدا به وجه الله.. أما القاصد الدنيا أو السمعة فهو ونيته حتى وإن كان ما يتعلمه هو العلم الشرعى.. فالعبرة بالنيات..

• التفكير في ملكوت السموات والأرض :

يقول تعالى فى سورة آل عمران:﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾

فالتفكر فى السموات والأرض وتدبر آياته الله تعالى فى كونه من أعلى درجات الذكر حيث ذكره الله تعالى بعد مرحلة الذكر قياما وقعودا وعلى الجنب أى بعد الاستغراق الكامل فى ذكر الله تعالى فى كل الحالات. ، فإذا تشبّعت النفس بأنوار هذا الذكر الدائم فإنها تتفتح ويتكون عندها الاستعداد الروحى والتأهل اللازم للروح قبل أن تضع نفسها فى مقام التفكر فى الملكوت.. ولا بد للنفس من هذا الاستعداد أولا لتربية النفس كما سبق الكلام عنها فى باب النفس حتى تنير بشرع الله الظاهر ونور الله الباطن.. وعندئذ يكون تفكرها بحكمة وتبصر..

يقول تعالى فـى سـورة الذاريات : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

ويقول تعالى فى سورة العنكبوت-٤٣:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾

فآيات الله تعالى هى للموقنين والمستبصرين والعالمين.. والعاقلين.. ،

لذلك فيلزم للتفكر فى ملكوت السموات والأرض أساس متين من الذكر الخالص لله تعالى.. وهذه المرحلة هى أعلى درجات الذكر لمن فتح الله عليه وهيأه لذلك.

• ذكر الأنبياء والصالحين والاعتبار بهم :-

يقول الله تعالى لرسوله الكريم:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ **(مريم-٤١)**

ويقول:﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾**(مريم-٥١)**

ويقول: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ ﴾ **(مريم-٥٤)**

ويقول فى سورة يوسف-٣:﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة القصص-٣:﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾

ويقول فى سورة الأعراف-١٧٦:﴿... فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

فالقرآن فيه الكثير من ذكر الأنبياء السابقين ، وقصصهم عبرة لمن يتلو ويعتبر.. فذكر الصالحين والاعتبار بسيرهم وأقوالهم وحكمتهم هو نوع من ذكر الله تعالى.، وخير ما يدرسُ فى هذا الشأن هو سيرة رسول اللّهﷺ والتأسى بها والتعلم منها.. وكذلك سيرة صحابته الكرام وكذلك الصالحين من عباد اللّه تعالى.

- **العمل الخالص لله :**

وهو باب عظيم فيه الخير العميم وهو ميسّر لكل عامل ومجتهد.. وهو توجيه أعمالك الدنيوية لتكون فى سبيل اللّه.. فتقصد فى أداء أعمالك الدنيوية أن يكون عملك للّه تعالى بتوجيه نية العمل إلى اللّه لتكون امتثالا لأمره بالسعى فى الدنيا ولستر من تعولهم ولاستجلاب الرزق المقدر لهم فى علم اللّه تعالى.. ولا تقصد بعملك زينة الدنيا ولا شهواتها ولا الكبر والخيلاء فيها..

فالأكل تقصد به التقّوى على طاعة اللّه.. وحفظ الجسد الذى استحفظك اللّه عليه أمانة عندك.. فلا يكون الطعام مجرد شهوة لذاته ولكنه لقصد وجه اللّه تعالى كذلك. ، وقس على ذلك الأعمال الأخرى كافة.. حتى يصبح نومك ويقظتك وطعامك وشرابك وعملك.. كلها فى سبيل اللّه تعالى وتكون قد صيّرت الحياة كلها عبادة فتؤجر عليها وتكون

لك ذكرا.. لذلك يقول تعالى فى القصص-٧٧ :﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ ... ﴾

أى اجعل كل حياتك للّه تعالى.. وكل نعمة أنعمها اللّه عليك فسخِّرها فى سبيل اللّه. واجعل كل عملك متوجها إليه وقاصدا به وجهه الكريم. وبذلك تكون قد استفدت من دنياك لآخرتك ولم تنس نصيبك من العمل الصالح فى الدنيا للآخرة..

وهذا الأمر رغم بساطة ظاهره إلا أنه عزيز المنال.. فإن الفصل بين شهوة النفس ورغبتها فى زينة الحياة الدنيا وبين توجيه نيتك إلى اللّه أمر ليس بالهين وإذا كان إبليس يحبب إليها الرياء فى العبادات الخالصة للّه حتى يمدحها الناس بالطاعة والعبادة.. فكيف بما هو زينة أصلا.. وشهوة من شهوات الدنيا مركبة فيها !!!كيف تصدق نيتها فيه إلى اللّه متجردة عن شهواتها !!!

إن العزم الصادق وصدق توجيه النية إلى اللّه تعالى يستلزم المراعاة الكاملة لغوائل النفس وتلبيسها للأمور حتى لا تزين لك شهواتها ورغباتها على أنها فى سبيل اللّه فتكون الطامة الكبرى.. واللّه الموفق والمستعان فى مثل هذا الأمر الدقيق..

ليس هناك فضل أعم ولا أعظم من فضل الذكر.. بل إن الله تعالى قد جعل الفارق بين الذاكر والغافل هو كالفارق بين الحى والميت.. فيقولﷺ إن مثل من يذكر الله تعالى والغافل عن ذكره كالحى والميت.. لذلك يقول تعالى فى سورة الأنعام- :١٢٢: ﴿ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

ويقول تعالى فى وصف الغافل عن ذكر الله فى سورة الزمر-٢٢:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

ويقول فى سورة الكهف-٢٨:﴿... وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾

وقد سبق التعرض لهذه المعاني فى باب الإيمان من قبل فليرجع إليها من يشاء.

وفضائل الذكر كثيرة ، يقول تعالى فى ســـــورة العنكبوت-٤٥: .
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ...﴾

فنظرا لتكرار الذكر وترديده المستمر فى القلب وعلى اللسان فإن أثره أكبر فى النفس والروح.. ويقول ﷺ " إن لله ملائكة سياحين فى الأرض فضلا عن كُتّاب الناس ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هَلُمُّوا إلى بغيتكم فيجيئون يحفّون بهم إلى عنان السماء ، فيقول الله

تعالى: أى شئ تركتم عبادى ، فيقولون : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويسبحونك ، فيقول تبارك وتعالى : وهل رأونى، فيقولون: لا.. فيقول: كيف لو رأونى. فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تسبيحا وتمجيدا. فيقول لهم: من أى شئ يتعوذون. فيقولون : من النار فيقول تعالى : وهل رأوها. فيقولون: لا. فيقول : فكيف لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد هربا وأشد نفورا.. فيقول اللّه عز وجل: وأى شئ يطلبون فيقولون : الجنة. فيقول : وهل رأوها. فيقولون : لا. فيقول تعالى: فكيف لو رأوها. فيقولون: لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا.. فيقول: جل جلاله إنى أشهدكم أنى قد غفرت لهم. فيقولون : كان فيهم فلان لم يردهم وإنما جاء لحاجة. فيقول اللّه عز وجل: هم القوم لا يشقى جليسهم " رواه البخارى..

ويقول ﷺ " ما جلس قوم مجلساً يذكرون اللّه عز وجل إلا حفّت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم اللّه فيمن عنده "

ويقول " لوجاء قائل لا إله إلا اللّه صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر اللّه له ذاك "

ويقول ﷺ " ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء "

ويقول " ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا اللّه سبحانه وتعالى فيه ولم يصلّوا على النبى ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة " رواه الترمذى،

ويقولﷺ " يقول اللّه تعالى أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت شفتاه بى "

وقال ﷺ " أصبح وأمْسِ ولسانك رطب بذكر اللّه تصبح وتمس وليس عليك خطيئة "

وقل ﷺ عن السبعة الذين يظلهم اللّه تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله "رجل ذكر اللّه تعالى خاليا ففاضت عيناه من خشية اللّه "

ويقول ﷺ " من أحب أن يرتع فى رحاب الجنة فليكثر ذكر اللّه عز وجل " رواه الطبرانى.

ويقول ﷺ " ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب اللّه من ذكر اللّه عز وجل قالوا ولا الجهاد فى سبيل اللّه قال ولا الجهاد فى سبيل اللّه إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع"رواه الطبرانى.

ويقول ﷺ " يا أبا هريرة لقّن الموتى شهادة لا إله إلا اللّه فإنها تهدم الذنوب هدماً ، قلت يا رسول اللّه هذا للموتى فكيف للأحياء قال هى أهدم وأهدم "

وقال للمسلمين : " كلكم يدخل الجنة إلا من أبى قالوا ومن يأبى يا رسول اللّه فقال لهم : من قال لا إله إلا اللّه دخل الجنة ومن لم يقلها فقد أبى "

وقال ﷺ إن من دخل السوق فقال : " لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير كتب له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبنى له بيتا فى الجنة "..

وقد قيل إن من قال لا إله إلا اللّه مخلصا فكأنما يرد على كل كافر ومشرك ويكون له من الثواب بعددهم..

وقال ﷺ " إذا قال العبد الحمد للّه ملأت ما بين السماء والأرض فإذا قال الحمد للّه الثانية ملأت ما بين السماء السابعة إلى الأرض السفلى.. فإذا قال الحمد للّه الثالثة قال اللّه تعالى : سَلْ تُعْطَ.." وقال "الباقيات الصالحات هن لا إله إلا اللّه وسبحان اللّه والحمد للّه واللّه أكبر

ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم ".

وسأل أبو ذر رضى اللّه عنه رسول اللّه ﷺ " أى الكلام أحب إلى اللّه تعالى. قال : ما اصطفى اللّه سبحانه لملائكته سبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم "

وقال " لا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم من كنز من تحت العرش "

وقال " من قال سبحان اللّه وبحمده غُرِسَتْ له نخلة فى الجنة "

وقال ﷺ فى فضائل الاستغفار " من أكثر من الاستغفار جعل اللّه له من كل هَمٍّ فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب "

وكان رسول اللّه ﷺ يقول " سبحانك اللّهم وبحمدك اللّهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم " متفق عليه..

ويقول " ما أصَرَّ من استغفر وإن عاد فى اليوم سبعين مرة "

وقال " من قال حين يأوى إلى فراشه استغفر اللّه العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات غفر اللّه ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر "

وقد رُوِى الحديث دون صيغة "يأوى إلى فراشه " ،

وقال ﷺ فى فضل الصلاة عليه ﷺ " من صلّى علىّ صلّت عليه الملائكة ما صلّى علّى فليقلل عند ذلك أو ليكثر " رواه الطبرانى..

وقال " إن أولى الناس بى أكثرهم علّى صلاة " وقال " أكثروا من الصلاة علّى يوم الجمعة "

وقال " من صلّى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى فى ذلك الكتاب "

وقال " إن فى الأرض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام "

وقال:"ليس أحد يسلم عليّ إلا ردّ اللَّه عليّ روحي حتى أرد عليه السلام"

وقال " من قال حين يسمع الأذان والإقامة : اللَّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صلّ على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حَلّت له شفاعتى".

هذا بعض ما جمعناه فى فضائل الذكر وفيه الكفاية لمن أدركته العناية إن شاء اللَّه..

غير أن فضائل الذكر وأثره فى القلب والنفس لا يمكن أن تعرف من مجرد الكلام.. لأن أثره ونوره تنصب أساسا على النفس والروح وقد سبقت الإشارة إلى أن ما تتذوقه النفس أو تعرفه لا يعبر عنه بعوالم الإدراك (راجع قوى النفس وعالم الملكوت فى الباب الأول والباب الثاني).. فإن الذكر يورث انطباعات قلبية وتغييرات نفسية لا تدرك ولا يعبر عنها بالكلام.. وإذا كان كل غذاء للجسد إذا داومت عليه يترك أثرا خاصاً على الجسد وفيه وهذا أمر يعرفه الأطباء جيدا.. فكذلك غذاء الروح لابد أن يترك أثراً مميزا لكل غذاء.. أى لكل صنف من الغذاء.. ولذلك فقد تنوعت مكافأة الذاكرين من رب العزة والجلال.. فالموحد للَّه غير المصلى على رسول اللَّه غير المستغفر غير المسَبِّح.. فكلٌ له ثوابه الخاص بكل ذكر.. فكان لابد أن تعرف بالضرورة أن لكل ذكر منهم أثراً خاصاً به.

واعلم كذلك أن ذكر اللَّه تعالى يجوز منفردا ويجوز فى جماعة.. وفى الجماعة خير كبير وسر عظيم.. وقد تواتر عنهﷺ الذكر مع الجماعة

كما كان يفعل مع أهل الصفة وهم خيار الصحابة ولذلك يقول تعالى : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ .. ﴾الكهف-٢٨.

فالجماعة لا تخلو من عالم ومتعلم فيكون فيها فضل العلم.. وأساسها الأخوة فى الله وقد سبقت الإشارة إلى فضلهما.. ويكون فيها الذكر والاستغفار والصلاة على رسول الله.. فيكون فيها فضل الذكر، لذلك فقد جمعت كثيرا من الخيرات.. وكل من حضر يأخذ على قدره.. وعلى قدر نيته وهِمَّتِه وذكره وصفاء قلبه..

غير أنه يجب على جماعة الذاكرين أن يلتزموا بشرع الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.. فلا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حَرَّمه جل شأنه.. وخير العبادة ما كان باتباع رسول الله ﷺ فى أفعاله وأقواله فيجب على الجماعة أن تلتزم بهذه السنن والآداب ولا تحيد عنها..

وقد سبقت الإشارة على فائدة "الهمَّة" والقوة فى الذكر فلا وجه لإعادتها..

تعلمنا سنة رسول اللّه ﷺ ذكر اللّه تعالى فى كل حالة من حالات العبد فى يومه وليلته من نوم واستيقاظ وخروج وطعام وخلافها وهى ما نطلق عليها أذكار العادات.. وعلى المسلم أن يتأدب بأدب رسول اللّه ﷺ ويأخذ منها على قدر توفيق اللّه تعالى له.. والمقصود من ذلك أن يكون العبد ذاكرا للّه تعالى فى كل أحواله.. شاكرا له أنعمه.. مستعينا به.. متوجها إليه فى كل فعل.. ولا يزال العبد يتذكر اللّه تعالى فى كل حالة حتى يصبح الذكر له عادة وحتى يعمر قلبه بالذكر الدائم للّه تعالى وهو المقصود..

وقد جمعنا لك بعض هذه الأذكار النبوية مختصرة حتى لا نطيل عليك ومنها:-

(١) عند الاستيقاظ من النوم:

" الحمد للّه الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور" "وأصبحنا وأصبح الملك للّه " البخارى ومسلم.

(٢) فى الصباح :

" بسم اللّه الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم " (ثلاث مرات صباحا وكذلك مساء) (أبو داود والترمذى).

(٣) عند الاستعداد للنوم:

"باسمك اللّهم أحيا وأموت" " اللّهم أسلمت نفسى إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رغبة ورهبة

إليك لا ملجأ ولا منجى منك إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت ". (البخارى ومسلم).

(٤) فى المساء:

" أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق " (الترمذى ومسلم).

(٥) عند الأرق فى النوم:

" اللّهم رب السموات السبع وما أظَلّت ورب الأرضين وما أَقَلّت ورب الرياح وما ذرت ورب الشياطين وما أضلّت كن لى جاراً من شر خلقك أجمعين" (الترمذى وأبو داود).

(٦) عند دخول الخلاء:

" اللّهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث " (البخارى).

(٧) عند الخروج من الخلاء:

" غفرانك الحمد للّه الذى أذهب عنا الأذى وعافانا ".

(٨) بعد الوضوء:

"أشهد ألا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" (مسلم)و "اللّهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين" (الترمذى)

(٩) عند الخروج من المنزل:

" بسم اللّٰه توكلت على اللّٰه ولا حول ولا قوة إلا باللّٰه "

" اللّٰهم إنى أعوذ بك أن أزل أو أُزَلّ ، أو أَضِل أو أُضَل أو أَظلم أو أُظلَم أو أن أطغى أو يُطغى علىّ " (الترمذى)

" اللّٰهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم".

(١٠) عند دخول المسجد وعند الخروج منه:

" بسم اللّٰه توكلت على اللّٰه اللّٰهم صلِّ على محمد اللّٰهم اغفر لى ذنوبى اللّٰهم افتح لى أبواب فضلك ".

(١١) عند سماع الأذان:

يقول مثل ما يقول المؤذن ، وعند قول المؤذن حى على الصلاة وحى على الفلاح يقول لا حول ولا قوة إلا باللّٰه العلى العظيم.. وعند قول المؤذن فى أذان الفجر " الصلاة خير من النوم " يقول: صدق رسول اللّٰه، وبعد فراغ المؤذن من الأذان يقول " اللّٰهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه اللّٰهم مقاما محمودا الذى وعدته ".

(١٢) عند ركوب الدابة وما شابهها:

﴿... سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (الزخرف)

(١٣) عند بداية السفر .

اللّهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللّهم هوّن علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده ، اللّهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللّهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد. (مسلم).

(١٤) عند الرجوع من السفر:

يزيد على الدعاء السابق قوله " آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ".

(١٥) عند دخول بلد:

اللّهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها وأعوذ بك من شر أهلها وشر ما فيها" رواه النسائى

(١٦) عند دخول المنزل:

يلقى السلام عند دخوله.

(١٧) عند مباشرة أهله:

" بسم اللّه ، اللّهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا".(البخارى).

(١٨) عند إنتهاء المجلس:

"سبحانك اللَّهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" ويسمى هذا الدعاء بكفارة المجلس لما يكون قد حدث فيه.. (الترمذى وغيره).

(١٩) عند الشراب:

يسمِّى باسم اللَّه قبل الشرب ويحمد اللَّه بعده.

(٢٠) عند الطعام:

يسمِّى فى أولّه فإن نسى يسمِّى عندما يتذكر ويقول" بسم اللَّه فى أوله وآخره " ثم يقول بعد الانتهاء " الحمد للَّه الذى أطعمنى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة". (الترمذى).

(٢١) عند صاحب الوليمة:

" أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار.. وصلّت عليكم الملائكة وذكركم اللَّه فيمن عنده". (أبو داود وغيره).

(٢٢) عند لبس الجديد:

" اللَّهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شرّه ومن شرِّ ما صُنع له ". (الترمذى).

(٣٣) عند التشاؤم:

"اللَّهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة إلا باللَّه".

(٣٤) عند رؤية الهلال:

" اللَّهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ربى وربك اللَّه، هلال رشد وخير" ثم يصلى على رسول اللَّه.

(٣٥) عند رؤية مبتلى:

"الحمد للَّه الذى عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه " (ويجب ألا يسمع صاحب البلاء هذا الدعاء).

(٣٦) عند زيارة مريض:

يدعو له " اللَّهم رب الناس أذهب البأس اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاءك شفاء لا يغادر سقما ".. ، " أسأل اللَّه العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك" (الترمذى).

(٣٧) عند الكرب:

" لا إله إلا اللَّه العظيم الحليم ، لا إله إلا اللَّه رب العرش العظيم لا إله إلا اللَّه رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم".

(٣٨) عند خوف الحسد:

"بسم اللَّه ما شاء اللَّه لا قوة إلا باللَّه"

(٢٩) عند الخوف من الخلق:

"حسبنا الله ونعم الوكيل"

(٣٠) عند البلاء و الشدة:

"إنا لله وإنا إليه راجعون لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"

(٣١) إذا وقع فى ورطة:

" بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم" (الطبرانى)

(٣٢) إذا نظر إلى عدوه:

" يا مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين" (ابن السنىّ).

(٣٣) إذا استصعب عليه أمر:

"اللّهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحَزْنَ إن شئت سهلا" (ابن حبان).

(٣٤) ما يعوذ به الأطفال وغيرهم:

" أعيذك بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامّة " (البخارى).

تعويذ آخر:

" بسم الله الرحمن الرحيم ، أعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم

يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد "

(٣٥) عند سماع الرعد:

" سبحان من سبحّت له " (عن طاووس التابعى).

(٣٦) إذا خاف قوما:

" اللّهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم " (النسائى).

(٣٧) توديع المسافر:

" استودع اللّه دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك "

(٣٨) إذا وجد وجعا فى جسده:

يضع يده على ما يؤلمه ويقول سبع مرات " أعوذ باللّه وقدرته من شر ما أجد و أحاذر " (مسلم).

(٣٩) بعد دفن الميت:

كان رسول اللّه إذا فرغ من الدفن وقف وقال " استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل " (أبو داود).

(٤٠) عند الفأل السيئ:

" اللَّهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك " (الإمام أحمد).

(٤١) إذا فقد العون فى متاهة:

قال ﷺ " إذا ضلَّ أحدكم أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها إنس فليقل يا عباد اللَّه أغيثونى (ثلاثا) فإن للَّه عبادا لا يراهم " (الطبرانى).

* * *

وهكذا ترى أن المؤمن له ذكر للَّه تعالى فى كل حالة من مرض أو صحة أو خوف أو أمن فهو مع اللَّه تعالى فى كل شأن.

* * *

ليتم لك الفضل بإذن اللّه تعالى فقد جمعنا لك بعض الدعوات المأثورة عن رسول اللّه ﷺ وما أكثرها.. ويكفيك منها القليل مع الإخلاص للّه تعالى فإن فى الإخلاص كل البركة وقد ذكرناها لك دون أسانيدها كذلك:

*١ - اللّهم إنى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

*٢ - سبحانك اللّهم وبحمدك أستغفرك وأتوب إليك.

*٣ - اللّهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تُهوّن علينا مصائب الدنيا ، اللّهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

* ٤ - أعوذ بقدرة اللّه وعزته من شر ما أجد وأحاذر.

* ٥ - بسم اللّه أرقيك من كل شئ يؤذيك ، من شر كل نفس أو عين حاسد اللّه يشفيك بسم اللّه أرقيك (هذه رقية سيدنا جبريل لرسول اللّه ﷺ)

* ٦ - أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق.

*٧ - لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللّهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

* ٨ - اللّهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى.

* ٩ - اللّهم إنى أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أنْ أُرَدَّ إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من فتنة القبر.

* ١٠- اللّهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال.

* ١١- اللّهم اغفر لى ما قدّمت وما أخرّت ، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

* ١٢- اللّهم اغفر لى ذنبى كله ، دِقّه ، وجِلَّه ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره.

* ١٣- اللّهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

* ١٤- اللّهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شئ ومليكه ، أشهد ألا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه.

* ١٥- باسمك ربى وضعت جنبى ، وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. (عند النوم)

* ١٦- اللّهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك.

* ١٧- اللّهم يا مصرّف القلوب صرّف قلوبنا على طاعتك.

* ١٨- اللّهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر.

* ١٩ - اللَّهم إنى أسألك الهدى والسداد.

* ٢٠- اللَّهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات.

* ٢١- اللَّهم إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم.

* ٢٢- اللَّهم اغفرلى خطيئتى وجهلى ، وإسرافى فى أمرى ، وما أنت أعلم به منى ، اللَّهم اغفر لى جدّى وهزلى ، وخطئى وعمدى، وكل ذلك عندى ، اللَّهم اغفرلى ما قدّمت وما أخّرت ، وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير.

* ٢٣- اللَّهم إنى أعوذ بك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعمل.

* ٢٤- اللَّهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحوّل عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك.

* ٢٥- اللَّهم آت نفسى تقواها وزكِّهَا أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللَّهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها.

* ٢٦- اللَّهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ، ومن شر بصرى ، ومن شر لسانى ، ومن شر قلبى ، ومن شر منيى.

* ٢٧- اللَّهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء.

* ٢٨- اللَّهم اكفنى بحلالك عن حرامك واغننى بفضلك عمن سواك.

* ٢٩- يا مقلِّب القلوب ثبت قلبى على دينك.

* ٣٠- اللَّهم إنى أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذى يبلغنى

حبك ، اللَّهم اجعل حبك أحبّ إلىَّ من نفسى وأهلى ومن الماء البارد.

* ٣١- اللَّهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

* ٣٢- اللَّهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شَرِّ ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

* ٣٣- اللَّهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلبٍ لا يخشع ودعاء لا يُسمع ونفس لا تشبع.

* ٣٤- اللَّهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء.

* ٣٥- اللَّهم إنى عبدك وابن عبدك مَاضٍ فِىَّ حكمك ، عدلٌ فىّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء غمى وذهاب حزنى وهمى (عند الحزن والغم).

* * *

موجز الباب الثامن

فإذا أوجزنا لك ما ذكرناه في هذا الباب قلنا:

● ذكر اللّه تعالى هو الدواء للقلوب والأرواح وكذلك الأجساد.

● لكل ذكر نور وهداية خاصة يتذوقها من داوم عليه.

●الذكر المجرد ألوان ومنه:

- التوحيد والتسبيح وما شابههما.
- تلاوة القرآن.
- مجالس العلم الشرعي وكل علم يقصد به وجه اللّه.
- التفكر في ملكوت السموات والأرض.
- ذكر الأنبياء والصالحين.
- العمل الخالص للّه تعالى.

●فضائل الذكر لا تعد ولا تحصى وأهم الذكر التوحيد والاستغفار والصلاة على رسول اللّه.

●بعض أذكار العادات:

١.عند الاستيقاظ.
٢.في الصباح.
٣. عند الاستعداد للنوم.
٤.في المساء.
٥. عند الأرق في النوم.
٦.عند دخول الخلاء.
٧. عند الخروج من الخلاء.
٨.بعد الوضوء.
٩. عند الخروج من المنزل.
١٠.عند دخول المسجد والخروج منه
١١. عند سماع الآذان.
١٢.عند ركوب الدابة وما شابهها.
١٣.عند بداية السفر.
١٤.عند الرجوع من السفر.

١٥.عند دخول بلد. ١٦.عند دخول المنزل.
١٧.عند مباشرة أهله. ١٨.عند انتهاء المجلس.
١٩.عند الشراب. ٢٠.عند الطعام.
٢١.عند صاحب الوليمة. ٢٢.عند لبس الجديد.
٢٣.عند التشاؤم. ٢٤.عند رؤية الهلال.
٢٥.عند رؤية مبتلى. ٢٦.عند زيارة مريض.
٢٧.عند الكرب. ٢٨.عند خوف الحسد.
٢٩.عند خوف من الخلق. ٣٠.عند البلاء والشدة.
٣١.عند الورطة. ٣٢.عند العدوّ.
٣٣.عند صعوبة أمر. ٣٤.ما يعوَّذ به الاطفال وغيرهم.
٣٥.تعويذ آخر. ٣٦.عند سماع الرعد.
٣٧.إذا ما خاف قوما. ٣٨.توديع المسافر.
٣٩.عند الوجع. ٤٠.بعد دفن الميت.
٤١.عند الفأل السيئ. ٤٢.إذا فقد العون في متاهة.

– بعض الدعوات النبوية المأثورة

* * *

اللّهم إنّا نسألك لسانا ذاكرا ، وقلبا شاكرا ، وقولا صادقا ، وفهما لائقا، وسرا ذائقا ، وقلبا قابلا ، وعقلا عاقلا ، وفكرا مشرقا ، وطرفا مطرفا ، ويدا قادرة ، ونفسا مطمئنة ، وجوارح لطاعتك لينة. وقَدِّسنا يا قدوس للقدوم عليك ، وارزقنا التقدم إليك ، وقرّبنا إليك قرب العارفين ، ونزِّهنا عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأزل عنا علائق الذمّ ونزِّهنا عن علائق الطبع لنكون من المتطهرين.

وصلِّ وسلم وبارك على عبدك وحبيبك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين وعلى عباد اللّه الصالحين ونحن معهم يا رب العالمين.

* * *

الباب التاسع

من وصايا رسول الله ﷺ

يقـول ﷺ "إن هـذا الـدين مـتين.. فأوغـل فيـه برفـق.. فـإن الـمنبتّ لا أرضـا قطـع ولا ظهـرا أبقـى ".. صـدق رسـول اللّـهﷺ.. والمقصود أنـك تتـدرج فـى عبادتـك وسيرك إلى اللّـه تعالى برفـق علـى قـدر قوتـك وتأخـذ نفسـك بالـسياسة وتعالجهـا بالحكمـة حتـى تنجـو بـإذن اللّـه تعـالى..أمّا المـستعجل الـذى يحمِّل دابتـه فـوق طاقتهـا فقـد يـؤدى بـه الأمـر إلى أن ينكـسر ظهـر دابتـه خـلال الطريق.. فلا هو وصل إلى مقصوده ولا أبقى على دابتـه.. وكـذلك قد يتوقف فى الطريق إمّا تعبا أو يأسا أو مَلَلاً.

ويقول تعالى فـى الحـديث القدسـى: " عبـدى إن تقـرب إلىّ شـبرا تقربت إليه ذراعاً.. وإن جاءنـى يـمشى أتيتـه هرولـة".. فـذلك هـو فـضل اللّه تعالى.. فالأمر كلـه أساسه صدق الالتجاء إلى اللّه وتصفية القلب مما سواه..

وقد جمعنا لك فى نهاية هذا الكتاب بعضا من وصايا رسول اللّه ﷺ الشاملة الجامعة الدالّة على وجوه الخير لتكو ن عوناً لك على سيرك إلى اللّه تعالى.. وقد أوردناها لك دون شرح أو تعليق عسى اللّه أن ينفـع بـها كل من قصد رضاه ووجهه الكريم ...

١ - عن أبى ذر رضى اللّه عنه قال "أوصانى خليلى ﷺ بسبع: بحب المساكين، وأن أدنو منهم، وأن أنظر إلى من أسفل منى، ولا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أصل رحمى وإن جفانى، وأن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا باللّه، وأن أتكلم بمرِّ الحق، وألا تأخذنى فى اللّه لومة لائم.. وألا أسأل الناس شيئا" رواه أحمد والطبرانى.

٢ - وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "زر القبور تذكر بها الآخرة، واغسل الموتى فإن معالجة جسد خاو موعظة بليغة، وصلِّ على الجنائز لعل ذلك أن يحزنك فإن الحزين فى ظل اللّه يتعرض لكل خير" رواه الحاكم.

٣ - قال ﷺ "أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها: أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية، والعدل فى الرضا والغضب، والقصد فى الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى، وأصل من قطعنى، وأن يكون صمتى فكرا، ونطقى ذكرا، ونظرى عبرا".

٤ - عن ابن عباس رضى اللّه عنه قال " قال رسول اللّه ﷺ لرجل وهو يعظه : اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" رواه الحاكم.

٥ - عن معاذ بن جبل رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ "أخذ بيده وقال: يا معاذ واللّه إنى لأحبك ثم أحبك يا معاذ لا تَدَعَنَّ فى دبر

كل صلاة تقول اللّهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" رواه النسائي.

٦ - عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ "من يأخذ مني هذه الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلمهنّ من يعمل بهنّ. فقال أبو هريرة أنا يا رسول اللّه، فأخذ بيده فعدّ خمسا فقال: اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم اللّه لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحبّ للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب" رواه الترمذي.

٧ - عن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ "أوصني.. قال لا تغضب.. فردد مرارا فقال: لا تغضب" رواه البخاري.

٨ - عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ "يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل، ثم قال: يا بني ذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة " رواه الترمذي.

٩ - عن عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما قال "أخذ رسول اللّه ﷺ بمنكبي فقال كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" رواه البخاري.

١٠- عن عبد اللّه بن عباس رضى اللّه عنهما قال " كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال: يا غلام إنى أعلمك كلمات: احفظ اللّه يحفظك، احفظ اللّه تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء ما نفعوك إلا بشىء قد كتبه اللّه لك..، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه اللّه عليك، رفعت الأقلام وجفّت الصحف" رواه الترمذى.

١١- جاء رجل إلى رسول اللّهﷺ فقال "أوصنى وأوجز فقال: عليك باليأس مما فى أيدى الناس فإنه الغنى، وإيّاك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصلِّ صلاتك وأنت مودِّع ، وإيّاك وما يعتذر منه " رواه الحاكم.

١٢- عن أبى ذر رضى اللّه عنه قال "أوصانى خليلى بأربع هنّ أحب إلىّ من الدنيا وما فيها قال لى: يا أبا ذر أحكم السفينة فإن البحر عميق ، واستكثر الزاد فإن السفر طويل وخفِّف ظهرك فإن العقبة كؤود، وأخلِص العمل فإن الناقد بصير" رواه المقدسى.

١٣- قال ﷺ "كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا فى غير إسراف ولا مخيلة " رواه البخارى.

١٤- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ "المؤمن القوى خير وأحب إلى اللّه من المؤمن الضعيف وفى كلٌ خير، احرص على ما ينفعك ، واستعن باللّه ولا تعجز ، وإن أصابك شئ فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قدر اللّه وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان " رواه مسلم.

١٥- عن ثوبان مولى رسول اللّه ﷺ قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول "عليك بكثرة السجود فإنك لن تسجد للّه سجدة إلا رفعك اللّه بها درجة وحطّ عنك خطيئة " رواه مسلم.

١٦- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا اللّه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" متفق عليه.

١٧- عن أبى مسلم أن رجلا أكل عند رسول اللّه ﷺ بشماله فقال "كُلّ بيمينك قال لا أستطيع.. قال لا استطعت.. ما منعه إلا الكِبْر.. فما رفعها إلى فيه " رواه مسلم.

١٨- عن أنس رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ قال "لا يؤمن أحدكم حتى يحبّ لأخيه ما يحب لنفسه" متفق عليه.

١٩- عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهما عن النبى ﷺ قال "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ،والمهاجر من هجر ما نهى اللّه عنه" متفق عليه.

٢٠- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه عن رسول اللّه ﷺ قال "لا يستر عبد عبدا فى الدنيا إلا ستره اللّه يوم القيامة " رواه مسلم.

٢١- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "رُبّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على اللّه لأبَرّه" رواه مسلم.

٢٢- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "استوصوا بالنساء خيرا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء" متفق عليه.

٢٣- عن أم سلمة رضى اللّه عنها عن النبى ﷺ أنه قال "أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة " رواه الترمذى.

٢٤- عن أبى مسعود البدرى عن النبى ﷺأنه قال: "إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة " متفق عليه (يحتسبها أى يقصد وجه اللّه فيها).

٢٥- عن عائشة رضى اللّه عنها عن رسول اللّه ﷺ قال "الرحم معلقة بالعرش تقول من وصَلَنى وصله اللّه ، ومن قطعنى قطعه اللّه" متفق عليه.

٢٦- عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهما عن النبى ﷺ أنه قال "الكبائر: الإشراك باللّه ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس" رواه البخارى.. (اليمين الغموس هى التى يحلفها كاذبا متعمدا لأنها تغمس صاحبها فى النار ولا كفارة لهذا اليمين).

٢٧- عن أبي سعيد الخدريّ رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: "لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى" رواه الترمذى.

٢٨- عن أبي موسى الأشعرى رضى اللّه عنه أنه قيل للنبي ﷺ : "المرء يحب القوم ولما يلحق بهم.. فقال : المرء مع من أحب" متفق عليه.

٢٩- عن أنس رضى اللّه عنه أن أعرابيا سأل رسول اللّه ﷺ : "متى الساعة قال: ما أعددت لها ، قال : حب اللّه ورسوله.. قالﷺ : أنت مع من أحببت" متفق عليه.

٣٠- عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال "ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون باللّه شيئا إلا شفّعهم اللّه فيه " رواه مسلم.

٣١- عن أبي هريرة رضى اللّه عنه عن النبي ﷺ قال "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر " رواه مسلم.

٣٢- عن أبي هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال " ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر اللّه تعالى، وما والاه ، وعالما ومتعلما" رواه الترمذى.

٣٣- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام" رواه الترمذى.

٣٤- عن أبى أمامة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لك ، ولا تلام علىكفاف، وابدأ بمن تعول " رواه الترمذى.

٣٥- عن ابن مسعود رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال "أيُكم مال وارثه أحبّ إليه من ماله، قالوا: يا رسول اللّه ما منّا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدّم ومال وارثه ما أخّر " رواه البخارى.

٣٦- عن النوّاس بن سمعان رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "البرُّ حسن الخلق، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس" رواه مسلم.

٣٧- عن أم المؤمنين عائشة رضى اللّه عنها أن النبى ﷺ قال "إن اللّه رفيق يحب الرفق فى الأمر كله" متفق عليه.

٣٨- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال "ليس الشديد بالصُرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب" متفق عليه.

٣٩- عن عدىّ بن حاتم رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : "اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة" متفق عليه.

٤٠- عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال "لم يبق من النبوة إلا المبشّرات.. قالوا وما المبشرات ؟؟ قال الرؤيا الصالحة" رواه البخارى.

٤١- وعنه أنه ﷺ قال "من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة أو كأنما رآنى فى اليقظة لا يتمثل الشيطان بى" متفق عليه.

٤٢- عن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها، فليبصق عن يساره ثلاثا.. وليستعذ باللّه من الشيطان ثلاثا، وليتحول من جنبه الذى كان عليه" رواه مسلم.

٤٣- عن أسماء بنت يزيد رضى اللّه عنها قالت: " إن رسول اللّهﷺ مَرَّ فى المسجد يوما، وعصبة من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم" رواه الترمذى (ألوى بيده أى أشار بيده بالسلام.. وقيل الإشارة باليد والسلام باللسان معا).

٤٤- عن أنس رضى اللّه عنه قال: قال لى رسول اللّه ﷺ "يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك" رواه الترمذى.

٤٥- عن سهل بن سعد رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ "إنما جعل الاستئذان من أجل البصر" متفق عليه (أى لا يسبق نظرك إلى بيت قبل استئذان أهله).

٤٦- عن صفوان بن عسّال رضى اللّه عنه قال: قال يهودىٌّ لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبىّ، فأتيا رسول اللّه ﷺ فسألاه عن تسع بينات، فذكر الحديث إلى قوله " فقبَّلا يده ورجله ، وقالا نشهد أنك نبىّ " رواه الترمذى وغيره.

٤٧- وعن ابن عمر رضى اللّه عنهما روى قصته قال فيها : فدنونا من النبى ﷺ " فقبلنا يده " رواه أبو داود.

٤٨- عن معاذ رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال " من كان آخر كلامه لا إله إلا اللّه دخل الجنة " رواه الحاكم.

٤٩- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ "من شهد الجنازة حتى يصلّى عليها فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن فله قيراطان.. قيل وما القيراطان.. قال مثل الجبلين العظيمين" متفق عليه (وفى رواية كل قيراط مثل جبل أحد).

٥٠- وعن مرثد بن عبد اللّه قال: كان مالك بن هبيرة رضى اللّه عنه إذا صلّى على الجنازة فتقالّ الناس عليها، جزّأهُم عليها ثلاثة أجزاء، ثم قال: قال رسول اللّه ﷺ "من صلّى عليه ثلاثة صفوف.. فقد أوجب" رواه الترمذى (قد أوجب أى وجبت له الجنة.. تقالّ الناس عليها أى أن عدد الحاضرين قليل.. والمعنى أن يجعل الناس ثلاثة صفوف فى صلاة الجنازة حتى وإن كان العدد قليلا).

٥١- عن أبى ليلى عثمان بن عفان رضى اللّه عنه قال: كان النبى ﷺ " إذا فَرَغَ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل" رواه أبو داود.

٥٢- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" رواه مسلم.

٥٣- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّهﷺ : " ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده " رواه أبو داود.

٥٤- عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتِّل كما كنت ترتل فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها " رواه الترمذى.

٥٥- عن أبى سعيد رضى اللّه عنه قال: قال لى رسول اللّه ﷺ "ألاّ أعلمك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد، فأخذ بيدى، فلما أردنا أن نخرج قلت : يا رسول اللّه إنك قلت: لأُعَلِّمَنَّكَ أعظم سورة فى القرآن، قال الحمد للّه رب العالمين هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته" رواه البخارى.

٥٦- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ "قال فى قل هو اللّه أحد إنها تعدل ثلث القرآن" رواه مسلم.

٥٧- عن عقبة بن عامر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: "ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يُر مثلهن قط. قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس" رواه مسلم.

٥٨- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : "من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له، وهى تبارك الذى بيده الملك " رواه أبو داود.

٥٩- عن أبى مسعود البدرى رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه " متفق عليه.

٦٠- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ "لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة " رواه مسلم.

٦١- وعن أبىّ بن كعب رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ : "يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب اللّه معك أعظم، قلت اللّه لا إله إلا هو الحى القيوم.. فضرب فى صدرى وقال : ليْهنك العلم أبا المنذر" رواه مسلم.

٦٢- عن عثمان بن عفّان رضى اللّه عنه أن رسول اللّهﷺ قال: " من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه، من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره " رواه مسلم.

٦٣- عن أنس رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "الدعاء لا يُردّ بين الأذان والإقامة " رواه الترمذى.

٦٤- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ "من غدا إلى المسجد أو راح أعدّ اللّه له فى الجنة نُزُلا كلما غدا أو راح" متفق عليه.

٦٥- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "من تطهر فى بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت اللّه، ليقضى فريضة من فرائض اللّه، كانت خطواته، إحداها تُحُطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة " رواه مسلم.

٦٦- عن عثمان بن عفان رضى اللّه عنه قال: "سمعت رسول اللّهﷺ يقول من صلّى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلّى الليل كله" رواه مسلم.

٦٧- عن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة" رواه مسلم.

٦٨- عن عبد اللّه بن سلام رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : "أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام" رواه الترمذى.

٦٩- عن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "رحم اللّه رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى، وإذا اقتضى" رواه البخاري.

٧٠- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ "من أنظر مُعْسِراً، أو وضع له، أظله اللّه يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله" رواه الترمذى. (أنظر أى أجّل وأرجأ سداد الدين.. ووضع له أى تنازل عن جزء منه).

٧١- عن معاوية رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "من يُرِدْ اللّه به خيرا يفقهه فى الدين" متفق عليه.

٧٢- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّهﷺ قال "من قال لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شئ قدير، فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه" وقال "من قال سبحان اللّه وبحمده فى يوم مائة مرة، حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر" متفق عليه.

٧٣- عن أبى ذر رضى اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ " ألا أخبرك بأحب الكلام إلى اللّه، إن أحب الكلام إلى اللّه : سبحان اللّه وبحمده" رواه مسلم.

٧٤- عن أبى موسى الأشعرى رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ "مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت" رواه البخارى.

٧٥- عن عبد اللّه بن بُسْرٍ رضى اللّه عنه أن رجلا قال لرسول اللّهﷺ "يا رسول اللّه إن شرائع الإسلام قد كثرت علىّ، فأخبرنى بشئ أَتَشَبَّثُ به.. قال: لا يزال لسانك رطبا بذكر اللّه" رواه الترمذى.

٧٦- عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : "ألا أنبئكم بخير أعمالكم أزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا بلى يا رسول اللّه.. قال: ذكر اللّه تعالى"رواه الترمذى.

٧٧- وعن سعد بن أبى وقاص رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ "سبحان اللّه عدد ما خلق اللّه فى السماء، وسبحان اللّه عدد ما خلق فى الأرض، وسبحان اللّه عدد ما بين ذلك، وسبحان اللّه عدد ما هو خالق، واللّه أكبر مثل ذلك، والحمد للّه مثل ذلك، ولا إله إلا اللّه مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا باللّه مثل ذلك" رواه الترمذى.

٧٨- عن أبى موسى الأشعرى أن رسول اللّه ﷺ قال : ألا أدلّك على كنز من كنوز الجنة. فقلت بلى يا رسول اللّه.. قال "لا حول ولا قوة إلا باللّه" متفق عليه.

٧٩- عن أم سلمة أم المؤمنين رضى اللّه عنها قالت: "كان أكثر دعاء رسول اللّه ﷺ يا مُقَلِّبَ القلوب ثبت قلبى على دينك" رواه الترمذى.

٨٠- وعن أبى أمامة رضى اللّه عنه قال "دعا رسول اللّه ﷺ بدعاء كثير، لم نحفظ منه شيئا.. قلنا يا رسول اللّه: دعوت بدعاء كثير لم نحفظ منه شيئا فقال: ألا أدلكم على ما يجمع ذلك كله، تقول: اللّهم إنى أسألك من خير ما سألك منه نبيكَ محمد صلى اللّه عليه وسلم، وأعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى اللّه عليه وسلم، وأنت المستعان وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه" رواه الترمذى.

٨١- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال : "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّه تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه اللّه بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللّه تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها فى جهنم " رواه البخارى.

٨٢- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال " كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه" رواه مسلم.

٨٣- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "كفى بالمرء كذبا أن يحدّث بكل ما سمع" رواه مسلم.

٨٤- عن ابن مسعود رضى اللّه عنه قال "ليس المؤمن بالطعّان، ولا اللعّان، ولا الفاحش ولا البذئ " رواه الترمذى.

٨٥- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال "المتسابّان ما قالا فعلى البادى منهما حتى يعتدى المظلوم" رواه مسلم.

٨٦- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك باللّه شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظِرُوا هذين حتى يصطلحا.. أنظِرُوا هذين حتى يصطلحا" رواه مسلم.

٨٧- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال: "إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب" رواه أبو داود.

٨٨- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" رواه مسلم.

٨٩- عن جندب رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال " قال رجل: واللّه لا يغفر اللّه لفلان، فقال اللّه عز وجل: من ذا الذى يتألّى علىَّ أنْ لا أغفر لفلان. إنى قد غفرتُ له، وأحبطت عملك" رواه مسلم.

٩٠- عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال " الذى يعود فى هبته كالكلب يرجع فى قيئه" متفق عليه.

٩١- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : "اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول اللّه وما هن. قال : الشرك باللّه، والسحر، وقتل النفس التى حرم اللّه إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" متفق عليه.

٩٢- وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال "أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى، تركته وشركه" رواه مسلم.

٩٣- عن عقبة بن عامر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : "إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحَمْوَ. فقال: الحمو الموت " متفق عليه. (والحمْو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه).

٩٤- عن ابن عباس رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ "لعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء" رواه البخارى.

٩٥- وعن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: "لا تأكلوا بالشمال.. فإن الشيطان يأكل ويشرب بشماله" رواه مسلم.

٩٦- عن ابن عمر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: "لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون" متفق عليه.

٩٧- عن عقبة بن عامر قال قال رسول اللّه ﷺ "المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلّ لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر" رواه مسلم. (أى حتى يترك الأول بيعه أوخطبته)

٩٨- عن أبى هريرة رضى اللّه عنه أنه قال: قال رسول اللّهﷺ "إن اللّه يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا: فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال.. وكثرة السؤال.. وإضاعة المال" رواه مسلم.

٩٩- عن عائشة أم المؤمنين عليها رضوان اللّه تعالى أن رسول اللّه ﷺ قال "من أحب لقاء اللّه أحب اللّه لقاءه ، ومن كره لقاء اللّه كره اللّه لقاءه".صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

* * *

صدق رسول اللّه ﷺ

ختام الجزء الثاني

بفضل الله تعالى.. نختم هذا الجزء من الكتاب بدعوة طيبة مقتبسة بتصرف لتناسب المقام من دعوات أحد عباد الله الصالحين وهو سيدنا عكاشة رضى الله عنه عسى أن يتقبلها الله تعالى..

بسم الله الرحمن الرحيم.. ونصلي ونسلم على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

بسم الله النور.. نور على نور.. الحمد لله الذي هو بالغنى مذكور وبالعزّ و الجلال مشهور.. و الحمد لله الذي خلق السموات و الأرض وجعل الظلمات و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون..

إياك نعبد وإياك نستعين.. يا حي يا قيوم.. الله لطيف بعباده يرزق من يشاء بغير حساب.. وهو القوي العزيز.. يا كافي كل شيء اكفني و اصرف عني كل شيء.. إنك قادر على كل شيء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير..

اللّهم يا كثير النوال.. ودائم الوصال ويا حسن الفعال.. ويا رزاق العباد على كل حال..

اللّهم إن دخل الشك في إيماني بك ولم أعلم به تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللّهم إن دخل الشرك و الكفر في توحيدي إياك ولم أعلم بهما تبت عنهما وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله.

اللّهم إن دخلت الشبهة في معرفتي إياك ولم أعلم بها تبت عنها وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللّهم إن دخل الكبر و العُجْب و الرياء و السمعة في عملي ولم أعلم بها تبت عنها وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم إن دخل النفاق في قلبي من الذنوب الصغائر و الكبائر ولم أعلم به تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما قدّرت لي من أمر ولم أرضه تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما أسديت إليّ من خير ولم أشكرك عليه تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما أنعمت عليّ من نعمة فعصيتك بها وغفلت عن شكرك تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما مننت به عليّ من خير فلم أحمدك عليه تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما ضيعت من عمري ولم ترضه تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما أوجبت عليّ من النظر في مصنوعاتك فغفلت عنه تبتُ عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما قَصُّرت عنه آمالي في رجائك تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما استعنت بغيرك في الشدائد تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما اعتمدت على أحد سواك في الشدائد و النوائب تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم إن زلّ لساني بالسؤال لغيرك تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم ما صلح من شأني بفضلك فرأيته من غيرك تبت عنه وأقول لا إله إلا الله محمد رسول الله..

اللهم بحقِّ لا إله إلا الله وعزّته.. وبحق العرش وعظمته.. وبحق الكرسي وَسَعَتِهِ، وبحق اللوح وحفظه، وبحق القلم وجريه، وبحق الميزان وخفته، وبحق الصراط ورقته، وبحق جبريل وأمانته، وبحق رضوان وجنته، وبحق مالك وزبانيته، وبحق ميكائيل وشفقته، وبحق إسرافيل ونفخته، وبحق عزرائيل وقبضته، وبحق آدم وصفوته، وبحق شيث ونبوته، وبحق نوح وسفينته، وبحق إبراهيم وخُلته، وبحق إسحق وديانته، وبحق إسماعيل وفديته، وبحق يوسف وغربته، وبحق موسى وآياته، وبحق هارون وحرمته، وبحق هود وهيبته، وبحق صالح وناقته، وبحق لوط وجيرته، وبحق يونس ودعوته، وبحق دانيال وكرامته، وبحق زكريا وطهارته، وبحق عيسى وسياحته، وبحق سيدنا محمد ﷺ وشفاعته.. أن تغفر لنا ولوالدينا. ولإخواننا ومشايخنا وعلمائنا.. وأن تأخذ بيدي.. وتعطيني سؤلي، وتبلغني أملي، وتصرف عني كل من عاداني برحمتك يا أرحم الراحمين، وتحفظني من كل سوء لا إله إلا أنت.. أستغفرك وأتوب إليك.. فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.. وصلِّ اللهم على مولانا وسيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

وصلِّ اللّهم وسلم وبارك على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك وحبيبك وعلى آله وصحبه وذريته والتابعين وعلينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون عدد ما كان وما سيكون من يوم أن خلقت الدنيا إلى مالا نهاية في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك يا مولانا يا عظيم.. اللّهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذرياته وأهل بيته والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات أفضل وأجلّ صلواتك وصلوات خلقك أجمعين من ابتداء الدنيا إلى مالا نهاية، عفوا منك وإحسانا، فإنا لا نستحق ذلك ولكن مغفرتك ورحمتك أوسع وأجلّ وأعلى، وتجعلنا بها لمجاورة الرسول في مأوى العز أهلا، صلى اللّه عليه وعلى كل من آمن به وقال قولا فصلا، ألف ألف ألف، الصلاة والسلام عليك يا رسول اللّه، ألف ألف ألف، الصلاة والسلام عليك يا حبيب اللّه، وعلى آلك وصحبك أجمعين والحمد للّه رب العالمين.

* * *

محتويات الكتاب

أهم المراجع

الروح	ابن القيم
أمراض القلوب	ابن القيم
روضة الطالبين	أبو حامد الغزالى
مشكاة الأنوار	أبو حامد الغزالى
المقصد الأسنى	أبو حامد الغزالى
مدارج النفس	أبو حامد الغزالى
إحياء علوم الدين	أبو حامد الغزالى
آداب السلوك	أبو القاسم الخانى
منهاج المسلم	أبو بكر الجزائرى
قوت القلوب	أبو طالب المكى
الإبريز	عبدالعزيز الدباغ
رياض الصالحين	أبو زكريا النووى
الأذكار	أبو زكريا النووى
من وصايا الرسول	طه العفيفى
معالم الطريق إلى اللّه	السيد أبو الفيض المنوفى
ثواب العمل الصالح	الحافظ الدمياطى
حصن المسلم	سعيد القحطانى
فيض البارى	أنور الكشميرى
حاشية ابن عابدين	ابن عابدين
فقه السنة	السيد سابق
البداية والنهاية	ابن كثير
الجامع الصغير	جلال الدين السيوطى

صدر للمؤلف

أولاً : المؤلفات

١- أركان الإسلام (دليل العبادات)	(أربع طبعات)	رمضان ١٤٢٥هـ	نوفمبر ٢٠٠٤
٢- قواعد الإيمان (تهذيب النفس)	(ثلاث طبعات)	رمضان ١٤٢٥هـ	نوفمبر ٢٠٠٤
٣- مقدمة أصول الوصول	(ثلاث طبعات)	ربيع أول ١٤١٨هـ	يوليو ١٩٩٧
٤- أنوار الإحسان (أصول الوصول)	طبعة أولى	رمضان ١٤١٨هـ	يناير ١٩٩٨
٥- محمد نبي الرحمة	طبعة ثانية	رمضان ١٤٢٥هـ	نوفمبر ٢٠٠٤

ثانياً : الشعر

١- ديوان الأسير	طبعة أولى	جمادآخر ١٤١١هـ	يناير ١٩٩١
٢- ديوان العتيق	طبعة أولى	المحرم ١٤١٦هـ	يونية ١٩٩٥
٣- ديوان الطليق	طبعة أولى	رمضان ١٤١٩هـ	يناير ١٩٩٩
٤- ديوان الغريق	طبعة أولى	شوال ١٤٢٠هـ	يناير ٢٠٠٠
٥- ديوان الرفيق	طبعة أولى	المحرم ١٤٢٢هـ	مارس ٢٠٠١
٦- ديوان الحقيق	طبعة أولى	رمضان ١٤٢٢هـ	نوفمبر ٢٠٠١
٧- ديوان العقيق	طبعة أولى	المحرم ١٤٢٣هـ	مارس ٢٠٠٢
٨- ديوان الوثيق	طبعة أولى	رمضان ١٤٢٣هـ	نوفمبر ٢٠٠٢
٩- ديوان الرّحيق	طبعة أولى	غرة المحرم ١٤٢٤هـ	فبراير ٢٠٠٣
١٠- ديوان البريق	طبعة أولى	غرة المحرم ١٤٢٥هـ	فبراير ٢٠٠٤
١١- ديوان ألفية محمد ﷺ	طبعة أولى	ربيع أول ١٤٢٥هـ	أبريل ٢٠٠٤
١٢- ديوان محمد الإمام المبين ﷺ	طبعة أولى	رمضان ١٤٢٥هـ	نوفمبر ٢٠٠٤

ثالثاً : الأوراد والأذكار

أ- الحضرة	(١٧ طبعة)	رمضان ١٤٢٥هـ	نوفمبر ٢٠٠٤
ب- راتب الاسم الأول	(أربع طبعات)	ربيع أول ١٤١٨هـ	يوليو ١٩٩٧
ج- راتب الاسم الثاني	(خمس طبعات)	ربيع أول ١٤٢١هـ	يونيو ٢٠٠٠
د- راتب الاسم الثالث	(خمس طبعات)	ربيع أول ١٤٢٢هـ	يونيو ٢٠٠١

رابعاً : الصوتيات : مجموعة كبيرة من تسجيلات صوتية في حب الرسول صلى اللهُ عليه وسلم والعشق الإلاهي ووصف حالات ومقامات أهل الله الروحية.

هذه المؤلفات وقف لله تعالى لاتُباع (وتطلب من المؤلف)

مواقعنا : WWW.ALABD.COM, WWW.ALMOWAHHED.COM &WWW.ALASHRAF-ALMAHDIA.COM

الصوتيات

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
١	الطور	الطليق
	المعراج	الطليق
	السلطان	الطليق
	مرآة قلب	الأسير
	الظلال	الأسير
	أفديه روحى	العتيق
٢	لا أبالى	الطليق
	صلوا عليه	الأسير
	أحبك يارسول اللــــه	العتيق
	ربــــــى	الطليق
	سبحانك	الأسير
	أحب محمدا (كاملة)	الطليق
٢مكرر	لا أبالى	الطليق
	صلوا عليه	الأسير
	صلي عليك اللــــه (ياسيد السادات)	الأسير
	الغوثية-الختام	العتيق
	أحب محمدا (جزء)	الطليق
٣	ذكر الحبيب	الأسير
	ياسيد السادات	الأسير
	الغوثية-الختام	العتيق
	مكشوفة الأسرار	الأسير
	الغوثية-الأفضال	العتيق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٤	آل البيت – ياسادتى	الأسير
	الحسيـــنية	الأسير
	النفيسية	الطليق
	الزينبية	الأسير
	الفاطمية	الأسير
	الزينية	الطليق
	السكينية	الطليق
	العيونية	الأسير
٥	الختام – الغوثية	العتيق
	الرجاء – الغوثية	العتيق
	الحجاب-الغوثية	العتيق
	الأفضال-الغوثية	العتيق
	أفديه روحى (جزء)	العتيق
٦	حديث للمؤلف	
	العهد	الغريق
	أحب محمدا	الطليق
٧	توحيد- تسبيح- ذكر- صلوات	
	الأفضال- الغوثية	العتيق
	لا أبالى	الطليق
	سيد السادات	الأسير
	رسول اللــــه	الأسير
	أحب محمداجزء	الطليق
	سبحانك	الأسير

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٨	المولد (الرشد)	الغريق
٩	حديث للمؤلف	
	الرؤيا	الغريق
	ليلة القدر	الأسير
١٠	الحديث	الغريق
	الرؤيا	الغريق
١١	يا سادتي	الأسير
	النفيسة	الطليق
	الكوثر	الغريق
	أحب محمدا	الطليق
	حديث للمؤلف	
١٢	حديث للمؤلف	
	الغريق (السر)	الغريق
	الحي	الغريق
	دعاء للمؤلف	
١٣	البرزخ	الغريق
	حديث للمؤلف	
١٤	حديث للمؤلف	
	النور	الغريق
	الرفيق	الرفيق
	الأحوال	الرفيق
١٥	الحضرة	
	الأدب	الرفيق
	إهداء الأسير	الأسير
	إهداء العتيق	العتيق
١٦	أحب محمدا	الطليق
	إشهدوا	الرفيق
١٧	الفداء	الرفيق
	النجم	الرفيق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
تابع ١٧	العفو	الطليق
	النفيسة	الطليق
١٨	الزينبية	الأسير
	الحبيب	الرفيق
	الفداء	الرفيق
	دعاء للمؤلف	
	ليلى	الرفيق
١٩	الحصاد	الرفيق
	أحب محمدا (جزء)	الطليق
٢٠	الرضا	الرفيق
٤٠٠	الرؤيا	الغريق
٧٠٠	الكوثر	الغريق
٨٠٠	المولد	الغريق
٩٠٠	ليلي	الرفيق
١٠٠٠	الحصاد	الرفيق
١١٠٠	الرضا	الرفيق
١٢٠٠	حقيقتي	الحقيق
١٣٠٠	شيخي	الحقيق
١٤٠٠	المبشرات	العقيق
١٥٠٠	الجوار	العقيق
١٦٠٠	الخاتم	العقيق
١٧٠٠	هويتي	العقيق
١٨٠٠	القاسم	العقيق
١٩٠٠	حامل النعلين	العقيق
٢٠٠٠	أحب محمدا	الطليق
	جزء من(المولد)	الغريق
	جزء من(الطور)	الطليق
	جزء من(الحديث)	الغريق
	جزء من (الحى)	الغريق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٢٠٠١	يا سيد السادات	الأسير
	الفداء	الرفيق
٢٠٠٢	الحبيب	الرفيق
	الفداء	الرفيق
	الحرم	الرفيق
٢٠٠٣	لا أبالى	الطليق
	النفيسية	الطليق
	الزينية	الطليق
٢٠٠٤	الجلالة	الرفيق
٢٠٠٥	حبيب اللـــه	الحقيق
	محمد	الحقيق
٢٠٠٦	سبحانك	الأسير
	نبى الرحمة	العتيق
	الحسينية	الأسير
٢٠٠٧	رحماكا	العقيق
٢٠٠٨	رسولَ اللـــه	الوثيق
	أحب محمدا	الطليق
٢٠٠٩	الظلال	الأسير
	رسول اللـــه	الوثيق
	العبد	العقيق
٢٠١٠	خذ بيدى (د.عبدالعزيزسلام)	محمد الإمام المبين
٢٠١١	خذ بيدى (إبراهيم شهاب)	
٢١٠٠	مقتضى الذات	العقيق
٢٢٠٠	الشهود	العقيق
٢٣٠٠	رحماكا	العقيق
	تهانينا	العقيق
٢٤٠٠	حالى	الوثيق
٢٥٠٠	البيعة	الوثيق

رقم الشريط	القصيدة	الديوان
٢٦٠٠	الفلك	الوثيق
	ربيع النور	الوثيق
٢٧٠٠	المثلث	الوثيق
٢٨٠٠	التاج الأعظم	الوثيق
٢٩٠٠	العبد	الوثيق
	البزوغ	الوثيق
٣٠٠٠	الشروق	الوثيق
٣١٠٠	الإمام(الإعداد)	الوثيق
٣٢٠٠	الجمال	الرحيق
٣٣٠٠	الإهداء	الرحيق
٣٤٠٠	الحسين	البريق
٣٥٠٠	الشرح	البريق
٣٦٠٠	المحراب	البريق
٣٧٠٠	القبة الخضراء	البريق
٣٨٠٠	الجمع الأعظم	البريق
٣٩٠٠	حبيبى	البريق
٤٠٠٠	أمّى	البريق
٤١٠٠	المعبد	البريق
٤٢٠٠	أشهد	البريق
٤٣٠٠	الوِشاح	إمام المرسلين
٤٤٠٠	السّلم	
٤٥٠٠	مشكاة الأنوار	ألفية محمد ﷺ
٤٦٠٠	الخضر	
٤٧٠٠	الإهداء	
	القدس	
٤٨٠٠	الـــبـــيـــان (الجزء الأول)	محمد الإمام المبين
الحضرة		

شرائط الأحاديث
حديث روحانية رسول اللـــه فى الكون
حديث السير و السلوك
حديث التوحيد و رسول اللـــه
حديث التوحيد و آداب السلوك
حديث الموت و الأرواح
حديث الاسراء و المعراج

رقم الإيداع : ٢١٣٣٩/ ٢٠٠٤